الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحياة العلمية والفكرية بمنطقة واد مزاب

خلال القرنين 18 و19م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب:

الشيخ دحمان إبراهيم

إشراف الأستاذ:

د. ناصر بالحاج

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ. جلول بوقراف	أستاذ مساعد أ	رئيسا
د. ناصر بالحاج	أستاذ محاضر أ	مشرفا
د. أحمد جعفري	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اِعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة التوبة الآية (105)

وقال تعالى: ﴿وَالذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة العنكبوت الآية (69)

الإهـــــــــــــــــــــــــــــــداء

لا يطيب الكلام إلا بذكر الله ولا يصفو المقام إلا بالصلاة على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، ولا تحلوا الدنيا إلا بالوالدين الكرام والذي قال الله تعالى فيهما: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ سورة الإسراء الآية (23).

أهدي ثمرة جهدي إلى التي حملتني كرها وسهرت من أجلي الليالي الطوال، داعية لي ولأبنائها بالتوفيق والنجاح، أمي العزيزة حفظها الله ورعاها وأمدها بالصحة والعافية.

إلى والدي العزيز حفظه الله الذي أفنى عمره وتحمل المشاق في سبيل تربيتي وإيصالي إلى الدرجات العلمية العليا، بارك الله في خطواته وجعلها في ميزان حسناته.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء، وإلى أهلي وأقاربي وأصدقائي جميعا دون استثناء

كما أهدي هذا الجهد المتواضع إلى زملائي في الدراسة وأخص بالذكر أخي لمقرد محفوظ

إلى مشاعل النور والهداية الأساتذة الكرام الذين تتلمذت على يدهم من مرحلة الابتدائي إلى المرحلة الجامعية، فقد كانوا لي أسوة حسنة وخير قدوة.

إلى روح مشايخنا الطاهرة الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل تحقيق نهضة علمية وفكرية بوادي مزاب.

وإلى جميع المخلصين والغيورين والمحبين لهذا الوطن الغالي.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل العلمي المتواضع.

إبراهيم

شكر وعرفـــــــان

قال الله تعالى: ﴿...رَبِّ أَوزِعْنِيَ أَنَ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنَ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عَبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة النمل الآية (19)

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، الحمد لله كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتقبل القربات، والصلاة والسلام على أشرف خلق محمد صلى الله عليه وسلم، الحمد لله أن وفقني على إتمام هذه الرسالة

لزاما عليّ وأنا أتم بحثي أن أتقد بالشكر الجزيل والاعتراف بالجميل لكل من:

الأستاذ المشرف الدكتور ناصر بالحاج الذي تابع باهتمام كل مراحل هذا البحث من بدايته إلى نهايته، ولم يبخل عليّ بأي معلومات أو نصائح أو توجيهات التي أنارت لنا الطريق إلى إتمام هذا البحث فله مني جزيل الشكر والعرفان

أتوجه بجزيل الشكر أيضا إلى القائمين على مكتبة الشيخ عمي سعيد وجمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، لفتحهم أبواب المكتبة للاستفادة من الكتب القيمة التي تخص منطقة وادي مزاب

وإلى السادة الأساتذة الموقرين وكل أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة غرداية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية وبالأخص أساتذة قسم التاريخ، وإلى كل من قدم لي رأيا أو أسدى نصحا أو نقد فكرة لينير لي الدرب ولو بكلمة طيبة مشجعة

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الأفاضل الذين شرفونا بقبول مناقشة هذه الرسالة

وأخيرا أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدنا على إتمام هذه الرسالة من قريب أو بعيد

فلكل هؤلاء أدعوا الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء سائلين الله لنا ولهم التوفيق والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المختصرات الواردة في البحث

الرمز	المقصود به
تح	تحقيق
تع	تعليق
مج	مجلد
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
ق	قرن
و	ولد
ت	توفي
بـ.د.ن	بدون دار النشر
د.م.ط	دون مكان الطبع
د.ت	دون تاريخ النشر
ج.ش.أ.إ.ظ	جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش
خ.ت	خدمة التراث

مـقــدمـة

- **تمهيد:**

تعد منطقة وادي مزاب من المناطق الهامة في صحراء الجنوب الجزائري، سكانها من البربر المعروفين ببني مزاب، الذين استوطنوا المنطقة في فترات قديمة، وأسسوا فيها حضارة تاريخية وإسلامية راقية، في وسط بيئة صحراوية قاحلة، لا زالت آثارها قائمة إلى يومنا هذا، بحيث تشهد على براعة إنسان ذلك العصر.

يحتل وادي مزاب موقعا استراتيجيا هاما في صحراء الجزائر لكونه يربط بين الشمال والجنوب، فهذا العامل ساهم مساهمة فعالة في التواصل مع الحواضر العلمية الأخرى، وتحقيق نهضة نوعية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ومن خلال هذا فقد برزت علامات النهضة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب مع ظهور الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي بالمنطقة، أي خلال النصف الأول من القرن 5هـ/11م، فقد عمل الشيخ بحزم في سبيل نشر الإسلام والدعوة إلى المذهب الإباضي، حيث تكلّلت جهوده في تحول بني مزاب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي، وما إن حلّ القرن 10هـ/16م حتى عرفت الحياة الفكرية تطورا ملحوظا خاصة بعد قدوم الشيخ عمي سعيد الجربي الذي وُفق في تجسيد نهضة ثقافية رائدة بالمنطقة، من خلال نشر العلم ومحاربة الجهل، وتكوين الأجيال، وكان من ثمار هذه الجهود القيمة أن أصبحت وادي مزاب قبلة للعلماء والطلبة من مختلف الأقطار، واستمر الوضع على هذا الحال خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين أين تسلم المشعل ثلة من العلماء الأجلاء الذين ساهموا بشكل كبير في ارتقاء منطقة وادي مزاب إلى مصاف حواضر العالم الإسلامي، ومركز إشعاع علمي بفضل جهودهم الحثيثة في سبيل نشر العلم وتكوين المثقفين، وتأسيس نهضة إصلاحية وعلمية رائدة.

- **التعريف بالموضوع:**

أ/ **الإطار المكاني**: منطقة وادي مزاب التي شهدت نقلة ونهضة نوعية في المجال الثقافي رغم الظروف الطبيعية الصحراوية القاسية، وتم ذلك بفضل إرادة وعزيمة سكانها وعلمائها الأجلاء الذين تحدوا الصعاب في سبيل تحقيق نهضة علمية وفكرية رائدة وترقية المنطقة إلى مصاف حواضر العالم الإسلامي، من خلال النظم العرفية والمؤسسات الثقافية التي ساهمت بشكل كبير في تثقيف المجتمع المزابي.

ب/ الإطار الزماني: القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين اللذان يعدان من أزهى فترات الحياة الثقافية والفكرية في مزاب، حيث برز فيها العديد من العلماء الأجلاء الذين كان لهم الدور البارز في تنوير المنطقة بعلمهم ومؤلفاتهم المختلفة، وجهودهم الجليلة في المجال الإصلاحي والديني، مخلفين ورائهم تراثا قيما من العلوم، وجيلا من العلماء الذين حملوا المشعل وواصلوا المسيرة من بعدهم.

ج/ الإطار الموضوعاتي: يكتسي موضوع "الحياة العلمية والفكرية بمنطقة واد مزاب خلال القرنين 18 و19م"، أهمية كبيرة كونه يسلط الضوء على الجانب الثقافي للمنطقة ودور العلماء والمجتمع في تنمية هذا الجانب المهم والأساسي في تطور المجتمعات وازدهارها، وبالتالي سأركز في دراستي على الجانب الثقافي الذي يعني الإحاطة بالعلوم والفنون والآداب والمؤسسات الثقافية وشؤون الحياة الخاصة بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19م، من خلال التركيز على الأوضاع الثقافية والحياة العلمية والفكرية، التي بدت معالمها واضحة بالمنطقة بظهور ثلة من الأعلام الأجلاء الذين أناروا المنطقة بعلومهم ومؤلفاتهم القيمة التي بلغت الآفاق وعلى رأسهم العلامة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش.

- **أهداف الدراسة:**

بالنسبة للأهداف التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هي محاولة إبراز الجانب الثقافي والعلمي لمنطقة وادي مزاب الذي شهد رواجا كبيرا في الفترة الحديثة خاصة خلال القرنين 18 و19م، من خلال علماء وطلبة المنطقة الذين كانوا في سعي مستمر من أجل مواصلة مسيرة وإنجازات الأسلاف.

وموضوعنا هذا يهدف إلى الوصول إلى ما يلي:

ـ إبراز دور حلقة العزابة في التربية والتعليم، والمحافظة على القيم والمبادئ الإسلامية التي تضمن تماسك المجتمع وتطوره.

ـ التعريف بالمؤسسات الثقافية التي كان لها دور في تكوين مجتمع مثقف، ودورها الكبير في رص الصفوف وتوحيد الكلمة وتقويم سلوك الأفراد والجماعات.

ـ التعريف بأهم الأعلام والنساخ خلال القرنين 18 و19م الذين حملوا مشعل نهضة الأمة المزابية، وأخذوا على عاتقهم تأصيل الحياة العلمية والفكرية بالمنطقة.

ـ إبراز أهم العلوم النقلية والعقلية التي كانت سائدة بمنطقة وادي مزاب.

- **أسباب ودوافع اختيار الموضوع:**

لقد دفعتني عدة أسباب ودوافع لخوض غمار دراسة الأوضاع الثقافية لقصور وادي مزاب، حيث هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

الأسباب الذاتية: الرغبة في خوض مثل هذه الدراسات المتعلقة بالجانب الثقافي لقصور وادي مزاب، لميولي الشخصي لمثل هذه المواضيع، ولكوني ابن المنطقة فقد أردت أن أكون ممن يحظى بهذه الدراسات للتعرف أكثر على مساهمة حلقة العزابة والعلماء في الحياة العلمية والفكرية رغم قلة الإمكانيات والوسائل، وهو الأمر الذي يدعوا إلى أخذ العبرة والاقتداء بهم لأنهم بحق كونوا حضارة إسلامية راقية يشهد لها الجميع.

ـ الرغبة في المساهمة في إخراج ودراسة تاريخ المنطقة وإثراء البحث العلمي.

الأسباب الموضوعية: لقد كانت هناك مجموعة من الأسباب الموضوعية منها:

ـ المساهمة في التأريخ للمنطقة في الجانب الثقافي الذي لم يلق الاهتمام الكبير من قبل الباحثين، أو نادرا ما نجد بحوثا تتناول الواقع الثقافي لقصور وادي مزاب.

ـ التعرف على دور أعلام بني مزاب الذين ساهموا في إرجاع منطقة وادي مزاب معلما حضاريا راقيا، ومركز إشعاع علمي رائد.

ـ التعرف على مدى مساهمة حلقة العزابة ودورها في تنشيط وتطوير الجانب العلمي والثقافي بوادي مزاب من خلال التركيز على التربية والتعليم وتكوين الأجيال ليكونوا خير خلف لخير سلف.

ـ وكذا بغية معرفة الأسباب والعوامل التي أوصلت منطقة وادي مزاب إلى مصاف حواضر الجزائر والعالم الإسلامي، إضافة إلى اهتمامي الشخصي بمثل هذه المواضيع باعتبار أنها جزء من تاريخي، ولقلة المواضيع التي تتناول هذا الجانب، لذلك أسعى من خلال هذه الدراسة إبراز الجانب الثقافي والعلمي لمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19م.

- **الإشكالية:**

شهدت منطقة وادي مزاب حركة ثقافية ونهضة فكرية واسعة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، بظهور نخبة من العلماء الذين ساهموا في تنوير المنطقة بعلمهم ومؤلفاتهم القيمة، ومنه فالإشكال المطروح:

كيف كانت الأوضاع الثقافية لمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19م؟ وما هي أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار وتطوير الحياة العلمية والفكرية في منطقة وادي مزاب؟ وهل تمكنت وادي مزاب من إثبات نفسها بين حواضر ومراكز الإشعاع العلمي في العالم الإسلامي؟

ومن خلال هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

_ ما مدى مساهمة حلقة العزابة في الحياة العلمية والفكرية بوادي مزاب؟

_ إلى أي مدى ساهمت المؤسسات الثقافية في إثراء الرصيد العلمي والفكري لمنطقة وادي مزاب؟

_ من هم أهم أعلام المنطقة الذين بفضل إنتاجهم الفكري والمعرفي استطاعت المنطقة مسايرة حواضر العالم الإسلامي؟

_ ما مدى مساهمة النساخ المزابيين في حفظ التراث العلمي والفكري لعلماء وادي مزاب؟

_ما هي أبرز العلوم التي كانت سائدة في تلك الفترة؟

- **المنهج المعتمد في الدراسة:**

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على عدة مناهج هي:

المنهج الوصفي الذي تطرقنا من خلاله إلى وصف المظاهر الطبيعية والجغرافية لمنطقة وادي مزاب من حيث الموقع الجغرافي والفلكي والطبيعي، والعوامل المناخية السائدة بالمنطقة.

أما المنهج التاريخي فتطرقنا من خلاله إلى استعراض نبذة تاريخية عن منطقة وادي مزاب ومن حيث المسار التاريخي من الفترات القديمة إلى القرن التاسع عشر ميلادي، متتبعين المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة، كما تطرقنا إلى المؤسسات الثقافية للمنطقة ودورها في تنشيط الحياة العلمية والفكرية، حيث وقفنا على حقائق تاريخية أظهرت دور منطقة وادي مزاب ومساهماتها الكبيرة في الحركة العلمية بالجزائر رغم الظروف الصعبة والقاسية التي أحاطت بها.

وأيضا استعملت المنهج التحليلي في تفسير وتحليل بعض الأحداث والمعطيات التي أثرت في الحياة الثقافية بالمنطقة من خلال دراسة مؤثراتها خلال الفترة المدروسة مستندين على أهم المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع.

- **خطة البحث:**

تتكون خطة الموضوع الموسوم بـ: "الحياة العلمية والفكرية بمنطقة واد مزاب خلال القرنين 18 و19م"، من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

فالمدخل أو الفصل التمهيدي خصصناه للتعريف وإعطاء نبذة عن الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة وادي مزاب، والذي هو بمثابة تمهيدا للموضوع.

_ الفصل الأول: عنوانه: "عوامل ازدهار الحياة العلمية والفكرية في وادي مزاب"، حيث تطرقنا فيه إلى دور حلقة العزابة في التربية والتعليم التي كان هدفها نشر العلم ومحاربة الجهل والبدع من خلال الإصلاح الديني وتشجيع الناس على تلقي العلم، كما أشرنا إلى تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية اللذان ساهما بشكل كبير تنشيط الحياة العلمية بالمنطقة، وكانا سببا في بروز نهضة علمية وفكرية رائدة التي كان لها الأثر المحمود في مختلف نواحي حياة المجتمع المزابي.

_ الفصل الثاني: فكان عنوانه: "الحياة العلمية والفكرية في وادي مزاب"، وكانت بدايته باستعراض المؤسسات الثقافية وهي المساجد والمحاضر والمدارس والمكتبات بالإضافة إلى طرق ومناهج التعليم، بحيث ساهمت هذه المؤسسات في تأصيل الحياة العلمية وبلورتها، كما تطرقنا إلى ذكر أبرز علماء ونساخ القرنين 18 و19م الذين خلفوا لنا تراثا عظيما من الإنجازات الفريدة في مختلف المجالات.

_ الفصل الثالث: كان عنوانه: "تطور العلوم النقلية والعقلية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19م" فخصصناه في ذكر الإنتاج العلمي للعلماء المزابيين، وانقسم إلى قسمين: فالأول كان حول العلوم النقلية حيث تطرقنا فيه إلى التفسير وعلوم القرآن، الحديث الشريف، العقيدة والفقه، اللغة العربية وعلومها، والقسم الثاني كان حول العلوم العقلية وتطرقنا فيه إلى التاريخ والسيرة النبوية، العلوم الطبيعية والفلسفية، العلوم الفلكية والرياضية.

وأنهينا بحثنا بخاتمة استعرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة.

وأتبعنا هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق التي تخدم موضوع البحث، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، وأخيرا الفهرس العام.

- **أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:**

طبقات المشايخ لأحمد بن سعيد الدرجيني والذي أفادنا في معرفة النظام التعليمي السائد بمنطقة وادي مزاب، بالإضافة إلى التعريف بحلقة العزابة ودورها الاجتماعي، كتاب السير لأبي عمار عبد الكافي الذي أفادنا كذلك في التعريف بحلقة العزابة ونظمها وسيرها، تاريخ ابن خلدون أفادنا في الجزئية الخاصة بأصل سكان بني مزاب ونسبهم وأصل كلمة مزاب، وصف إفريقيا لحسن الوزان وقد أخذنا منه موقع منطقة وادي مزاب.

ومن المصادر المحلية الرسالة الشافية لمحمد بن يوسف اطفيش التي زودتنا بمعلومات قيمة حول التعريف بمدن وادي مزاب وتاريخ تأسيسها، ورحلة المصعبي لإبراهيم بن بيحمان التي أفادتنا في معرفة بعض مؤلفات الكاتب، والتعريف ببعض أعلام وادي مزاب، وغيرها من المصادر المهمة التي أثرت موضوع البحث.

ومن المراجع الهامة التي أفادتني في مختلف فصول البحث نذكر:

_ بكير بن سعيد أعوشت، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية.

_ حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، الجز الأول.

_ صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، الجزء الثاني.

_ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر.

_ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب.

_ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، الجزء الأول.

_ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية.

كما أفادتني مجموعة من الرسائل الجامعية نذكر منها:

_ إبراهيم زدك: الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م.

_ بالحاج ناصر: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين (9-13هـ/15-19م).

_ بلحاج معروف: العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب من خلال بعض النماذج.

_ صالح بن عمر اسماوي: نظام العزابة ودورهم في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب.

_ فهارس المخطوطات المختلفة التي تشمل فهرسة وجرد للإنتاج العلمي والفكري لعلماء وادي مزاب.

كما اعتمدت على مراجع أخرى لا تقل أهمية عن التي ذكرناها، بالإضافة إلى مقالات ورسائل جامعية خدمت موضوع البحث، كما اعتمدت على بعض العناوين باللغة الفرنسية.

- **صعوبات البحث:**

_ صعوبة الحصول على المصادر في شكلها المادي الكتابي وهو ما كلفنا جهدا كبيرا في التنقل بين المكتبات لانتقاء المادة العلمية، وهو ما جعلنا نعتمد بشكل كبير على المصادر الإلكترونية.

_ الاختلاف والتضارب في بعض التواريخ خاصة ما تعلق بتأسيس مدن وادي مزاب.

_ قلة المادة العلمية المتخصصة حول موضوع البحث، لذلك يتطلب منا نحن الباحثين الاهتمام أكثر بالدراسات المتعلقة بالجانب العلمي والثقافي لمنطقة وادي مزاب، وبذلك بالعمل على تحقيق المزيد من المخطوطات والتي بالتأكيد ستضيف كما معرفيا ثريا، وتكشف العديد من الحقائق حول الحياة العلمية والفكرية وعوامل النهضة بوادي مزاب.

_ صعوبة التدقيق والإحاطة بكل جوانب الموضوع وذلك لما احتوته حدود موضوع الدراسة (القرنين 18 و19م) من أحداث تاريخية مهمة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف على نصائحه القيمة حتى يخرج هذا العمل في أحسن حالاته، والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المدخل: نبذة جغرافية وتاريخية عن وادي مزاب

أولا: الإطار الطبيعي والجغرافي لمنطقة وادي مزاب

ثانيا: الإطار التّاريخي والحضاري لمنطقة وادي مزاب

1_ الإطار الطبيعي والجغرافي لمنطقة وادي مزاب:

أ_ الموقع الفلكي والجغرافي:

تقع منطقة وادي مزاب أو بلاد الشبكة كما تعرف في شمال الصحراء الجزائرية، وتمتاز عن بقية المناطق المجاورة لها بطبيعتها القاسية، فهي صحراء ضمن صحراء[1]، وتبعد عن العاصمة بمسافة 600 كم ناحية الجنوب، ويحد بلاد مزاب من الشمال الشرقي واحة الأغواط، وصحراء أولاد نائل، ومن الشرق واحات حجيرة ولعلية وغيرها، ومن الغرب وادي زرقون، ومن الجنوب واحة وارجلان[2]، وتوجد منطقة وادي مزاب على ارتفاع 515 متر من سطح البحر[3]، بحيث تقع عاصمة الولاية غرداية في تقاطع خط العرض الشمالي 38.30 وخط الطول الجنوبي 30.45 [4]، ومساحة بلاد الشبكة حوالي 38 ألف كم2[5]، يحدها شمالا وادي وريغنو الذي يصب في وادي انسا، ومن الغرب وادي زرقون، وتحاذي شرق زلفانة والقرارة، أما جنوبا فيحدها وادي متليلي[6].

منطقة وادي مزاب التي تقع بجنوب الجزائر العاصمة ما بين خطي عرض 15، 31° شمالا إلى 33°، وخطي طول 30، 2° شمالا 5°، فهي ضمن مجموعة الهضاب التي تغذي التلال الرملية، ولكن حدودها تختلف باختلاف التنظيمات الإدارية للدول الحاكمة منذ العهد العثماني إلى الآن، واشتهرت المنطقة جغرافيا بأرض الشبكة، ولها خاصيات معينة وهي: تنحدر تدريجيا نحو العرق الكبير، تتخللها

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، ط4، المطبعة العربية، غرداية، 2017م، ص1.

[2]_ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص 160.

[3]_ بكير بن سعيد أعوشت: **وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا**، المطبعة العربية، غرداية، 1991م، ص 20.

[4]_ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1157هـ/1744م إلى 1382هـ/1962م**، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 2011م، ص56.

[5]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 1.

[6]_ يحي بوراس: **العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر قسم الآثار، 2001-2002م، ص1.

الشعاب والأودية[1]، وترتفع المنطقة عن مستوى سطح البحر بـ 780 متر في الجهة الشمالية الغربية، وتحديدا في رأس الريحة جنوب حاسي الرمل، بحيث يقل الارتفاع تدريجيا كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى حوالي 300 متر[2].

وسميت ببلاد الشبكة نظرا لتشابك أوديتها بين قراها[3]، ويرجع ذلك إلى طبيعة صخور المنطقة ذات الأصل الكلسي الصلب التي تعرضت عبر الأزمنة الجيولوجية إلى عملية حث نتيجة للعوامل المناخية، مما نتج عنها بروز العديد من الوديان المتشابكة، وهو ما أعطاها اسم الشبكة، وأهم هذه الوديان واد مزاب الذي يبلغ طوله حوالي 320 كلم[4]، وهذه الشبكة تتخللها الأودية الرئيسية للمنطقة وهي: وادي مزاب، وادي زقرير، وادي متليلي، وادي النسا، وادي بلوح[5]، وهذه الأودية كلها لا يتجاوز عمقها 100 متر، وتتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب ورقلة[6]، ولذلك تعتبر بلاد الشبكة ذات أهمية كبيرة حيث هي بمثابة العمود الفقري للصحراء بتوجيه مياه الأمطار نحو الشرق والغرب بعيدة عن استغلالها من طرف سكان مزاب، حيث تقوم الأودية ذات الخصائص الصحراوية بإبعادها، مثل وادي مزاب ووادي متليلي ووادي سبسب إلى نواحي بعيدة، أما وادي زقرير المنحدر من هضبة الضاية بنواحي الأغواط فإنه يتجه بمياهه الغزيرة إلى واحة القرارة[7]، وبلاد مزاب هي الجزء الأكبر من بلاد الشبكة وتضم اليوم المدن السبع: غرداية، مليكة، بني يزقن، بونورة، العطف، بريان والقرارة، أما بنو مزاب فلا يسمون بلادهم في لغتهم البربرية إلا (أَغْلاَنْ)

---

[1]_ صالح بن عمر اسماوي: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-1987م، ص 2.

[2]_ A. Coyne: **Le Mzab,** Adolphe Jourdan, Alger, 1987, p3.

[3]_ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص57.

[4]_ بالحاج ناصر: **النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين 9-13هـ/15-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2014م، ص 17.

[5]_ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 20.

[6]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 1.

[7]_ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، ط1، المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، القرارة-الجزائر، 2005م، ص، ص 592-592.

ويطلقون على وادي مزاب اسم (إِغْزَرْ أَوَّغْلاَنْ)، علما أن (إِغْزَرْ) كلمة مزابية معناها وادي[1]، ويطلق عليها مدن سهل مزاب الست وهي من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي: الضاية وغرداية ومليكة وبني يزقن وبنورة والعطف، وهناك من يضيف إليها مدينة متليلي في الجنوب وزلفانة في الجنوب الشرقي[2].

يقول عنها حسن الوزان: "مزاب منطقة مأهولة في قفار نوميديا على بعد نحو ثلاثمائة ميل شرق تيكورارين، وعلى نفس المسافة من البحر المتوسط، تشتمل على ستة قصور وعدة قرى، سكانها أغنياء، وهي أيضا رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان"[3].

مركزها الحالي ولاية غرداية وهي على الطريق الوطني رقم 1 الرابط بين عاصمة الجزائر وتمنراست[4]، وتعرف هذه المنطقة إداريا باسم ولاية غرداية (نسبة إلى قصر غرداية عاصمة الولاية)، يحدها من الشمال ولاية الأغواط والجلفة، وجنوبا ولاية تمنراست، ومن الجنوب الغربي ولاية أدرار، ومن الشمال الغربي ولاية البيض، ومن الشرق ولاية ورقلة[5]، وتتربع المنطقة على مساحة قدرها ثلاثة ملايين هكتار أو (2.750.000 هكتار)[6].

ب/ التضاريس:

تنتمي منطقة وادي مزاب إلى الحزام الشمالي للصحراء الإفريقية، وتتكون من منخفض كريتاسي الذي ينقسمّ إلى حوضين، حوض قورارة وحوض ملغيغ التابعان للصحراء الدنيا، بحيث تفصلهما هضبة

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 3.

[2]_ مجموعة من الباحثين: **معجم مصطلحات الإباضية**، ج2، ط2، دار الوعي، الجزائر، 2012م، ص526.

[3]_ الحسن بن محمد الوزان: **وصف إفريقيا**، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص، ص 134-135.

[4]_ A. Coyne: op.cit. , p3.

[5]_ مصطفى دودو: **نظام تقسيم واستغلال مياه السيل بوادي مزاب عوامل التلف وآليات المحافظة**، رسالة ماجستير في الصيانة والترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2015م، ص 14.

[6]_ محمد وقاد: **جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1112هـ/1246هـ/1700م/1830م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010م، ص 38.

مكونة من حزام عمودي متصلة بسلسلة الأطلس الصحراوي شمالا، وبهضبة تيديكالت المتصلة بدورها بسلسلة الأهقار[1].

إن هذه المنطقة الهضبية تكونت في العصر الجيولوجي الثاني وتحديدا في العصر الطباشيري، وكانت قد تعرضت خلال الزمن الجيولوجي الرابع إلى عملية حت طويلة الأمد، عن طريق الأنهار القوية والرياح الشديدة، والذي ساهم في ظهور أخاديد وشعاب ووديان عميقة في عدة اتجاهات، ما جعل سكان الصحراء يطلقون على هذه الظاهرة الطبيعية تسمية "بلاد الشبكة"[2]، ومن أهم روافدها وادي مزاب الذي يتوسط الهضبة تقريبا ويشكل أكبر جزء منها حيث يستمد مجراه ابتداء من الشمال الغربي للهضبة، ليتجه نحو الجنوب الشرقي لينتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب ورقلة[3].

انطلاقا من المعطيات الجيولوجية، فإن بلاد الشبكة تتألف من سلسلة هضبات قليلة الارتفاع، تجعل منها شبه منطقة مستقلة عسيرة الاتصال بما يجاورها من مناطق الصحراء الجزائرية الأخرى، كما تجعل صفحتها المتكونة من أحجار الجص والمنبسطة الأفق[4]، ذات اللون الرمادي المائل إلى اللون الأسود، وتميل الطبقات الكلسية العلوية منها إلى اللون الأسمر الضارب إلى البني أو اللون الأسمر المائل إلى الصفرة، ثم تختلط هذه الطبقات الكلسية في الأخاديد بالجبس، ليتم فيما بعد استغلال هذه الصخور الجبسية الكلسية كمادة في البناء[5].

---

[1]_ عمر بن محمد زعابة: **آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في وادي مزاب**، أطروحة دكتوراه في حفظ وتسيير التراث الأثري، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016م، ص 64.

[2]_ يحي بوراس: المرجع السابق، ص 2.

[3]_ سليمان قزريط: **المنشآت الدفاعية بقصر بنورة (منطقة وادي مزاب) دراسة أثرية**، رسالة ماستر في علم الآثار الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م، ص 9.

[4]_ مفدي زكرياء: **أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره**، تح: إبراهيم بحاز، ط1، منشورات ألفا، قصر المعارض، الجزائر، 2010م، ص 69.

[5]_ بالحاج معروف: **العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب–من خلال بعض النماذج**، أطروحة دكتوراه في تاريخ العمارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان، 2002م، ص 46.

تتواجد طبقة مياه ما بين 20 و25 متر تحت الطبقات السطحية لمناطق الأودية، فهذه المياه ليست مستمرة، وغير منتظمة تقريبا، فعندما يكاد الانتهاء من حفر الآبار، نسمع أصوات مياه جوفية قادمة بضجيجها، مشابهة حركة الصخور، وهذه المياه هي مياه ذات جودة عالية، حرارتها ما بين 20°_21°، في كل الفصول كما أن حجم المياه الجوفية يرتفع وينخفض تبعا للسنوات الممطرة، وعمق الآبار في معدل 25 و35م[1].

لا تتواجد في منطقة وادي مزاب عيون وآبار كثيرة، أو حتى مياه تجري على سطح الأرض وهذا طول أيام السنة وحتى في أوقات معلومة منها، والمياه الجوفية تتمول من مياه السيل السطحية، حيث تحتجز بواسطة طبقة صلصالية مانعة إياها من التسرب في عمق الطبقات الدنيا، وبذلك فهي تشكل جيبا مائيا متقطعا[2]، فواحات بلاد الشبكة تمتاز بكثرة العمران وقلة المياه، بحيث يجتهد السكان بشكل مستمر للحصول على الماء من الآبار[3].

وادي مزاب يستقبل مياه وادي لعديرة ووادي لبيض ووادي توزوز ويسقي واحة غرداية وواحة مليكة، ثم تنسكب فيه من الغرب مياه وادي انتيسا الذي يسقي واحة بني يزقن، ومن الشرق مياه وادي أزويل الذي يسقي بدوره جزءا من واحة بونورة، ثم يتجه وادي مزاب إلى العطف فزلفانة، وينتهي في سبخة الهيشة على بعد ستة عشر كيلو مترا من نقوسة شمال ورقلة.

إن شبكة وادي مزاب متكونة من عدة أودية مرتبطة ببعضها البعض وهي: وادي توزوز، وادي أنتيسة، وادي أزويل، وادي نومرات، وادي نيمل، وادي لالفة، وادي أوريرلو، وادي متليلي، الذي يتجه

---

[1]_ إبراهيم زدك: **الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10–13هـ/16–19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م، ص 14.

[2]_ يحي بوراس: المرجع السابق، ص 3.

[3]_ أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م، ص 45.

من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي باتجاه منطقة غامسة المنخفضة، والتي تعد النهاية الجنوبية لحدود بلاد بني مزاب[1].

تعد أودية منطقة وادي مزاب أودية جوفية يظهر أثرها على سطح الأرض، وتغوص مياهها في باطن الأرض على عمق ثلاثين مترا تقريبا، بينما لا يحدث سيلانها على وجه الأرض إلا نادرا وعلى أجزاء محدودة منها، وذلك عندما تتغلب غزارة الأمطار على سرعة التبخر في الجو وسرعة امتصاص الأرض لها[2]، ونظرا لطبيعة المياه الجوفية بوادي مزاب، فقد عانى المزابيون الأوائل كثيرا من أجل حفر الآبار على عمق 80 متر للبئر الواحدة بوسائل تقليدية بسيطة[3].

إن لكل مدينة من المدن السبع بمزاب واد أو عدة أودية وروافد كثيرة تغمر الأجنة بمياه الأمطار من خلال السدود في تقسيم عادل وبالتساوي بين الأجنة بحيث لا تحرم الصغيرة من قسطها منها ولا تستحوذ الكبيرة على الحظ الأوفر منها، وذلك بحسب نظر وتخطيط أمناء كل مدينة، وقد تحدث هذه الأودية فيضانات تسبب أضرار كبيرة، وذلك في النادر جدا، مثل الفيضان الكبير في سنة 1900م المعبر عنه بالمساح، والمساح بعده في 9 فيفري 1914م[4].

ج/ المناخ:

تمتاز منطقة وادي مزاب كغيرها من المناطق الصحراوية الأخرى بمناخ حار وجاف[5]، وهو مناخ قليل الرطوبة إلا في حالة نزول الأمطار في الشبكة أو حولها، وتختلف درجات الحرارة بين الشتاء والصيف، وأيضا بين الليل والنهار، أما في الشتاء فإن أقصى درجة تبلغ 30 درجة وأما أدناها فتبلغ 1 درجة، وأما الصيف فإن أقصى درجة تبلغ 48 درجة وأدناها فتبلغ 20 درجة[6]، لذلك فهواء المنطقة جاف جدا، ومما يزيده جفافا الرياح القوية المثيرة للرمال القادمة من الجنوب الغربي خاصة في نهاية

---

[1]_ Charles Amat: **Le Mzab et les Mozabites, Librairie Algérienne et coloniale,** Paris, 1888, p. p 51-52.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 2.

[3]_ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، المرجع السابق، ص 74.

[4]_ حمو عيسى محمد النوري: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، مج 1، دار البعث، قسنطينة، 2000م، ص 146.

[5]_ Claude Pavard: **Lumières Du M'zab,** Edition Bilroisse, Paris, France, p 06.

[6]_ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 21.

الشتاء وبداية الربيع، ومن أسباب هذا الجفاف قوة إشعاع الضوء بالنهار وتباعد الحدين الأدنى والأقصى لدرجات الحرارة خلال اليوم الواحد[1].

إن المناخ في منطقة وادي مزاب مناخ صحراوي جاف، ويعود لعوامل المناخ المختلفة كالحرارة والرطوبة والتساقط ومفعول الرياح، بحيث يتميز بصيف حار وجاف وشتاء بارد ورطب نسبيا، ومن العوامل التي تزيد من ارتفاع الحرارة في المنطقة هي طبيعة الكتل الصخرية التي تحيط بالوادي وتشكل بمثابة تكتلات حرارية، درجة الحرارة في البيوت تتراوح ما بين 35° و40° خلال فصل الصيف مما يشجع الهجرة الفصلية نحو الواحات.

ومن مميزات المناخ الصحراوي انخفاض درجة الرطوبة ويرجع ذلك لقلة المسطحات المائية وارتفاع درجات الحرارة، لكن نشهد ارتفاعا نسبيا لها خلال فصل الشتاء عكس فصل الصيف الذي تسجل فيه أدنى مستوى لها[2].

د/ التساقط:

أما عن التساقط فهي منطقة قليلة الأمطار لا يتجاوز معدل السقوط فيها 67 ملم سنويا، وهذا ما جعل وديانها قليلة السيلان عموما[3]، وقد تزيد نسبة التساقط عن هذا العدد في بعض السنوات وكذلك قد تشح السماء أحيانا وينزل المعدل إلى معدلات منخفضة جدا قد تصل إلى 10 ملم في السنة[4]، ومع هذا تتمتع المنطقة بالمياه الجوفية ولكنها ليست قريبة من السطح، فالعمق العام للآبار بالنسبة للسطح يتراوح ما بين ثمانية وخمسين مترا، ويبلغ سمك الطبقة السائلة ما بين (0-17متر)، وتبلغ درجة حرارة المياه ما بين (20 إلى 24 درجة مئوية)، فهي لا تتأثر بالحرارة الخارجية[5].

الأمطار بمنطقة وادي مزاب فجائية وغير مستقرة وهي سمة التساقط بالمناطق الصحراوية، مع تعرضها أحيانا إلى ظاهرة الجفاف الذي قد يمتد إلى عدة سنوات كما تكون أحيانا غزيرة وبكثافة، تؤدي إلى كوارث وفيضانات على غرار فيضانات المساح 1900م، مساح 1914م، ومساح 1 أكتوبر

---

[1] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 1.

[2] _ عمر بن محمد زعابة: المرجع السابق، ص، ص 65-66.

[3] _ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص 56.

[4] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 22.

[5] _ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، المرجع السابق، ج2، ص 593.

2008م[1].

هذه الظاهرة الطبيعية للتساقط المطري تساهم بشكل كبير في ارتفاع منسوب مياه الأودية وفي مدة زمنية قصيرة جدا، ففي شتاء موسم: 1883-1884م وهو الموسم الذي شهد نسبة عالية من الأمطار، لم يكن كاف على سيلان وادي مزاب نظرا لطول فترة جفافه في المواسم السابقة، لكن مع ذلك ففي تاريخ 04 أكتوبر 1883م امتلأت واحات بريان بالمياه المطرية، بفضل قوة فيضان وادي السودان[2].

إن أكثر الأودية سيلانا في بلاد الشبكة وادي زقرير وأقلها وادي مزاب، فمصالح الأرصاد الجوية سجلت ما بين سنة 1921م و1937م ثمانية عشر سيلانا لوادي زقرير بالقرارة، بينما لم يجري وادي مزاب في تلك الفترة بغرداية سوى تسع مرات، أما وادي نْسَا فقد سال بحاسي ربيب خمس عشرة مرة، ووادي متليلي اثنتي عشرة مرة[3].

هـ/ الرياح:

في الشتاء تهب الرياح من الشمال والشمال الغربي، ومن الغرب وغالبا ما تكون الرياح الشمالية محملة بالرطوبة، وفي الصيف تعصف الرياح جنوبية وجنوبية شرقية وتكون حارة وجافة تُعرف بالسيروكو، وشرقية شمالية شرقية وهي الأكثر هبوبا، أما في فصل الربيع خاصة خلال أشهر: مارس، أفريل، ماي فتهب الرياح جنوبية غربية، وتكون قوية ومحملة بالعواصف الرملية الكبيرة، ومعدل هبوبها في المتوسط 20 يوما[4].

[1]_ عمر بن محمد زعابة: المرجع السابق، ص 66.

[2]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 16.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 2.

[4]_ يحي بوراس: المرجع السابق، ص 4.

إن بلاد الشبكة تمتاز بشح غطائها النباتي نظرا لطبيعتها الصحراوية القاسية المعروفة بالجفاف والحرارة، باستثناء عدد قليل من واحات النخيل التي تحيط بالمدن، بحيث تنتشر هذه الواحات في الجزء الصالح للزراعة والفلاحة، وتسقى هذه الواحات من المياه الجوفية وذلك باستخدام الآبار[1].

2_ الإطار التاريخي والحضاري لمنطقة وادي مزاب:

إن منطقة وادي مزاب شهدت فترات تاريخية هامة، فقد كانت آهلة بالسكان منذ أمد بعيد، رغم قساوة الطبيعة إلا أنهم أسسوا في تلك الربوع حضارة فريدة من نوعها تشهد على براعة الإنسان الذي عمّرها، ومن خلال هذا العنصر سنلقي نظرة على أصل السكان، مرورا بالفترات التاريخية للمنطقة.

أ/ أصل سكان وادي مزاب:

يذكر المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون أن أصل تسمية وادي مزاب "من بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة كما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب، وهذا الاسم اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين (...)، وضعوها في أرض حرة على آكام وضراب ممتنعة في قننها، وبينها وبين الأرض الحجرة المعروفة بالحمادة في سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد فراسخ في ناحية القبلة، وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب"[2].

ومصاب هذا هو مصعب بن محمد بن بادين، انتقل بنوه إلى بلاد الشبكة مع بني إخوته عبد الواد وتُجِينْ وَزَرْدَالْ، وهم من الطبقة الثانية من زناتة، ويورد الشيخ أبي إسحاق اطفيش في هذا الصدد، أن هجرة بني مصعب إلى بلاد الشبكة تمت في القرن الثاني من الهجرة، ووقعت لأسباب سياسية حسب رأي ابن خلدون[3].

---

[1]_ سليمان قزريط: المرجع السابق، ص 11.

[2]_ عبد الرحمن بن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيت الأفكار الدولية، عمّان-الأردن، د.ت، ص 1835.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 6.

ويقول الشيخ مبارك الميلي في نسب بني مزاب: "ومن أفخاذ بادين مصاب بالوطن المعروف بهم المدعو اليوم مزاب، والزاي والصاد متقاربان (...)، وبنو عبد الواد الذين بمزاب من بني مطهر بن يمل بن يزقن بن القاسم، وقال أبوراس بمزاب لماية وأخلاط من صنهاجة وغيرهم[1].

ويذكر الشيخ علي يحي معمر أن سبب التسمية: "يبدو لي أن التسمية الأصلية لهذه الأرض هي بادية بني مصعب، لأن بني مصعب هم الذين كانوا يعمرون هذه المنطقة، وينتقلون بين أجزائها، فكانت لهم منتجعا ومرتعا، ولما كانت هذه البادية تخترقها وديان ثلاثة على شكل جبال طويلة وتعترضها سلاسل ممتدة من الجبال شابهت في صورتها الشبكة، فأطلق عليها أيضا أرض الشبكة (...) فأنا أرجح بدون استناد إلى أدلة كافية أن كلمة "ميزاب" محرفة عن مصعب أو مصاب أو مضاب، وهذه الكلمات الثلاثة ترد كثيرا في المصادر التي تتكلم عن تلك المنطقة، أو عن الأشخاص الذين ينتسبون إليها، مما يدل أن أصلها واحد، فأصل الكلمة يبدو مصعب ثم حرفت إلى مصاب بإبدال حرف العين همزا، وحروف الحلق عن البربر ينوب بعضها على بعض، فكثيرا ما ينطقون الخاء بدل الحاء، والهمز بدل بدلا من العين، بل ربما كان حرف العين من أعسر الحروف نطقا عليهم، ولذلك فتجري ألسنتهم بالهمز بدلا عنها، ثم سهلت الهمزة فقرأت الصاد ممدودة، ثم أن هذه الصاد حرفت مرة أخرى فنطقها بعض ضادا، ونطقها البعض زايا لتقارب مخرجي الضاد والزاي"[2].

ويذكر محمد علي دبوز أن: "أماكن وادي مزاب كانت موطنا لزناتة وكذلك مدينة الأغواط فإنها للقبيلة البربرية الأغواط من زناتة، وعلى العموم فإننا نجد في الأغلب البرانس في السواحل، والبتر في الوسط المغرب الكبير وجنوبه"[3].

ويذكر الشيخ عبد الرحمن بكلي أن: "سكان مزاب الأصليون من قبيلة بني مصعب البربرية، فرع زناتة"[4]، وتتفرع زناتة إلى خمسة فروع، من بينها وَاسِينْ، ومن بطونه بنو مرين وبنو راشد وبنو بادين[5].

---

[1]_ مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، د.ت، ص 214.

[2]_ علي يحي معمر: **الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة الإباضية في الجزائر**، ط3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008م، ص 301.

[3]_ محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ج1، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م، ص 44.

[4]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 18.

[5]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 6.

وحسب يوسف الحاج سعيد أن سبب تحريف اسم مصعب إلى مزاب راجع إلى أن البربر لا يستطيعون النطق بالعين محققة، بل ينطق بها همزة، وقد يسهلها إلى الألف، ويظهر هذا جليا في بعض المخطوطات القديمة، فنقرأ فيها: أمي سعيد وأمي عيسى، وهذا بدلا من عمي سعيد وعمي عيسى، ثم إن تقارب مخارج الصاد والزاي والضاد من جهة، ثم تعدد اللهجات والألسنة من جهة أخرى، وتقادم العهد من جهة ثالثة أدت إلى اختلاف النطق لهذه الكلمة، فقد قالوا: مصعب ومصاب ومضاب ومزاب وميزاب، وما يعطي السند لهذا الرأي هو إبدال بني مزاب للصاد زايا مفخمة في بعض الكلمات العربية مثل الصلاة أصبحت (تْزَالِيتْ)، والصوم أصبحت (أَزُومِيْ)[1].

ويشير الشيخ اطفيش في كتابه: "الرسالة الشافية" حول تسمية مزاب حيث قال: "جرى تسمية أهل هذه القرى الخمس بل السبع بني مزاب بضم الميم وتخصيصهم بهذا الاسم، ثم ظهر لي أن ذلك تحريف وأن الصواب في ميزاب بميم بعدها ياء مبدلة من واو، ومعنى بني ميزاب أصحاب الميزاب...، مأخوذ من وزب الماء يزب كوعد يعد أي سال وانحدر"[2].

ويطلق لفظ المزابي على كل فرد إباضي قاطن بمنطقة "وادي مزاب" التي عمرت منذ أمد بعيد من طرف قبائل زناتة البربرية وأتباع المذهب الإباضي الذين كانوا في البداية على مذهب المعتزلة، إذا فالإباضي والمزابي مدلول واحد لكلمة واحدة، فكل سكان الشبكة أو وادي مزاب هم مزابيون[3].

لقد كانت هناك هجرات جماعية وفردية على مر القرون من شتى الأرجاء نحو منطقة وادي مزاب، على غرار سدراته، وارجلان، وادي ريغ ونفوسة وجربة وغيرها من المناطق المختلفة، وقد كان هؤلاء المهاجرون إما إباضية أو أنهم اعتنقوا المذهب الإباضي عند استقرارهم بالمنطقة، فأصبحت تسمية بني مزاب تشمل حتى هؤلاء المهاجرين الجدد الذين ساهموا بقوة رفقة سكان المنطقة في تشييد قصور وادي مزاب السبعة، لينتج لنا مجتمعا راقيا متحضرا متمسكا بدينه وأصوله، فكوّن لنفسه نمطا حضاريا متميزا يتسم بالنظام المحكم وحسن التسيير[4].

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 7.

[2]_ امحمد بن يوسف اطفيش: **رسالة شافية في بعض التواريخ**، مخطوط، معهد الدراسات الإسلامية، تحت رقم: A864 R، C831، بـ.د.ن، د.م.ط، د.ت، ص، ص 55-56.

[3]_ محمد وقاد: المرجع السابق، ص 34.

[4]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص، ص 57-58.

لغة سكان بني مزاب "المزابية" أصلها زناتي، وهي قريبة جدا من القورارية والشاوية والشلحية والنفوسية، ومن مميزاتها الابتداء بالساكن كقولهم: (تْمَارتْ) للحية، و (تْفُويْتْ) للشمس، أيضا يمكن اجتماع ساكنين أو أكثر كما في المثالين السابقين، ومن الخصائص أيضا البدء بتاء التأنيث في أول الاسم فنقول (تَبَجْنَ) للرأس، وقد يكون المؤنث في الميزابية مختوما بتاء كذلك، منها (تَمَطُّتْ) للمرأة و (تْوَارَتْ) لأنثى الأسد، ولا نجد في اللغة المزابية صيغة التثنية، كما أن اللغة المزابية تأثرت كثيرا باللغة العربية لغة القرآن، غير أن الألفاظ المقتبسة منها لم تبق على هيئتها الأولى، بل صاغها المزابيون على حسب قواعد لغتهم، فانسجمت مع المزابية، ومن الأمثلة على ذلك: كلمة (أَمْبَارَشْ) أصلها مبارك، وكلمة (يَتْزَالَّ) معناها يصلي[1].

ب/ الفترات التاريخية لمنطقة وادي مزاب:

- **فترة ما قبل التاريخ:**

إن منطقة وادي مزاب كانت عامرة منذ أقدم العصور، حيث تنتشر فيها عدة محطات لما قبل التاريخ، ترجع إلى العصر الحجري القديم الأوسط والأعلى وإلى العصر الحجري الحديث[2]، ومما يؤكد ذلك هو اكتشاف صناعات حجرية ومعالم جنائزية وبعض النقوش الصخرية المنتشرة عبر ضفاف المنطقة، يعود تاريخها إلى حوالي 5000 سنة قبل الميلاد[3].

فخلال الدورة الحادية عشر لمؤتمر ما قبل التاريخ بفرنسا عام 1934م، قام الباحث الدكتور بيار روفو "pierre roffo" بإلقاء محاضرة عرض فيها حصيلة الأبحاث الميدانية التي قام بها في المنطقة، حيث توصّل الباحث إلى وجود صناعة حجرية تعود إلى الحضارة الموستيرية القديمة والعاترية الحديثة، وكذا القفصية المتمثلة في النصال والنصيلات ذات الظهر المجندل وكذا النيوليتي، والنيوليتي ذات التقليد القفصي[4]، وذلك من خلال عثوره على عدد كبير من الأدوات الحجرية، ورسومات صخرية في محطات

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 11-12.

[2]_ يحي بوراس: المرجع السابق، ص 5.

[3]_ ديوان حماية وادي مزاب وترقيته: **دليل المواقع والمعالم التاريخية بوادي ميزاب**، غرداية، الجزائر، د.ت، ص 12.

[4]_ عمر بن محمد زعابة: المرجع السابق، ص 69.

عديدة ترجع إلى ما قبل التاريخ[1]، وبلغ عدد الأدوات التي عثر عليها بالمنطقة إلى 2959 أداة[2]، وتنتشر في مناطق عديدة منها:

_ **النقوش الصخرية**: مومو وأنتيسة ببني يزقن، بوهراوة وبابا السعد بغرداية، أوخيرة بالعطف، عطفة الكتبة بالضاية بن ضحوة، منطقة سيدي امبارك ببريان.

_ **الصناعات الحجرية**: النومرات بالعطف، لعذيرة بغرداية، متليلي، المنيعة.

_ **المعالم الجنائزية**: منطقة قارة الطعام ببنورة، بوهراوة بغرداية[3].

إلى جانب هذا فإن المنطقة غنية بالرسوم الصخرية، وتحمل هذه الصخور المتناثرة حول ضفاف الأودية رسومات حيوانية وهندسية، ورسوما لبعض أعضاء الجسم البشري مثل اليد والرجل وأشكال أخرى[4]، وتم العثور على العديد من المكتشفات الأثرية، اشتملت على بقايا حيوانية ونباتية متحجرة، وأدوات حجرية، وأواني فخارية، وعلى نقوش صخرية، كل هذا يثبت أن إنسان ما قبل التاريخ استقر بالمنطقة قبل أن تتحول إلى صحراء قاحلة بعد أن كانت جنة خضراء، بحيث نقشت على هذه الصخور رموز وحروف أمازيغية وأعداد، لعلها كانت بمثابة عقود بين البدو المتعاملين تسجل معاملاتهم الهامة[5]، وهذه الأدوات والصخور المنقوشة والمرسومة، تثبت وجود حضارة إنسانية قديمة، رغم أنها اندثرت بعد ذلك، كما توحي على حضارة الجنس البربري والبشري المستوطن لهذه الربوع، وأيضا تبرز جزء من حرفه ومهنه كالرعي وتربية المواشي[6].

- **الفترة الإسلامية (من بداية الفتح الإسلامي إلى مطلع القرن 5هـ/11م):**

عند انتهاء الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا عام 84هـ/ 703م اعتنق البربر الإسلام وساهموا في نشره، ولما ظهرت المذاهب الإسلامية سبقت إلى بني مزاب أصول المعتزلة[7] فأخذوا بها، وكانوا يسمون

---

[1] _ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 48.

[2] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 2.

[3] _ ديوان حماية وادي مزاب وترقيته: **دليل المواقع والمعالم التاريخية بوادي ميزاب**، المرجع السابق، ص 12.

[4] _ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 48.

[5] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 2-3.

[6] _ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص 57.

[7] _ **المعتزلة أو الواصلية**: حركة دينية أسسها في البصرة في الربع الأول للقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي واصل بن عطاء، وأصبحت بعد ذلك أحد أهم المدارس الكلامية في الإسلام، وكانت بداية ظهور المعتزلة بسبب وقوع الاختلاف في أحد مجالس

واصلية، نسبة إلى واصل بن عطاء[1]، وفي هذا يقول الشيخ امحمد بن يوسف في مخطوط الرسالة الشافية: "وليس أهل هؤلاء القرى إباضية من أول، بل كانوا معتزلة، يسافرون إلى تاهرت لقتال الإباضية"[2].

من أشهر علماء المعتزلة في مزاب في هذا العهد هو سليمان بن عبد الجبار المدفون بالعطف وكان معتزليا[3]، وكان معتزلة الشمال حيث احتدم صراعهم مع الرستميين لم يتوقفوا عن تحذير معتزلة وادي مزاب من المذهب الإباضي، الذي أخذ في التوسع والانتشار، فجهزوا أنفسهم، وجندوا كل احتياطاتهم للمواجهة والتوسع والإحلال محل الدولة الرستمية، لكن عجزوا في بلوغ مرادهم وضعفوا بعد انتصار الرستميين عليهم في عهدي: عبد الوهاب، وأبو اليقظان، فتهادن معتزلة مزاب مع إباضية بني رستم واتجهوا إلى حياة الاستقرار وتربية المواشي[4]، وهذا ما ذكره الشيخ اطفيش حيث قال: "وكانت المعتزلة أقوياء في هذا المغرب إلى تيهرت، ولما غلبتهم الإباضية صار أمرهم في إدبار"[5].

لقد شيد معتزلة بني مزاب قصورا وقرى صغيرة قبل النزوح الإباضي إلى المنطقة، حيث اندثرت كلها ولم يبق منها سوى بعض الأطلال، وقد ذكر جون هيغي أن في وادي كانت فيه خمسة وعشرون قصر مندثر بفعل عوامل مختلفة، ومن بين هذه القصور نذكر:

_ **قصر تَلَزْضِيتْ**: يقع على بعد ستة كيلومترات جنوب شرق العطف، ويقول الشيخ إبراهيم مطياز أنها أسست سنة 95هـ[6]، ومعنى "تلزضيت" قصر الصوف فقد سكنه معتزلة بني مزاب[7]، وانفرد به المعتزلة لوحدهم دون وجود طائفة أخرى[8]، حيث شيد هذا القصر في سفح الجبل على ضفاف مجرى وادي

=الحسن البصري في قضية المنزلة بين المنزلتين، فاعتزل مجلسه، فسمي هو وأصحابه "معتزلة" لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد أن كانوا من أهله، للمزيد ينظر: فؤاد سيد: **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار الفارابي، بيروت، 2017م، ص، ص 9-10.

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 10.

[2]_ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص، ص 23-24.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 10.

[4]_ صالح بن عمر اسماوي: المرجع السابق، **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، ص، ص 582-583.

[5]_ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 24.

[6]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 12.

[7]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 54.

[8]_ J. Huguet**: Les villes Mortes Du Mzab, in Bulletins et Mémoires de la Société D'Anthropologie,** T4, Paris, 1903, p 584.

مزاب، قريبا من مواشيهم وقريبا من المساحات الزراعية التي أنشأوها، وخلال القرون اللاحقة ونظرا لبعض الاضطرابات الأمنية والصراعات الطائفية تم تشييد حصنا دفاعيا في هضبة الجبل وهو حصن محاط بسور دفاعي مبني بالحجارة والطين، وقد كان يستعمله سكان (أَغَرْمْ نَتْلَزْضِيتْ) السفلي للحماية والحصانة وقت الخطر، ويعد هذا القصر أول وأقدم تجمع سكني في وادي مزاب[1]، ولا تزال أسواره قائمة إلى يومنا هذا[2].

ـ **قصر بوكياو**: شيد القصر بنو مغراوة الذين كانوا على مذهب المعتزلة حوالي القرن 4هـ/ 10م، على قمة جبل يشرف على أجنة لبني يزقن، هجره سكانه باتجاه قصر بني يزقن الحالي[3].

ـ **قصر أَقْنُونَايْ**: شيد على ضفة وادي انتيسا على مقربة من سد بني يزقن الحالي، ولم يبق له أثر ولعل آثاره قد غمرتها أوحال الوادي داخل السد[4].

ـ **قصر تِرِشِينْ**: تقع على يسار الذاهب إلى أجنة بني يزقن الحالية، وهي على مقربة من مدخل شعبة مومو[5]، كان يسكنها أناس أصلهم من المعتزلة بالإضافة إلى سكان من الإباضية قدموا من جبل نفوسة في القرن التاسع، فانتقل أهلها بعد ذلك إلى مليكة وإلى تافيلالت[6]، فانقرض ولم يبق منه سوى أثر مسجد ومحضرة لتعليم الصبيان القرآن الكريم، أما كلمة ترشين فهي كلمة بربري جمع تِرِشْتْ، وتعني كومة من التبن[7].

ـ **قصر أغرم أَنْوَادَّايْ**: يقع على سفح جبل (آت مليشت) غربا، مطلا على وادي مزاب من الناحية الشمالية الشرقية، ويسمى "القصر السفلي"، شيد سنة 334هـ/ 945م من قبل الأجداد الذين شيدوا قصر مليكة، ولا يزال به مسجد صغير قديم جدا يعود لمئات السنين، بني على شكل هندسي فني عجيب بسيط وجذاب، اندثر هذا القصر بسبب الخلافات التي كانت بين المعتزلة والإباضية[8].

---

[1] ـ ديوان حماية وادي مزاب وترقيته: **إطلالة على بعض القصور التاريخية المندثرة بولاية غرداية**، الجزائر، 2014م، ص 7.

[2] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 12.

[3] ـ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 52.

[4] ـ عمر بن محمد زعابة: المرجع السابق، ص 71.

[5] ـ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 19.

[6] ـ سليمان قزريط: المرجع السابق، ص 14.

[7] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 13.

[8] ـ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، المرجع السابق، ج2، ص 607.

_ **قصر تَـمِزَّارْتْ**: كان يقع بين مليكة وبنورة[1] عند ملتقى وادي مزاب بوادي أزويل، حيث كانت تدل عليه قبة كانت تزار سنويا، يقال أنشأ هذا القصر العلامة (باسعيد بن بابكر) عندما استقر بوادي مزاب[2]، وحسب الدكتور جون هيغي فإن قصر تمزارت كان يسكنها البربر الزناتة المعتزلة، وبربر ورفجومة الصفرية وهي قبيلة بربرية موطنها الأصلي غرب قابس التونسية تبنت المذهب الصفري، وكان المعتزلة يشكلون الأغلبية في هذا القصر، ويعود تاريخ دخول الإباضية إلى هذا القصر إلى سنة 494هـ[3].

_ **قصر مُوْزْكِـيْ**: يقع في الجهة الغربية من قصر بنورة عند تقاطع وادي انتيسا بوادي مزاب، وقد أنشأ فوق هضبة تشرف على قصر بنورة، اندثر ولم يبقى منه إلا الأطلال[4].

• **فترة النزوح الإباضي إلى منطقة وادي مزاب (من مطلع القرن 5هـ/11م إلى نهاية ق9هـ/15م:**

شهدت هذه المرحلة تحولات هامة في تاريخ منطقة وادي مزاب، ولعل أهم ما يلاحظ في هذه المرحلة هو تحول القبيلة الزناتية من حياة الشبه بدوية إلى حياة الاستقرار، وانتقالها التدريجي من مذهب الاعتزال إلى المذهب الإباضي، الذي كانت بدايته على يد العالم الإباضي الداعية أبي عبد الله محمد بن بكر[5]، حيث انعقد مؤتمر بأريغ حوالي سنة 420هـ/1029م، للنظر في قضية اللاجئين من فلول رعايا بني رستم، فاقتضى الأمر على انتداب العلامة أبي عبد الله محمد بن بكر[6] ليجول في صحراء جنوب المغرب الأوسط، عله يجد مكان مناسب لنشر المذهب الإباضي، فوقع اختيارهم على وادي مزاب[7]، فنزل بتلامذته مدينة العطف، ووجد فيها السكان الواصليين فبنى فيها مسجده الذي لا يزال قائما إلى

---

[1]_ عمر بن محمد زعابة: المرجع السابق، ص 72.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 13.

[3]_ J. Huguet: Op.cit, p 584.

[4]_ عمر بن محمد زعابة: المرجع السابق، ص 72.

[5]_ يحي بوراس: المرجع السابق، ص 7.

[6]_ **الإمام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي**: ولد سنة 345هـ/956م بفرسطاء أصل كنيته، وتقع في جبل نفوسة بليبيا، يعد أحد أعلام الإباضية المصلحين في بلاد المغرب الإسلامي، أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه ثم سافر إلى جربة فأخذ العلم عن بعض علمائها منهم زكرياء بن فيصل بن أبي مسور، وانتقل إلى القيروان للاستزادة من علوم اللغة العربية، سافر بعدها إلى قصطيلية بحثا عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلا أن وفدا من جربة اضطروه إلى التحول من مرحلة التعلم إلى مرحلة التعليم وتأسيس حلقة العزابة، توفي سنة 440هـ/1049م، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية**: تأليف مجموعة من الباحثين، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت-لبنان، 2000م، ص 368.

[7]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 22.

يومنا هذا، فباشر مهمته التي جاء من أجلها وهي الدعوة إلى المذهب الإباضي وإلى سير العزابة ونُظُمها[1].

ويقول الشيخ اطفيش في هذا الصدد: "وأما الشيخ محمد بن بكر (...) كان يشتي في أريغ ويربع في البراري عند بني مصعب وغيرهم، وكانوا واصلية على مذهب واصل بن عطاء وهم معتزلة فرد بعضا إلى الوهبية[2] (...)"[3]، إلا أن الاستجابة للمذهب الإباضي لم تكن بالأمر الهين بالنسبة للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، إذ أن معتزلة وادي مزاب قتلوا أحد أبنائه وهو إبراهيم، كما أن الاستجابة لم تكن جماعية وفورية، فقد ظل عدد كبير من بني مزاب على اعتزاله فترة من الزمن، والدليل على ذلك وجود مقابر للمعتزلة مجاورة للعطف وأغرم أنوادّاي لمليكة[4].

وبعد أن اعتنق بنو مزاب كلهم أو بعض منهم المذهب الإباضي[5] بدأت تتوالى على المنطقة هجرات جماعية أو فردية من بقاع مختلفة من شمال إفريقيا[6]، يضاف إلى ذلك استقبال وادي مزاب لعائلات أو لأفراد على مر القرون، حيث شاركوا بني مزاب في إنشاء قراهم وتعميرها، فقد أتى هؤلاء المهاجرون من مختلف قرى الإباضية كسدراته ووارجلان ووادي ريغ، وقصر بني خفيان قرب المنيعة،

---

[1]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 56.

[2]_ **الوهبية**: هم أصل الإباضية في المغرب الإسلامي ومشرقه، في مقابل الخوارج والنكار وجميع الحركات التي خالفت خط المذهب عبر التاريخ، إلا أن ثمة اختلافا في أصل التسمية، أهي إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي (177-208هـ/793-823م) أم إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي (37-38هـ/657-658م)، للمزيد ينظر: **معجم مصطلحات الإباضية**: تأليف مجموعة من الباحثين، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، سلطنة عمان، 2011م، ص 1117.

[3]_ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص، ص 130-131.

[4]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 23.

[5]_ **المذهب الإباضي**: مذهب إسلامي تصدر المذاهب الإسلامية في نشأته، وكان ذلك على يد الإمام التابعي جابر بن زيد الأزدي (ت93هـ/711م)، وكانت جماعتهم تسمى أهل الحق، وتسمى أيضا أهل الدعوة والاستقامة، ولم تختر لنفسها اسم الإباضية، بل دعاها به غيرها نسبة إلى عبد الله بن إباض الذي كان يدعوا الحكام الأمويين للعودة إلى سيرة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده أو اعتزال أمر المسلمين، وظهر عند الناس بمظهر الزعيم وعرف أصحابه بأتباع ابن إباض، ويعتقد الإباضية أن منهجهم هو الفهم الصحيح للإسلام كما أوضحته مصادره الأساسية من الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، للمزيد ينظر: **معجم مصطلحات الإباضية**: المرجع السابق، ج1، ص 3.

[6]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص، ص 57-58.

وقصر البخاري والمدية، ومن جبل نفوسة وجربة ومن سجلماسة والساقية الحمراء[1].

وكان من ثمار التواصل الحضاري بين سكان منطقة مزاب وبين الوافدين من مختلف مواطن الإباضية كورقلة ووادي ريغ وغيرهما أن أخذت الروابط الفكرية والثقافية تزداد قوة، نتج عنها تركيبة اجتماعية أكثر تناسقا وتنظيما، مما أدى إلى التفكير في إنشاء قصور جديدة تستجيب للمتطلبات الاجتماعية والثقافية الحديثة، فكان من ذلك أن تأسست قصور مزاب السبعة الحالية الواحد تلو الأخر على ضفاف مجرى وادي مزاب[2]، وهي: العطف، بنورة، بني يزقن، مليكة وغرداية، واثنتان بعيدتان هما القرارة وبريان[3].

- **تأسيس قصور وادي مزاب:**

خلال العهد الحديث أي من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر ميلادي، تكون وادي مزاب من خمس قصور متقاربة جغرافيا دام بناءها حوالي ثلاثة قرون، واثنتان بعيدتان، لا تزال كلها قائمة إلى يومنا هذا شاهدة على عراقة المنطقة وأصالتها، وهي:

_ العطف (تَاجْنِينْتْ): تعد من أقدم قصور وادي مزاب الحالية من حيث التأسيس، وقام بإنشائها خليفة بن أبغور عام 402هـ/1012م، أما كلمة تاجنينت فتعني المكان المنخفض[4]، وهناك رأي آخر يقول إن التسمية أخذت من كلمة تَقْنِينْتْ وهي كلمة بربرية يقصد بها إناء الشرب الذي يصنع محليا بسعف النخيل على شكل دائري[5]، أما الشيخ اطفيش فيرى أنها سميت بالعطف لانعطافها جانب الوادي، ولا يستطيع أن يراها من يسير في الوادي باتجاه القبلة من بعيد، حتى يصل مكانا مخصصا مائلا وهناك يراها، ومنه أخذت التسمية[6].

---

[1] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 26.

[2] _ يحي بوراس: المرجع السابق، ص 8.

[3] _ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص 17.

[4] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 16.

[5] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 67.

[6] _ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 23.

ـ **بنورة (آتْ بُنُورْ)**: تأسست بتاريخ 436هـ/1046م من قبل قبيلة بني مطهر والتي قدمت إلى المنطقة مع المهاجرين من وارجلان[1]، فوق رأس هضبة منعزلة عن جبال الشبكة، وتقع المدينة على بعد 1800م، شمال بني يزقن عند ملتقى وادي أزويل بوادي مزاب الذي يواصل سيره إلى جانب منحدر يبلغ ارتفاعه 6م، وعلى هذا المنحدر يرتفع سور المدينة، مما أعطى لها شكل قلعة شبيه بقلاع العصور الوسطى الحصينة[2]، وتقع بقرب قصر مليكة على جبيل منقطع وحده[3]، ولعل هذا الاختيار روعي فيه جانب الدفاع ضد غارات الأعداء[4].

أما عن سبب التسمية فيقول الشيخ اطفيش أن القصر سمي باسم امرأة تبيع النورة[5]، وهناك رأي آخر يقول إن أصل تسمية "آت بنور" يرجع إلى القبيلة الزناتية التي لا تزال موجودة في وادي مزاب والأوراس[6].

ـ **غرداية (تَغَرْدَايْتْ)**: تأسس القصر سنة 438هـ/1048م[7]، على جبيل منقطع عن باقي الهضبة[8]، وأول من سكنها الشيخ بابا والجمة والشيخ أبو عيسى بن علوان والشيخ بابا السعد[9]، وأصل تسمية تغردايت تعني القطعة المستصلحة الواقعة على ضفة مجرى الوادي، وقيل إن تغردايت تصغير لكلمة أَغَرْدَايْ الذي هو الجبل[10].

ـ **بني يزقن (آتْ يَزْجَنْ)**: تأسست سنة 720هـ/1321م[11]، حيث اندمجت خمس قرى قديمة على مقربة من المدينة الحالية وهي: بوكياو، موركي، ترشين، أجنوناي، تافيلالت[12]، وفيما يتعلق بالتسمية

---

[1] ـ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 60.

[2] ـ عمر بن محمد زعابة: المرجع السابق، ص 74.

[3] ـ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 21.

[4] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 21.

[5] ـ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 22.

[6] ـ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 67.

[7] ـ ديوان حماية وادي مزاب وترقيته: **دليل المواقع والمعالم التاريخية بوادي ميزاب**، ص 31.

[8] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 18.

[9] ـ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 67.

[10] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 18.

[11] ـ نفسه: ص 18.

[12] ـ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص، ص 68-69.

فإن بعض المؤرخين يرى بأنها تعود إلى قوم يسمون أولاد يزقن من أعمال قسنطينة فاستقروا بها فسميت باسمهم، وأما التفسير الثاني فيشير أن "يزقن" تحريف لكلمة "يزجن" التي معناها نصف، وقد سميت بهذا الاسم نظرا لانتقال عرش أولاد سليمان بن يحي من غرداية إلى بني يزقن، ويعد هؤلاء نصف سكان غرداية[1].

ويضيف يوسف الحاج سعيد: " يظهر أن إزقن اسم قبيلة بربرية منتشرة جنوب قسنطينة، مركزها الحالي مليلة، مشهورة اليوم بالسقنية، تتألف من ثلاثة أعراش: أولاد موسى وأولاد عنان وأولاد خالد، مع الملاحظة أن هذه القبائل موجودة كلها ببني يزقن دون سواها من المدن المزابية"[2].

أما الاسم الأصلي فهو بربري من آت إسجن، ويرجع إلى إحدى العائلات التي عمرت هذه المدينة، بحيث نجد عدة عائلات تحمل هذا اللقب إلى يومنا هذا في وادي مزاب والأوراس وتلقب بإسقني[3].

_ مليكة (آتْ مْلِيْشَتْ): أسست عام 756هـ/1355م،[4] على قمة جبل صغير في الضفة اليسرى من وادي مزاب على بعد 500م من مركز مزاب غرداية، حيث بنيت على مرحلتين فكانت الأولى بقصر يدعى أغرم نوادي، إلا أنها زالت واندثرت، وفي مرحلة ثانية قامت الجماعة النفوسية الإباضية التي جاءت مهاجرة من ليبيا عام 750هـ وعلى رأسها أبو دحمان ويرُو بن سليمان بتأسيس مدينتها الحالية[5]، ويقول عنها الشيخ اطفيش: "وأما مليكة فقرية على جبيل، وكانوا أسفل عند المسجد الذي على الوادي فوق البنيان المعد لعمل الفخار، ثم انتقلوا إلى حيث هم اليوم، وسميت باسم امرأة تدعى مليكة"[6].

وهناك رأي آخر يقول إن الاسم الأصلي لمليكة هو آت مليشت، نسبة إلى مليكش أحد زعماء بني زناتة، وقيل سميت مليكة لأنها تشرف وتعلو على القرى الأربع[7].

---

[1] _ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص، ص 64.

[2] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 19.

[3] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 69.

[4] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 20.

[5] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 68.

[6] _ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 22.

[7] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 68.

ـ القرارة: بنيت على ضفاف "وادي زقرير" الذي يمر من غربها[1]، أسست عام 1040هـ/1631م، من طرف أولاد باخة الذين هاجروا من مليكة وبني يزقن وبنورة وغرداية[2]، مع الإشارة إلى أنه كانت هناك قريتان عامرتان قبل إنشاء القرارة الحالية، فالأولى كانت تسمى لمبرتخ أو أغرم أُوادّاي، أما الثانية فتسمى الأقصر الأحمر[3].

يقول الشيخ اطفيش: "تنسب أولاد باخة في القرارة بتحريف بخت إلى باخة، ومن أولاد بخت أولاد إبراهيم بن صالح في القرارة"[4].

أما أصل تسميتها بالقرارة، فقد كتب الحاج أيوب في رسالته: "أن القرارة باللغة الدارجة تعني جبل صغير، كما يقال لهذا الجبل الصغير "القارة"، وأنه قرب الأغواط تتواجد مجموعة من هذه الجبال الصغيرة يقال لها "القرارير" الحرة وهو جمع القرارة، وكما يقال فإن اسم القرارة هو لقبيلة بربرية تدعى "زقرارة" وعلى أساسها اشتق "وادي زغرير"[5].

أما بكير بن سعيد أعوشت فيرى أن أصل تسمية القرارة تعود لكلمة بربرية أصلها قارة وجمعها تقرار، وهي جبال أشكالها بيضوية وقد تآكلت بفعل العوامل الطبيعية: المناخ، الرياح، الأمطار، مع هشاشة حجارتها، وهناك من يرى أن التسمية لها طابع جغرافي، لأن الماء يستقر في جنوب وشرق المدينة حينما يسيل وادي زقرير[6].

ـ بريان (آتْ إِبَرْقَانْ): تقع على بعد 45 كلم شمال غرداية[7]، أسست عام 1090هـ/1679م، من طرف عشيرة العفافرة وأولاد نوح التي هاجرت من غرداية، ولم تمض عدة سنوات حتى خرجت عدة جماعات من قرى مزاب فاستقرت كذلك في بريان بسبب النمو الديمغرافي الكبير، أما سبب التسمية

---

[1] ـ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المرجع السابق، ص 165.

[2] _ Motylinski: **Guerara Dupuis Sa Fondation,** Adolph Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1885, p02.

[3] ـ ـ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 69.

[4] ـ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 22.

[5] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 38.

[6] ـ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 70.

[7] ـ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص، ص 68.

فهناك من يرى أن بريان نسبة إلى آتْ إِبَرْقَانْ وهي لفظة بربرية تعني خيمة مصنوعة من الوبر وشعر الماعز، حيث أن أهل بريان الأوائل عرفوا بنسج هذا النوع الرفيع من الخيم، فامتهنوا صناعتها وتجارتها، ورأي آخر يقول إن موقع المدينة كان يسمى قديما بريان، من طرف رعاة غرداية الذين كانوا يقصدونه لكثرة مياهه الموجودة في أوديته[1].

أما الشيخ اطفيش فيذكر سبب تسمية بريان في رسالته ما يلي: "وسمي البلد بريان لأنه بر ريان أي بر غير عطشان أي بر كثير الماء، ويقال أصله بير ريان معروفة لأن فيه بيرا معروفة إلى الآن بأنها بير لرجل حفرها يسمى ريان..."[2].

- **فترة التواجد العثماني بالجزائر مطلع القرن 10هـ/16م، وعلاقة المزابيين بهم:**

لقد صُنف بنو مزاب بمدينة الجزائر ضمن جماعات البرانية _وهم السكان الوافدين من المناطق الداخلية نحو مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي_، وذلك لارتباطهم المباشر بمنطقة وادي مزاب، وقد كان وجودهم بمدينة الجزائر يرجع إلى الفترة التي تسبق دخول العثمانيين إلى الجزائر، وانضمامها رسميا إلى الباب العالي أي إلى ما قبل سنة 1518م[3].

وبعد أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، كان الإباضيون في وادي مزاب حينها مستقلين عن أي حكم أو دولة ما تسير شؤونهم الداخلية، وكان يتولاها نظام العزابة بمختلف تنظيماته وأجهزته الاجتماعية والدينية التابعة له. ففي سنة 924هـ/1516م اتجه بنو مزاب إلى مدينة الجزائر لتوقيع معاهدة حماية ودفاع مع السلطة العثمانية، فقد تشكل وفد من قرى وادي مزاب، حيث تم التوقيع على المعاهدة التي تضمنت نصوصا عديدة تدور في مجملها على ترك الحرية في تسيير شؤونهم الداخلية بوادي مزاب، والاعتراف بمذهبهم الإباضي واحترام أعرافهم، وحماية ممتلكاتهم وتجارتهم في كل الجزائر، وضمان سلامتهم في تنقلاتهم وسفرياتهم، مقابل تقديم الميزابيين الولاء للدولة العثمانية بالجزائر، مع ضريبة سنوية مقدرة بـ: اثني عشر عبدا واثني عشر أمة يوصلها المزابيون بأنفسهم للسلطة العثمانية بمدينة الجزائر[4].

---

[1] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص، ص 70-71.

[2] _ امحمد بن يوسف اطفيش: المصدر السابق، ص 38.

[3] _ محمد وقاد: المرجع السابق، ص 46.

[4] _ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص، ص 31-32.

إن المواقف البطولية للمزابيين في رد العدوان الأوروبي عن شمال إفريقيا، وتقديمهم يد المساعدة إلى خير الدين بربروس، منحتهم مكانة وتقديرا عنده، وعند من خلفه على السلطة من العثمانيين في أرض الجزائر، لذلك فقد تمتع المزابيين بمعاملة خاصة لدى السلطة العثمانية بالجزائر، اعترافا لهم على ولائهم وإخلاصهم للدولة الجزائرية العثمانية[1].

يقول المؤرخ أحمد توفيق المدني: "لما كان المزابيون يهاجرون إلى بلاد التل باستمرار قصد التجارة والكسب، فقد اعترفت قصورهم منذ انتصاب الأتراك بالبلاد بالتبعية للديوان، إنما كانت تلك التبعية اسمية فقط ولم يحدد مداها، فكان استقلالهم مطلقا في بلادهم"[2].

لقد مُنح لجماعة بني مزاب أحقية احتكار العمل في مطاحن الحبوب والحمامات في المدن الكبرى وخاصة الجزائر وقسنطينة، وتوكل لهم في العادة ذبح الحيوانات وبيع اللحوم ونقل البضائع، ومنهم من يشتغل في دكاكين الفحم والفواكه والمقاهي وغيرها، حيث تميزت جماعة بني مزاب بالتفاني في العمل ونزاهتها وحرصها على إتقان العمل، كما عرفت بإخلاصها للحكام، مما مكنها من كسب ثقتهم والحصول على تعهدات وامتيازات مع نهاية القرن الثامن عشر، وكونت بذلك ثروات ضخمة[3].

يقول الدكتور عمار بن خروف: "إن جماعة بني مزاب في مدينة الجزائر كانت من الجماعات المهمة التي نشأت فيها في العهد العثماني، والتي كان لها وزنها المالي والتجاري فيها، ودورها الفعال في النشاط الاقتصادي في المدينة، إن لم تكن أهمها على الإطلاق..."[4].

فبداية من هذا العهد أخذت الحياة الفكرية والاقتصادية والعمرانية في النمو والازدهار، بسبب الطرق التجارية التي أنشأها المزابيون بكدهم ونشاطهم، فأضحت منطقة وادي مزاب مشهورة كمحطة تجارية هامة بشمال الصحراء في جنوب الجزائر، تستقطب القوافل التجارية من كل الأقطار، بحيث

---

[1] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 76. [1]

[2] _ أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 138.

[3] _ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص، ص 99-100.

[4] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 79.

أصبح موقعها لا يغيب عن الخرائط الجغرافية التي أنجزها الأوروبيون خلال القرون الثلاثة 16، 17، 18 للميلاد[1]، وكان لهذا الأمر تأثير على تطور وازدهار الحياة العلمية والفكرية والاقتصادية والعمرانية[2].

[1]_ يحي بوراس: المرجع السابق، ص 9.

[2]_ إبراهيم الشيهاني: **منشآت الري التقليدية في وادي مزاب مدينة بني يزقن أنموذجا**، رسالة ماستر تخصص الأثار الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م، ص 9.

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة العلمية و الفكرية في وادي مزاب

المبحث الأول: دور حلقة العزابة في التربية و التعليم

المبحث الثاني: تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة وادي مزاب

أولا: الحياة الاقتصادية

ثانيا: الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث: النهضة العلمية و الفكرية بمنطقة وادي مزاب

الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة العلمية والفكرية في وادي مزاب

شهدت الحياة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب تطورا وازدهارا كبيرا في جميع فتراتها تقريبا، وبالأخص خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، اللذان يعدّان من أزهى فترات الحياة الفكرية في مزاب، وذلك راجع إلى عدة عوامل منها حسن تسيير حلقة العزابة لهذا المجال من خلال تعليم الناس وتفقيههم في أمور دينهم، وتحفيظهم كتاب الله، ليظهر في القرن الثامن عشر بدايات النهضة الفكرية والعلمية بالمنطقة بقيادة علماء أتقياء ساهموا في إقامة ركائز المجتمع على أسس إيمانية قوية، ولم تخمد هذه النهضة بل زادت نموا وازدهارا كبيرا، رغم الصعوبات التي تعترض من حين لآخر.

المبحث الأول: دور حلقة العزابة في التربية والتعليم.

وقبل إبراز دور حلقة العزابة في التربية والتعليم، ستنطرق إلى التعريف بحلقة العزابة ونظمها.

أ/ تعريف العزابة لغة:

كلمة العزابة مشتقة من العزوب، عزب الشيء عنه بعد وغاب وخفي، والمقصود به هنا العزلة والتصوف والانقطاع إلى العبادة وإلى خدمة المصلحة العامة[1].

ويقول الشيخ اسماوي عن معنى العزابة لغويا: عَزَبَ يَعزُبُ عُزُوبًا، من العُزُوب، وتعني غياب الانسان عن أهله أو ماله أو متاعه، كما تفيد معنى العُزُوبَة بالنسبة للذي لم يتزوج، كما تحمل معنى الزهد في الدنيا وملذاتها، والتقرب إلى الله تعالى.

وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الغياب، منها قوله تعالى:﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الِاَرْضِ وَلَا فِي اِلسَّمَآءِ ﴾[يونس: 61]، وقوله تعالى:﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي اِلسَّمَوَاتِ وَلَا فِي اِلَارْضِ ﴾[سبأ: 3][2].

ب/ التعريف الاصطلاحي:

يقصد بالعزابة خدمة الإسلام والمصلحة العامة، والبعد النسبي عن زينة الحياة والسعي وراء المادة، والالتزام الكلي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، وهو نظام ديني اجتماعي تربوي، تطور عبر مراحل التواجد الإباضي بين وادي ريغ ووادي مزاب ليصبح مجلسا للعزابة والذي يعد أعلى سلطة روحية في

---

[1]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 155.

[2]_ صالح بن عمر اسماوي: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، المرجع السابق، ص 9.

[3]_ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 102.

البلاد[1]، من دون أن تستمد ذلك النفود من قوة مادية أو قوة زاجرة، بحيث تصدر أوامرها حسب كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وأقوال المجتهدين[2].

يقول الشيخ أبي عمار عبد الكافي[3] في كتابه السير: "أصل العزابة اشتقاقها من العزبة والعزلة والغربة، والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال (...) يبيعون أنفسهم لله إيمانا واحتسابا، يرجون الثواب يوم القيامة، فهم مجتهدون في سبيل الله"[4].

أما الشيخ أحمد بن سعيد الدرجيني[5] فيقول في كتابه الطبقات: "فمن ذلك العزابة وأحدهم عزابي، هذه اللفظة استعملتها لقبا لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير، وحافظ عليها وعمل بها، فإن حسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا، وإن حافظ على السير والعمل بها فقط سمي به، وإن حصّل العلم دون السير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسم بهذا الاسم"[6].

---

[1]_ عدون جهلان: **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش**، جمعية التراث-القرارة، الجزائر، د.ت، ص 168.

[2]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 155.

[3]_ **أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب الوارجلاني**: (ت قبل: 570هـ/1174م)، عالم شهير من علماء عصر الازدهار العلمي بوارجلان، ولد بتناوت إحدى قرى وارجلان، وبها نشأ وترعرع، ثم ارتحل إلى تونس لمواصلة معارفه أثناء حكم الموحدين فجد في طلب العلم، واستقر بعد ذلك في وارجلان، وتفرغ للتدريس والتأليف والفتوى، حيث أولى أبو عمار جانب التأليف اهتماما خاصا، فترك تراثا فكريا قيّما، ومن تأليفه: الموجز في علم الكلام، كتاب الاستطاعة، كتاب السير في نظام العزابة، يعرف بسير أبي عمار، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 258.

[4]_ أبي عمار عبد الكافي: **السير**، تح: مسعود مزهودي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1996م، ص، ص 12-15.

[5]_ **أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني**: (ت: 670/1271م)، أشهر علماء درجين ببلاد الجريد، جنوب تونس، تلقى تعلمه الأول بدرجين، ثم رحل إلى وارجلان سنة 616هـ/1219م، وأخذ العلم عن الشيخ أبي سهل يحي بن إبراهيم بن سليمان لأعوام، ثم عاد إلى موطنه درجين، يعتبر الدرجيني فقيه ومؤرخ وشاعر، وإماما قدوة، أبدع منهجا جديدا في كتابة السيرة الإباضية، وهو منهج الطبقات، إذ وضع في ذلك مؤلفه المشهور بـ "طبقات المغرب"، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 45.

[6]_ أبو العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات المشائخ بالمغرب**، ج1، تح: إبراهيم طلاي، بـ.د.ن، د.م، د.ت، ص، ص 3-4.

أما الشيخ علي يحي معمر[1] فيقول في كتابه الإباضية في موكب التاريخ: "العزابة تعني العزلة والغربة والتصوف والتهجد، والانقطاع في رؤوس الجبال، وخدمة المصلحة العامة، والإعراض عن حظوظ النفس، والبعد عن مشاغل الحياة من أهل ومال وولد (...)، أما أعظم طاقاته فيجب أن يصرفها لله في خدمة المسلمين، دون مقابل يتقاضاه على عمله، أو أجرة يرجوها منهم، لأن أجره وحسابه على الله (...)، وهي هيئة محدودة العدد، تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا، وهذه الهيئة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي"[2].

هذا طبعا بالتنسيق مع هيئة العوام وهم كبار العشائر الذين يشاركون الحلقة في أداء مهامها، والاتفاق مع العزابة في إصدار القوانين الخاصة بالمجتمع المزابي، ومتابعة تنفيذها في الميدان، وللعلم فهذه الهيئة موجودة في كل قصر من قصور وادي مزاب[3].

فحلقة العزابة هي: هيئة دينية عليا في كل قصر من قصور مزاب، وتعتبر قمة الهرم الاجتماعي على مستوى البلدة، ويتولاها مجموعة من الأشخاص المعروفين بالتقوى والصلاح والسيرة الحسنة، وتحت هذه الحلقة تأتي حلقة "إروان" وهي حلقة خاصة بطلبة العلم، وهي مساعدة لها في أداء المهام، وتعد أيضا مصدرا للعزابة المستقبليين، كما تضم الحلقة أيضا هيئة مكلفة بالنساء وتسمى "تمسردين".

---

[1] _**علي يحي معمر**: ولد الشيخ علي يحي معمر بمدينة نالوت بليبيا سنة (1337هـ/1919م)، من عائلة متوسطة الحال، متدينة ومحافظة، تلقى مبادئ العلم عن الشيخ العزابي عبد الله بن مسعود الكباوي، فأخذ عنه القراءة والكتابة، وحفظ قسطا من القرآن الكريم، انضم إلى حلقات الشيخ رمضان بن يحي الجربي فأخذ عنه العلوم الشرعية والفقه الإباضي، ثم انتقل إلى صفوف جامع الزيتونة، وفي سنة 1937م غادر تونس نحو معهد الحياة بالقرارة بوادي مزاب في الجزائر، وأقام هناك سبع سنوات أين تتلمذ على عدة مشائخ منهم: الشيخ إبراهيم بيوض والشيخ شريفي سعيد، ترك الشيخ مؤلفات كثيرة في التاريخ والفكر الإسلامي منها: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية بين الفرق الإسلامية، الإسلام والقيم الإنسانية، توفي سنة 1400هـ/1980م، تاركًا للأمة الإسلامية نموذجا حيا للعالم المسلم، والمجاهد المخلص، والمؤلف الصادق، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 296-297.

[2] _ علي يحي معمر: **الإباضية في موكب التاريخ**، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابزبز، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، سلطنة عمان، 2008م، ص 79.

[3] _ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص 29.

وتوجد أيضا حلقة للعامة للذين لديهم الميل والرغبة في العمل الاجتماعي والتطوعي وتسمى "هيئة إمصوردان"، وهي التي تتكفل بالقيام بالأعمال التطوعية وتوزيع الصدقات وخدمة المجتمع[1]، كما توجد هيئة أخرى وهم "المكاريس" وتتشكل من عدد محدد من الشبان من كل عشيرة، وتكمن مهمتها في الحرص على حفظ الأمن والنظام داخل القصر، ومراقبة التحركات المشبوهة لتطهير المجتمع من أوكار الفساد والجريمة، وحل الخلافات البسيطة التي تقع في البلدة[2].

ج/ تأسيس حلقة العزابة:

يرجع تاريخ تأسيس نظام العزابة إلى أوائل القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، حين استقر مع تلاميذه في مدينة "تينسلي" (مدينة بالقرب من تقرت وادي ريغ تعرف الآن باسم بلدة أعمر)، أين شرع الشيخ أبي عبد الله في وضع نظام الحلقة وضوابطه سنة 409هـ، ولما انتهى من وضع أسس وقواعد النظام وآدابه وشروطه، انتقل الشيخ رفقة تلاميذه إلى منطقة وادي مزاب، وبذلك دخل نظام العزابة إلى المنطقة ولا يزال ساريا إلى يومنا هذا[3].

إن الحلقة التي نظمها كل من الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (ت: 440هـ/1049م) وتلميذه أبي الربيع سليمان ابن يخلف المزاتي (ت: 471هـ/1079م)[4]، وتلميذه أبي الخطاب عبد السلام منصور

---

[1]_ عبد القادر عزام عوادي: **هجرة سكان بني مزاب إلى تونس ودورهم السياسي والفكري في الحياة التونسية خلال الفترة (1881-1956)**، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، جامعة أحمد دراية-أدرار، 2016م، ص، ص 56-57.

[2]_ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص 31.

[3]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 169.

[4]_ **أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي**: (ت: 471هـ/1079م)، أخذ العلم عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي، هو غاية في العلوم، أفنى شبابه في الدراسة وطلب العلم، وبقية عمره في التدريس والتعليم، فصار من كبار العزابة وممن جازت عليهم سلسلة نسب الدين، أخذ عنه العلم جمع كثير من الطلبة لاتخاذه حلقة متنقلة بين مواطن الإباضية، وفي كل بلدة يبقى وتلامذته مدة للتعلم والتعليم، يجتمع عليهم أهلها وكثير من طلاّب العلم، ويعدّ الشيخ هو من رتب الحلقة على يد شيخه أبي محمد ويسلان بن أبي صالح بجربة، ترك الشيخ مؤلفات كثيرة منها: كتاب التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، كتاب في طلب العلم وآداب التعلم، كتاب في علم الك0لام وفي أصول الفقه، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 215-216.

بن وزجون[1]، ليست إلا هيئة تربوية تعليمية، بعيدة عن السلطة والسياسة، هدفها الوحيد نشر الإسلام والدعوة إلى المذهب الإباضي، وتطبيق مبادئه ميدانيا[2].

فأعضاء حلقة العزابة من خيرة أفراد الأمة وقادتها، فهم يحتسبون أعمالهم خالصة لوجه الله الكريم في تفان وأمانة وإخلاص، ولا يتقاضون أجرا على أداء مهامهم الدينية كالوعظ والإرشاد والصلاة وغيرها، كما لا يرجون محمدة أو ثناء من أحد، فهم يحتسبون عملهم خالصا لوجه الله[3]. وتخصص لهم أوقافا مكافأة على خدمتهم الجليلة للمجتمع، فالأغنياء يتنافسون في تغطية نفقات الحلقة، فكانت تقدم الصدقات للعزابة وللمسجد من تمر وزبيب وزيت وسمن وغيرها من المواد الأخرى، فهذه الأوقاف المتنوعة تساعد بشكل كبير في أداء أعضاء الحلقة لمهامهم المنوطة بهم بكفاءة عالية[4].

د/ تشكيل حلقة العزابة وصلاحياتها:

تتكون حلقة العزابة في الغالب من اثني عشرا عضوا، لكل مهامه الخاصة به، وقد يرتفع عدد الأعضاء إلى أكثر من ذلك حسبما تقتضيه الحاجة الدينية والاجتماعية، أما شروط العضوية فكثيرة أهمها: أن يكون المرشح للانضمام للحلقة إباضيا مجدا في خدمة مذهبه ومجتمعه، وأن يكون حافظا للقرآن الكريم، زاهدا في الدنيا وملذاتها، وإذا حدد شخص يخضع لمتابعة صارمة لمراقبة أخلاقه وتصرفاته، وإذا توفرت فيه الشروط يقبل به عضوا في الحلقة، أما شيخ العزابة فيجب أن تتوفر فيه بعض الشروط منها أن يكون ذكيا لبقا ورعا لطيفا مع أصحابه، بحيث يبقى في منصبه مدى الحياة، وهو المشرف الأول على شؤون بلدته[5].

---

[1]_ **أبي الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون:** أحد أعلام الإباضية الذين أسهموا في إرساء قواعد نظام حلقة العزابة، رفقة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، أصله من نفوسة بليبيا وبها نشأ وترعرع وتلقى علمه بها، من أبرز مشايخه أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، كما كان من أنجب تلاميذ أبي نوح سعيد بن زنغيل، قال عنه أبو زكرياء الوارجلاني: "كان كثير الاجتهاد، وممن انتفع بكثرة الجهاد، وانتفع به كثير من العباد"، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 254.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 29.

[3]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 156.

[4]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 188.

[5]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 169.

كما أن العضو في حلقة العزابة يتطلب فيه أن يكون صاحب عمل أو حرفة، فأعضاء العزابة أفراد مجدون يسعون لكسب قوتهم من كد يمينهم، لأن اعتمادهم على أنفسهم في كسب القوت يضفي على مهمتهم الدينية صفة النزاهة والقناعة والتعفف وإخلاص العمل لله وحده، كما أن اشتغالهم يجعلهم أكثر احتكاكا بفئات المجتمع في حياتهم اليومية[1].

وبوادي مزاب فقد تعاقب على رأس هيئات العزابة علماء أجلاء ازدهر بهم عهدهم[2]. فلكل قصر من القصور السبع بوادي مزاب مجلس للعزابة، ومن المجالس السبع ينتخب المجلس التشريعي وهو "مجلس عمي سعيد"، الذي تتوفر في أعضائه روح المسؤولية والقيادة الحكيمة والنزاهة والكفاءة العلمية[3]. ويتكون مجلس العزابة من:

1_ شيخ العزابة: يتولى تسيير شؤون الحلقة، **2_ المؤذن**: يتولى أمر الآذان وضبط وقت الصلاة، **3_ الإمام**: يتولى إمامة الناس في الصلاة، **4_ وكيلان لأوقاف المسجد**: لهما مسؤولية السهر على أموال المسجد، **5_ المعلمون**: يتولون تسيير المحاضر والمحافظة على النظام في المسجد، **6_ الأعضاء المساعدون**: تسند إليهم مهمات اجتماعية مختلفة.[4]

وأما صفة أهل الحلقة فتنقسم إلى أربعة أقسام: فالقسم الأول: يجتهد في طلب العلم والأدب، ولا يكون مشغولا بالدنيا كثيرا، والثاني: أن يكون حافظا للقرآن الكريم، والثالث: أن يكون مجتهدا في حقوق الضعفاء والمساكين وقائما بحقوق المجتمع، والرابع: أن لا يولوا مال المسجد من كان له مال، ولا من كان له أولاد بل يولونه من كان بين بين[5].

هـ/ دور حلقة العزابة في التربية والتعليم:

إن من بين أهم الأعمال التي تكفلت بها هيئة العزابة هي التعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وتلاوته الجماعية المستمرة في المسجد من خلال مجالس الذكر، وتشجيع الناس على تلاوته، ورغم الظروف الصعبة التي مرت بها المنطقة إثر الدخول الفرنسي إلى وادي مزاب، إلا أن حلقة العزابة صمدت أمام

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 30-31.

[2]_ صالح بن عمر اسماوي: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، المرجع السابق، ص 189.

[3]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 155.

[4]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 170.

[5]_ أبي عمار عبد الكافي: المصدر السابق، ص 13.

المستعمر الفرنسي، وواجهت هذه الوضعية من خلال مجابهتهم للفساد ومحاولة الإصلاح وتنوير العقول من خلال المساجد والمنابر[1]، وهكذا فإن هؤلاء العزابة المصلحين، قد أخذوا المسجد عبادة ومدرسة وجامعة في آن واحد لتقويم سلوك المسلمين وفق تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة لمعالجة قضايا المجتمع، والنظر في شؤون الأمة المزابية[2].

يقول الشيخ محمد صالح ناصر: "كانت المسؤولية التربوية هي أهم ما تقوم به الحلقة في عهود نشأتها الأولى، بل إن تربية النشء والعناية بتحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم اللغة العربية والشريعة الإسلامية كانت المهمة الوحيدة التي كانت الحلقة قد أنشأت من أجلها، وهذا إدراك من علماء المذهب وشيوخه أن التربية هي أهم الوسائل التي تنشئ الأجيال المسلمة عقيدة وعملا، وهي من الطرق التبليغية التي تضمن الاستمرارية للمجتمع المحمدي مذهبا وسلوكا"[3].

فالشيخ يتعلق به أشياء كثيرة، منها الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه الدرس، والإجابة على أسئلة طلابه، ويذاكرهم فيما تلقوه من علوم قبل ذلك[4]، ونلمس أثر هذا التعليم جليا في المؤسسات الثقافية، لاسيما في المساجد التي جسدت هذه الحقيقة في كتاتيب الأطفال الصغار ودور التلاميذ الهادفة إلى حفظ القرآن الكريم كله، وتعلم اللغة العربية وعلومها، وهذا بفضل رجال العزابة والعلماء المخلصين[5].

ويقول محمد علي دبوز في هذا الصدد: "إن ميزاب يعتني بحفظ القرآن كل الاعتناء، إنه أساس العربية والدين، ويعتني بتعلم العربية اعتناء كاملا، فمن لا يعرف العربية الفصحى من العلماء لا يحظى في ميزاب بأي احترام، إنه لا يوجد في ميزاب اليوم أمي في الرجال، لا يقرأ العربية ويكتبها، ولا تجد فيها من يحتقر العربية ولا يعتد بها ولا يغار عليها، وذلك بفضل الكتاتيب ودار التلاميذ والمدارس العربية

[1]_ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 58.

[2]_ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 115.

[3]_ محمد صالح ناصر: **منهج الدعوة عند الإباضية**، ط5، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 331.

[4]_ أبي العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص 172.

[5]_ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 116.

العصرية التي أنشأها ميزاب، وبفضل هذا النظام الديني الذي هزم الاستعمار، فلم يستطع أن يغرس في الجنوب احتقار العربية والدين"[1].

لقد ساهم نظام التربية والتعليم الذي أقرته حلقة العزابة، في فتح فرص التعليم الديني أمام أتباع المذهب الإباضي، كما أتاح الفرصة لأبناء الفقراء للالتحاق بمدارس العزابة، لتلقي العلم والمأوى والأكل دون أجر، وبذلك حققوا مجانية التعليم في مناطق تواجدهم منذ أمد بعيد، يعود إلى القرن الخامس الهجري أو قبل ذلك[2].

يعتبر المسجد أحد ركائز المجتمع المزابي، فقد كان العزابة من خلالها يحرصون على إصلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذ مظاهر الفساد، حيث أن حلقات العزابة أولت عناية تامة بواجب إرشاد الناس في أمور دينهم من بث الأخلاق والعقيدة الصحيحة في نفوسهم، وتوجيههم لما فيه صلاح الأمة، حيث جعلوا المساجد مراكز دعوية بتخصيص حلقات تعليمية لمختلف شرائح المجتمع كبارا وصغارا، رجالا ونساء[3]. وينقسم التعليم المسجدي بوادي مزاب إلى مستويين هما:

• **المرحلة التحضيرية**: وهي تمثل المستوى الأول من التعليم، ويكون في المحاضر الموجودة بجانب كل مسجد على حسب كبر القصر، فمن القصور من تبنى بجانب مسجدها ثلاث محاضر أو أكثر، ويرأس كل واحدة منها أحد العزابة القائم بالتربية والتعليم فيها، ويعينه في ذلك قدماء التلاميذ[4]. بحيث تكتظ المحاضر بالصبيان الصغار الذين يتم تحفيظهم القرآن الكريم وتلقينهم مبادئ التوحيد والعقيدة، وتعليمهم الصلاة والفقه[5].

ونظام تعليم المحضرة في المواقيت التالية:

_ قبل آذان الفجر إلى طلوع الشمس.

_ بين صلاتي الظهر والعصر.

_ بين صلاتي المغرب والعشاء.

---

[1] _ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المرجع السابق، ص 215.

[2] _ محمد صالح ناصر: المرجع السابق، ص 333.

[3] _ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص 41.

[4] _ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 59.

[5] _ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 806-807.

والحضور في هذه الأوقات واجب على كل تلميذ، ومن تخلف عن هذه الحلقات يعاقب، لذلك فالتعليم في المحضرة هو المرحلة الأولى من المرحلة التعليمية إذ يتلقى فيها الأطفال مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية[1].

• **المرحلة الابتدائية أو حلقة إروان**: وهي المرحلة الثانية من التعليم، والتي هي بمثابة التعليم الابتدائي، حيث يؤهل فيه الطلبة لحفظ القرآن الكريم واستظهاره بعد اجتيازهم التعليم بالمحاضر، فيرتقون تدريجيا إلى مستوى طلبة القرآن الكريم بعد إذن شيخ الحلقة[2]، فجماعة إروان أي طلبة فنون العلم، يعلمهم الشيخ ويفقههم في الدين واللغة العربية، ولهم مقر خاص بهم تابع للمسجد[3].

يقول الشيخ أبو عمار عبد الكافي: "أول ما يلزم الشيخ على تلاميذه أن يبدأ لهم بتعليم الأدب قبل كل شيء، وإذا تعلموا الأدب فكلما تعلّمه من المعلم نفعه"[4].

كما تعد هذه المرحلة كتكوين علمي واجتماعي لهؤلاء الطلبة لالتحاق الأكفاء منهم بحلقة العزابة، لمساعدتها في تحمل المهام الاجتماعية والدينية، وفي حال احتياجها لتجديد بعض أعضائها بسبب العجز أو الوفاة، لذلك فعادة ما تسند لهؤلاء الطلبة بعض المهام الدينية والاجتماعية التي يتولاها أعضاء العزابة لتدريبهم عليها، مثل إمامة الصلاة أو الآذان وغيرها، أما العلوم التي يتلقونها فهي العلوم الشرعية والعربية بتعمق أكبر، كما يخضع هؤلاء الطلبة إلى مراقبة صارمة في أخلاقهم وسلوكهم من طرف أعضاء حلقة العزابة، للوقوف على مدى التزامهم بالفرائض والآداب العامة، حفاظا على سمعة الحلقة ولاختيار الأصلح منهم للانضمام لحلقة العزابة[5].

ويقول الشيخ أبو عمار عبد الكافي في هذا الصدد: "وعلى الشيخ لتلاميذه أن يكون على بصيرة، فلا يدخل أحد مع العزابة حتى يكون تلميذا مع التلاميذ منذ زمن يتعلم الأدب والسير ليدخل مع العزابة وهو فارس في الأدب والسير"[6].

---

[1] _ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 59.

[2] _ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، المرجع السابق، ص 808.

[3] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 33.

[4] _ أبي عمار عبد الكافي: المصدر السابق، ص 19.

[5] _ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص، ص 109-110.

[6] _ أبي عمار عبد الكافي: المصدر السابق، ص 19.

وأهل الحلقة صنفان آمر ومأمور، فالآمر اثنان: شيخ الحلقة والعرفاء الذين يساعدونه في أداء مهامه وهم: عريف أوقات الختمات والنوم، عريف تحفيظ القرآن الكريم، عريف أوقات الدراسة، أما المأمور فهم ثلاثة: طلبة القرآن، طلبة فنون العلم، والعاجزون، ولجميعهم أوقات محددة لحضور الحلقة.

وأما مهام الشيخ فتتمثل في:

_ الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه الدرس.

_ الجلوس إثر الختمات للجواب على الأسئلة المختلفة.

_ درس الوعظ غداة يوم الجمعة.

_ الإشراف على مجلس تلاوة القرآن في الفجر.

_ تفقد العرفاء والسؤال عن أحوالهم.[1]

ومن أبرز شيوخ العزابة الذين تركوا بصمة في الميدان التربوي والتعليمي بوادي مزاب، نجد الشيخ سعيد بن علي الجربي والشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي، والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، والعلامة الكبير الشيخ الحاج امحمد بن يوسف اطفيش، والشيخ أبي اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى، والشيخ إبراهيم بن عمر بيوض.

فهؤلاء رحمهم الله طهروا المجتمع المسلم في مزاب وغيره من البدع الضارة والأخلاق الفاسدة، وغرسوا بذور الإيمان الأصيل وأرجعوا عامة الناس إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة، حيث بينوا للجمهور المسلم أن العقيدة الصحيحة تكون بالرجوع لكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ[2].

المبحث الثاني: تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة وادي مزاب

أولا: الحياة الاقتصادية:

تميزت الحياة الاقتصادية خلال القرنين 18 و19 الميلاديين بالازدهار والرقي حيث استطاع المزابيون أن ينشئوا واحاتهم البديعة على ضفاف وادي مزاب وروافده، رغم قساوة الطبيعة والمناخ بالمنطقة، فواحات وادي مزاب تعتبر نموذجا رائعا قلما نجد لها مثيل في تلك الفترة، وكل هذا كان نتاج العمل الجاد والدؤوب من أجل تحويل المنطقة من صحراء قاحلة إلى واحة خضراء، لتحقيق سبل العيش والتفكير في الأجيال القادمة. كما أن للمرأة المزابية نصيب معتبر في العمل ومساعدة الرجال في الأعمال

[1] _ أبي العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص 172.

[2] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 114.

اليومية، فقد ساهمت بقسط وافر في الحياة الاقتصادية للمنطقة، وذلك من خلال الاقتصاد في النفقات، والاشتغال بالغزل والنسج وغيرها من الأعمال الأخرى[1].

يقول الشيخ علي يحي معمر: "ويبدو أن المرأة المصعبية قد أخذت حظها من التطور، فقد كانت في العهود السابقة مشغولة بمساعدة الأسرة في عمليات الرعي المختلفة، وقصارى ما تستطيع أن تجيده من الصناعة إنما هي صناعة الفلائج التي تتكون منها الأخبية والبيوت، وكانت الصوف تؤخذ وتباع في أسواق الحضر (...) ولما استقر بنو مصعب ومن هاجر إليهم في مدنهم تلك، وأعفيت المرأة من الأعمال التي كانت تزاولها في البادية واستقرت في البيت، وأصبح زوجها يقوم بأعمال الزراعة والصناعة قريبا منها ثم يعود إليها، وجدت أن في وقتها فراغا تستطيع أن تستغله لفائدة الأسرة، وتحركت أصابعها الدقيقة الماهرة تغزل الصوف، وتنسج منه الأكسية والبرانيس لأفراد الأسرة أو السوق"[2].

أ/ الفلاحة:

اعتمد بنو مزاب خلال الفترة الحديثة في نمط حياتهم على الفلاحة بشكل كبير، حيث واصلوا في هذه الفترة من تاريخهم تذليل الصعاب وتسخير إمكانياتهم المحدودة جدا لخدمة الأرض وتوسيع البقع الخضراء، التي أصبحت بذلك واحات، فقد كانوا ينهجون نظام التقشف في حياتهم اليومية ويطبقون مبدأ الاكتفاء الذاتي[3]، فالمزابيون مقتصدون جدا في حياتهم اليومية[4].

ومن أبرز سمات هذا الفترة أن بني مزاب أضحوا يتطلعون إلى تغيير نمط حياتهم من حياة البداوة إلى حياة التحضر والاستقرار، فأصبحوا يتجمعون في مدن أو قرى كبيرة، والشروع في حفر الآبار لإقامة زراعة مستمرة تعتمد على الري الدائم، ثم أصبحوا يرحبون بمن يهاجر إليهم من بلاد مختلفة، فيستقبلونهم

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 27-28.

[2]_ علي يحي معمر: المرجع السابق، ص 322.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 42.

[4]_ الحاج ابن الدين الأغواطي: **رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 90.

بكرم، ويستفيدون من خبراتهم في المجالات المختلفة لوسائل الحياة، ولاسيما في مجال الزراعة الثابتة المستديمة[1].

وظلت النّخلة محور اقتصادهم، فمنها يتقوتون وبعناصرها المختلفة يتخذون منها سقوف بيوتهم، ويصنعون أثاثهم وأوانيهم، وفي ظلالها يستريحون من تعب الكد وحرارة الطقس صيفا، وتحتها يزرعون بعض البقول والفواكه[2].

ومن إبداعات الميزابيين في ميدان الفلاحة، استحداث نظام لحصر مياه الواحات، فالسطح الذي كان المورد الوحيد للسقي، أصبحت تستغله اليوم الآلاف من الآبار المخصصة لسقي الأراضي القابلة للفلاحة، بحيث ليست الأهمية في البئر بحد ذاته، وإنما الأهمية تكمن في كيفية استغلال مياه تلك الآبار، فالمياه لا تغرف من الآبار بعمل الإنسان مباشرة، بل تغرف بواسطة الحيوانات مثل: الأحمرة والبغال والجمال التي تنقل حسب حركة آلية معينة ذهابا وإيابا، تحت مراقبة أحد الحراس، باستخدام طرق ووسائل سقي مدروسة ومضبوطة[3].

لقد عقدت في وادي مزاب العديد من الاتفاقات، واستحدثت العديد من القوانين التي تنظم الحياة الزراعية والفلاحية وعملية توزيع المياه بين الفلاحين في كامل القصور السبعة، وذلك من طرف هيئة العزابة، وكل ذلك من أجل ضمان التقسيم المتساوي والعادل بين الجميع، ولتفادي النزاعات والخلافات بين سكان المنطقة حول مسألة توزيع المياه، ومن هذه القوانين على سبيل المثال ما أصدره مجلس العزابة سنة 1052هـ/1642م حول قضية الاعتداء على نظام السواقي من خلال الزيادة في حجمها الموجب له، فاتفقوا على غرامة قدرها خمسة وعشرون ريالا إضافة إلى النفي من البلدة[4]، واتفقوا عام 1156هـ/1744م على ماء المطر، وتخصيص أمناء لكل حي يحرسونها وقت نزول المطر، وأيّ تعدي على مياه الأمطار، فجزاء المتعدي مثل جزاء السارق[5]، وبهذا واصل الميزابيون الاهتمام بالفلاحة وإصلاح الأراضي الزراعية واستغلالها معتمدين على أنفسهم، باستخدام وسائل تقليدية بسيطة

[1]_ علي يحي معمر: المرجع السابق، ص 320.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 42.

[3]_ مفدي زكرياء: المرجع السابق، ص 212.

[4]_ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص، ص 40-41.

[5]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 49.

استطاعوا من خلالها توفير المنتوجات الفلاحية في الواحة، رغم البيئة الصحراوية القاحلة، وأصبحت بذلك منطقة وادي مزاب واحة خضراء بفضل مجهوداتهم الجبارة في هذا المجال.

ب/ الصناعة:

من الصناعات السائدة بوادي مزاب، الصناعات التقليدية التي تستخدم المواد الأولية المتوفرة بالمنطقة كالنخيل ومادة الجير والجبس وغيرها، فنجد مثلا صناعة مواد البناء من جير وجبس، كانت تصنع لها أفران مبنية من حجارة وطين أحمر مستديرة الشكل، إضافة إلى صناعة تسوية أخشاب النخيل لتسقيف البيوت والمباني، وخشب بعض الأشجار لصنع بكرات النّزح وحاملاتها وأدوات النسج وأواني المطبخ، ونجد أيضا صناعة دباغة الجلود لصناعة الدّلاء، وصناعة الفخار لصنع الأكواب والأباريق والقلل والخابيات، ويصنع كل ذلك من طين خاص ثم يوضع في أفران خاصة به[1].

وسكان مزاب يحترفون البناء والأشغال العامة، بالإضافة إلى صناعة الحدادة والمناشير، ودور النجارة والدهن، ولهذه الحركة نشاط باهر، إذ يغذيها المال الآتي من الشمال، ويتعاون سكان مزاب كلهم في هذه الأشغال، كما أن للمرأة دور بارز في هذه الصنائع من خلال صناعاتها المنزلية المختلفة، خاصة صناعة النسيج من الزرابي وثياب الصوف، حيث تقوم بها النساء أثناء وقت الراحة، فلا تكاد تخلوا بيت من بيوت مزاب من منسج، ولا تكاد توجد أنثى بمزاب لا تحسن النسيج، وتختلف المصنوعات على حسب الجودة والإتقان، وتتمثل في: الجلابيب، الحايك، القشابية، والبرنوس من صوف الغنم أو وبر الجمل، والزرابي تتفاوت على حسب دقة صنعها، وأحسنها جودة زرابي بني يزقن المليئة بالزخارف الهندسية المختلفة[2].

ويتخذ المزابيون من جذوع النخيل عوارض للتسقيف، وأخشابا لصنع الأبواب، ومكاييل للتجارة، ومهاريس لطحن الحبوب، وصنع الأواني المختلفة، كما يتخذون من جريدها ستائر وسقوفا، ويصنع من أورقها وأليافها حصائر وحبال وأقفاف وأطباق ودلاء ومظلات ومراوح وغيرها من الأدوات ذات الاستخدام اليومي، كما اشتهر بنو مزاب بصناعة البارود، وكان لكل قرية عدد معتبر من المهاريس الصخرية الكبيرة، لصنع البارود، وبيعه للقوافل، وكانوا يستوردون لذلك الكبريت من تونس وليبيا، وملح

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 50.

[2]_ مفدي زكرياء: المرجع السابق، ص، ص 221-222.

البارود من الجنوب الغربي، أما الفحم فكانوا يحصلون عليه بواسطة شجر الأثل الموجودة بالمنطقة[1]، وفن صناعة البارود هي عادة سكان الصحاري الذين يتقنون هذه الحرفة حسب الأغواطي[2].

ج/ التجارة:

كانت التجارة إلى جانب الفلاحة من أهم الموارد الاقتصادية للفرد الميزابي، حيث اشتهر بني مزاب بهذا العمل شهرة واسعة في أوساط المجتمع الجزائري، وأصبحت تجارتهم ومحلاتهم منتشرة في كامل القطر الجزائري، وأضحت موردا هاما أثرت على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في منطقة وادي مزاب، كما أن لموقع غرداية بصفة عامة أهمية بالغة في حركة التجارة والطرق التجارية منذ فترات زمنية بعيدة، فقد اكتسبت المنطقة أهمية كبيرة من كل الأوساط الصحراوية، نظرا لكونها معبرا استراتيجيا للتجار وللقوافل التجارية، فالفرد الميزابي بعد أن كان منكمشا لفترات طويلة في الواحات وفي مناطق الرعي، خرج من عزلته وصار يمارس مهنة التجارة متنقلا بين البلاد المختلفة مكونا بذلك أعرافا وتقاليدا ونظما، وبذلك أصبح الفرد الميزابي يملأ المدن والقرى الجزائرية وغير الجزائرية بهذه الحركة التجارية التي تميز بها[3].

فغرداية تعتبر وبدون منازع الوسط التجاري الأكثر أهمية من كل الأوساط الصحراوية الأخرى، إذ تعد ملتقى التجار قبل اجتيازهم مفاوز الصحراء الكبرى[4]، وفي القرن الثامن عشر الميلادي كانت القوافل المارة على غرداية تحمل معها إلى الشمال التمور والملح والعاج والذهب والجلود والأقمشة وريش النعام، وإلى الجنوب الحبوب والزيت والسكر والنحاس ومنتوجات مصنوعة بالتل وأوروبا، وبذلك ظلت غرداية ولقرون عديدة ملتقى للتبادل بين التل والسودان، كما كانت مركزا للتبادل التجاري بين قورارة وتوات غربا ومنطقة وارجلان شرقا، لهذا فالتجارة ساهمت بشكل كبير في تنمية المنطقة اجتماعيا واقتصاديا[5].

---

[1] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 50-55.

[2] _ الحاج ابن الدين الأغواطي: المصدر السابق، ص 90.

[3] _ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 44.

[4] _ مفدي زكرياء: المرجع السابق، ص 226.

[5] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 56-57.

على هذه الحالة اتجه الكثير من سكان وادي مزاب إلى السعي الجاد والمضني وراء العمل وخدمة الأرض، والبعض الآخر اتجه نحو الشمال متاجرا أو عاملا لفترة من الزمن، تاركا أهله وأولاده وراءه في سبيل كسب قوة يومه، ويعود إليهم بما جمع من ثمرة عمله[1].

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

إنّ السلطة في وادي مزاب ترجع إلى هيئة العزابة والعوام، فرغم كون هيئتهم خالية من السلطة المادية، والقوة الزاجرة، إلا أنها استطاعت التحكم في جل شؤون المنطقة، وقد تساعدها في مهامها الهيئة المدنية المتمثلة في العشائر والأعيان ومنظمة إروان، ولكن الأمر دائما يرجع إلى العزابة، خاصة في الأمور التي لها مساس بالشريعة، فهم الذين يسهرون على المحافظة على المصالح العامة وتنظيمها، كالأسواق والمسالخ، وسواقي المياه والسدود[2]، فاستطاع هذا النظام المحكم أن يستقطب كل التنظيمات الاجتماعية ويطبعها بالطابع الدّيني الإسلامي، ويغرس في نفوس أفراد المجتمع المزابي الولاء لله ورسوله ﷺ فيما شرعه الدّين الحنيف من آداب الجوار والتكافل الاجتماعي والتعاون على البّر والتقوى[3].

أ/ الهيئات الاجتماعية في وادي مزاب:

- **حلقة العزابة:** هي أعلى سلطة دينية وروحية في وادي مزاب، كما أشرنا إليها في بداية هذا الفصل.
- **العائلة أو الأسرة:** تتميز الأسرة في وادي مزاب بتماسك أفرادها، والتعاون والتضحية على أساس الشريعة الإسلامية، ولهذا نلاحظ أن الآباء يبذلون قصارى جهدهم في تربية أبنائهم دينيا وأخلاقيا واجتماعيا[4]، والعائلة هي اللبنة الأولى في بناء أي مجتمع، فهي تساعد العشيرة الكبرى في مهامها الاجتماعية والتربوية، ويجتمع المجلس العائلي في المناسبات والأعياد، وذلك من أجل صلة الرحم أو الرؤية في قضايا الأسرة وغيرها[5].

---

[1]_ إبراهيم محمد طلاي: **مزاب بلد كفاح دراسة تاريخية اجتماعية**، دار البعث-قسنطينة، الجزائر، 1970م، ص 62.

[2]_ نفسه: ص 49.

[3]_ منير الشيخ يحمد: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة وادي مزاب خلال القرن 13هـ/19م**، رسالة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2018م، ص 31.

[4]_ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 106.

[5]_ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 56.

• **العشيرة**: يعرفها الشيخ القرادي: "هي مجموعة عائلات تنحدر في الغالب من جد واحد (...) إن العشيرة ليست وحدة عرقية كما يبدو، ولكنها وجدة تنظيمية أو وحدة اجتماعية، ومهما يكن من أمر فإن نواة العشيرة الأولى تكون عرقية (سلالية) لا محالة، ولكن بإمكان قبول كل من طلب الانتماء إليها بالاختيار أو بالولاء يخرجها من دائرة القبلية المحضة"[1].

ويقول الشيخ أبو اليقظان عن وظيفة العشيرة: "وقد علق الله بهذا النظام (العشائر) حقوقا لليتامى والأرامل والفقراء، وحفظ به نظام الأسر والعائلات بحفظ الأنساب وإلزام النفقات، وإيصال حقوق الميراث لأصحابها، وخفف به ثقل الدية في الخطأ على القاتل، بتوزيعها على أفراد العشيرة"[2].

إن نظام العشائر في وادي مزاب يقوم على أساس الأخوة الإسلامية التي حثنا عليها الدين الإسلامي الحنيف، وهو قيام الجماعة المسلمة بواجباتها نحو أفرادها، لتحقيق التعاون والتآزر والألفة بين أفراد العشيرة، لتشكل أحد الركائز التي يقوم عليها المجتمع[3].

لهذا فمجلس العشائر يعد العضد الأيمن لمجلس العزابة، بحيث يشرف على إدارة كل عشيرة مجلس أو إدارة من مشائخ وعلماء العشيرة يشرفون على تسيير شؤونها، ويعقد مجلس العشيرة جلساته دوريا وبانتظام[4].

• **جمعية الشباب (إِمَصُوْرْدَانْ)**: ينخرط فيها الشباب الميزابي الذي يتمتع بالأخلاق والسيرة الحسنة، ووظيفة هذه الهيئة خدمة المصلحة العامة لاسيما تقديم الخدمات في المساجد والمقابر وفي حالة الكوارث الطبيعية، ويعتبر إمصوردان العين الساهرة على الأمن والآداب العامة في البلدة من خلال الحراسة التطوعية بدون مقابل مادي[5]، فهذه الجمعية مهمتها مساندة ومساعدة العزابة في أداء مهامها، وهدفها هو تربية الشباب المزابي على العمل الصالح لوجه الله، وتعويدهم الشجاعة والإخلاص والإستقامة[6].

---

[1] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 63.

[2] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 108.

[3] _ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المرجع السابق، ص 233.

[4] _ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 56.

[5] _ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص، ص 108-109.

[6] _ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المرجع السابق، ص، ص 239-240.

• **مجلس العَوَام**: هم مجموعة من الأفراد من وجهاء الأمة، عملهم هو مشاركة ومساعدة حلقة العزابة في تسيير وتنظيم شؤون الأمة وإصدار القوانين والاتفاقات الخاصة بالمجتمع المزابي ومتابعة تنفيذها على أرض الواقع، ومن مهامهم أيضا الإشراف على الخزينة العمومية للمدينة[1]، فالعوام إذا هم من عامة الناس من غير طلبة العلم، فهم يشكلون عنصرا حيويا في المجتمع الإباضي، وهم قاعدته الشعبية التي لها أهميتها ودورها الحساس في المجتمع[2]، ويضم المجلس فرقة من الشبان "المكاريس" الذين يعتبرون بمثابة الشرطة، فهم مكلفون بحماية الخزينة، ومساعدة مجلس العوام في أداء مهامه[3].

• **الهيئة العليا على مستوى البلدة**: في كل قصر من قصور مزاب يوجد مجلس قيادي تنفيذي موسع يضم ممثلي كل من العوام والعزابة، ويتكون المجلس من 24 عضوا، وتعقد الجلسات في المسجد الذي يمثل المرجعية الدينية والروحية الأولى في المدينة، بحيث يعتبر المتحكم في السلطة التشريعية والقضائية على مستوى البلدة الواحدة[4]، كما يعتني هذا المجلس بالشؤون العامة للبلدة، وله دور هام في إصلاح ذات البين، وأيضا فض النزاعات والخلافات[5]، وإصدار العقوبات على المخالفين[6].

• **الهيئة العليا على مستوى وادي مزاب**: لا يوجد تاريخ محدد لنشأة هذا المجلس، وربما أنشئ بعد تأسيس مدن مزاب السبعة[7]، ويتكون هذا المجلس من ممثلي كل من العزابة وعوام قرى واي مزاب السبعة ووارجلان، وهو أعلى مجلس على مستوى وادي مزاب، ولذلك يعتبر المجلس الأعلى لإباضية الجزائر، حيث يعين أكبر علمائه علما وورعا وشجاعة لرئاسته، فيكون شيخ وادي مزاب كله، وينعقد هذا المجلس في دورات عادية، وقد ينعقد بصفة طارئة إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وترفع للمجلس القضايا الكبرى كالإفتاء والاجتهاد في القضايا الفقهية والنوازل، ويقوم بوظيفة محكمة الاستئناف، بإصدار أحكام نهائية، ومن مهامه:

---

[1]_ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص 29.

[2]_ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، المرجع السابق، ص 500.

[3]_ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص 31.

[4]_ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص، ص 46-47.

[5]_ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 57.

[6]_ بالحاج ناصر: المرجع السابق، ص47.

[7]_ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب**، ج1، المرجع السابق، ص 437.

ـ إصدار الفتوى والأقوال الفقهية التي يجب أن يفتي بها العزابة.

ـ فض المشاكل العامة التي تحدث في وادي مزاب ووارجلان.

ـ تولية المشائخ في المساجد للوعظ والإفتاء.

ـ مراقبة أوقاف الإباضية في الجزائر وخارجها ومتابعتها.

ـ سن القوانين ووضع اللوائح الداخلية التي تخص سير الحياة بالمدن بشكل عام.[1]

أما عن تاريخ إنشاء هذا المجلس الاتحادي فلا يعرف تاريخ إنشائه بالضبط، إلا أن أقدم قرار له وجد مكتوبا، يحمل تاريخ أول رجب 807هـ/1405م، حيث كان ينعقد أول الأمر في مقبرة الشيخ باعبد الرحمن الكُرتي[2]، ثم أخذ ينتقل حسب ظروف أعضائه بين هذه المقبرة التي تتوسط الوادي، ومقبرة الشيخ أبي مهدي عيسى بقصر مليكة ومقبرة الشيخ عمي سعيد أو "أمّ سعيد"[3] بغرداية[4]، ويمثل كل قصر ثلاثة أعضاء، باستثناء قصر غرداية التي يمثلها ستة أشخاص[5].

هذه هي الهيئات الدينية والعرفية التي تسير المجتمع الميزابي في جميع شؤونه المختلفة، بداية من الأسرة إلى غاية المجالس العليا للعزابة والأعيان، فلذلك كانت هناك حالة من الاستقرار والتماسك

---

[1] ـ **معجم مصطلحات الإباضية**: تأليف مجموعة من الباحثين، ج2، المرجع السابق، ص، ص 750-751.

[2] ـ **الشيخ باعبد الرحمن الكرتي**: عاش خلال القرن: (6هـ/12م) من علماء وادي مزاب في القرن السادس الهجري، يعدّ من المعمرين الأوائل للمنطقة، أين كان ينشط في نشر الدين والعلم بقصر مليكة، حتى صارت منارا للعلم يقصدها الطلبة من جميع قرى وادي مزاب، له مصلى معروف باسمه لا يزال قائما إلى يومنا هذا قبلة قرية مليكة، وفيه كانت تعقد جلسات المجلس الأعلى لمزاب، كما كانت تقام فيه المؤتمرات الدينية النسوية المعروفة بمؤتمرات لا إله إلا الله، توفي خارج مزاب، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 245.

[3] ـ **الشيخ عمي سعيد**: اسمه الكامل سعيد بن علي بن يحي بن يدر بن سليمان ابن عثمان الجربي الخيري، (ت: 898هـ/1492م)، اشتهر باسم عمي سعيد، ولد في قرية أجيم بجزيرة جربة بتونس، وبها نشأ وأخذ العلم، ولما تفشى الجهل بوادي مزاب، بعثوا وفدا إلى جربة يطلبون منهم إرسال أحد المشائخ لإحياء العلم والدّين بالوادي، فأرسلوا لهم ثلاثة علماء سنة 854هـ/1450م وهم الشيخ عمي سعيد، والشيخ بالحاج محمد، والشيخ دحمان، فبادر من أول يوم إلى الإصلاح الاجتماعي والعلمي والديني، فأحي وادي مزاب وكوّن نهضة علمية ودينية، من منجزاته: تأسيس مجلس للفتوى الذي سمي باسمه فيما بعد، إنشاء دار التلاميذ في غرداية، جمع واستنساخ الكثير من الكتب النفيسة، وترك الشيخ مؤلفات عدة منها: منظومة في الفقه، الدعاء الذي يتلى جماعة بعد صلاة الصبح والمسمى بالسلام، بالإضافة إلى الكثير من الفتاوى الفقهية، توفي بغرداية ودفن بالمقبرة المعروفة باسمه، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 182-183.

[4] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 64.

[5] ـ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص، ص 57-58.

الاجتماعي بين أفراد المجتمع، والتي مكنته من مواجهة مختلف الظروف التي طرأت عليه من استعمار أو فتن داخلية وخارجية، فكانت هذه الهيئات عبارة عن صمام أمان ساهمت في الحفاظ على مقومات المجتمع الميزابي، وساهمت أيضا في رقي النشاط العلمي والثقافي وسيرورة العمل الاجتماعي بالمنطقة[1]، فكانت بذلك من أسباب نهضة وادي مزاب الحديثة، فالفرد المزابي لم يقتصر اهتمامه على الماديات فقط، وإنما انصبّ اهتمامه أيضا على تنظيم المجتمع وتثقيفه، وترسيخ الدين الإسلامي فيه[2].

ومن مميزات الحياة الاجتماعية بمزاب نشاط (تْوِيْزَا) وهي التعاون على إنجاز بعض الأعمال الخاصة والعامة ذات الطابع الاجتماعي، ويقول الشيخ إبراهيم متياز في هذا الصدد: "يقوم الرجل لبناء دار، فتقوم عشيرته وأقاربه بأنفسهم ودوابهم، هذا ليجلب الحجر وذلك للحصبة، وآخر يبني، وآخرون يهيئون مواد البناء والخشب، وفي مدة وجيزة يتمون بناء دار أو يغرسون جنانا أو يسوونه أو يحفرون بئرا، وكذلك يفعلون في الزرع والحصد والدرس، وأكثر ما يقع هذا التعاون في الأعمال الكبيرة من العشيرة، وإن كان عمومي فمن جميع الناس من استطاع ذلك، كبناء سد أو تحويل مجرى السيل (...) والمرأة أحوج إلى ذلك التعاون لتعذّر القيام وحدها بنسج ما كان عريضا جدا من الثياب والزرابي والفراش"[3].

إن التقاليد والعادات بمنطقة وادي مزاب تختلف عن غيرها من البلاد، فهي تتميز بطابعها الديني الخالص، والبعد عن العادات السيئة، فمن التقاليد والعادات التي جبل عليها الوادي أكثرها ديني محض كمناسبات الأعياد والمولد النبوي والأعراس والأفراح الفردية والجماعية التي تقام تحت إشراف حلقة العزابة، في نظام متناسق، تعنى بتوجيه المجتمع إلى ما فيه سعادة الدارين دينا وخلقا، والعمل لحياة مشرفة نظيفة، وكذا مرافقة الشباب بشكل خاص وتوجيههم بما ينتظرهم من مسؤوليات وتكاليف، بما يحقق الطمأنينة والاستقرار وصفاء الجو الزوجي والعائلي[4].

---

[1]_ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص، 58.

[2]_ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المرجع السابق، ص 189.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 71.

[4]_ منير الشيخ يحمد: المرجع السابق، ص، ص 31-32.

المبحث الثالث: النهضة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب

تعود بدايات النهضة العلمية والفكرية في منطقة وادي مزاب إلى النصف الأول من القرن 5هـ/11م، خاصة بعد قدوم الإمام الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (ت: 440هـ) للمنطقة لنشر الإسلام والدعوة للمذهب الإباضي[1].

يقول الشيخ أحمد بن سعيد الدرجيني: "ومن أخبار الشيخ أبي عبد الله رحمه الله أنه كان يخرج للحلقة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب، منها أنه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ، واستصلاحها، فإنه علم ما في بلاد ريغ من رداءة الهواء وقلة طيب الماء، وأيضا فإن بني مصعب كانوا واصلية فعمت عليهم بركته، فرجعوا إلى دين الحق، والطريقة المرضية، وذلك كان أكثر قصده في انتجاعهم وحلول رباعهم، وكان يبين لهم طرقا يتبعونها ويضرب لهم أمثالا حسنة يعملونها"[2].

ويقول الشيخ أبو القاسم بن إبراهيم البرادي[3] عن تلك السفرات العلمية التي قام بها الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر إلى منطقة مزاب ما يلي: "وكان رحمه الله (أي أبو عبد الله محمد بن بكر) إذا دنا إبّان الربيع خرج بحلقته ومتّبعيه وكبار أصحابه إلى حِلال بني مصعب وأحيائهم يدّرس ويعظ ويذكّر، ويتفقد الأحوال، ويأمرون في جميع ذلك بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله على هيئة إمامة الظهور، ويقصده المسلمون بمعروفهم زكاة وصدقة ووصية، فيصرف ذلك إلى مصالح الطلبة ومهماتهم وإلى المستحقين من الحاضرين، وينتقل في حلالهم من حالة إلى حالة، ومن حي إلى حي، فإذا وجهت غلل ريغ وفواكهه نزل إليه وفعل مثل ما فعل"[4].

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، غرداية-الجزائر، 2009م، ص ط.

[2] _ أبو العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص، ص 183-184.

[3] _ **أبو القاسم بن إبراهيم البرادي**: (ت بعد: 835هـ/1431م)، ولد ونشأ في جبل دمر، ثم انتقل مع والده إلى جربة حيث فاجتهد في طلب العلم، وواصل دراسته بجامع الزيتونة بتونس، تولى التدريس والإفتاء والحكم في موطنه بجبل دمر، أين نشّط الحركة العلمية هناك، كما كان له باع في مناظرة علماء تونس زمن أبي فارس الحفصي، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 261.

[4] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص، ص. ط، ي.

وكانت مدارس وارجلان، وربما مدارس وادي ريغ أيضا قِبلة للطلبة المزابيين لعدة قرون، لطلب العلم وتلقي العلوم المختلفة، باعتبار أن وارجلان في تلك الفترة كانت رائدة في هذا الجانب، كما كان العلماء الوارجلانيون مرجعا في الفتوى والنوازل لشيوخ مزاب[1].

ولـمّا قلّ دور إقليم وارجلان ووادي ريغ، في الجانب العلمي والثقافي، بسبب ما حل فيهما من الفتن، وبما أصاب قراهما ومدنهما من التدمير والتخريب[2]، قام عدد من العلماء المزابيين بالرحيل بعيدا لتحصيل العلم والثقافة، فمنهم من قصد جربة أو مصر، ومنهم من قصد عمان وغيرها من البلاد الإسلامية للنهل من مدارسها العامرة، ولما رجعوا منها اشتغلوا بالإرشاد والتدريس والإصلاح، حيث تخرج على أيديهم نخبة من المشائخ، الذين واصلوا المسيرة ونشروا العلم، وانقطعوا للتأليف في مختلف الفنون، وفي الشريعة واللغة العربية بصفة خاصة[3]، فنشطت حركة النسخ واقتناء الكتب في القرن 9هـ، فظهر نساخ مهرة نقلوا العديد من كتب الفكر الإباضي وغيره[4].

ومن الملاحظ أن بني مزاب اكتفوا خلال القرون السابقة لهذه الفترة بما ينتجه غيرهم في المجال الثقافي، فقد ظلّوا معتمدين كليا على كتب الإباضية من وارجلان وجربة وجبل نفوسة وغيرها من مواطن الإباضية، وكلما شعروا بالفراغ الثقافي طلبوا من إخوانهم أن يمدّوهم بأحد مشائخهم لإحياء العلم بوادي مزاب[5].

تعدّ الفترة الواقعة ما بين أواخر القرن 9هـ/15م، إلى النصف الثاني من القرن 10هـ/16م فترة حاسمة في التاريخ الثقافي والفكري للمجتمع الإباضي بمزاب جنوب الجزائر، إذ عرفت نهضة علمية وفكرية رائدة ساهمت في إبرازها عدة عوامل أهمها:

---

[1] ـ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث**، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 17، غرداية-الجزائر، 2017م، ص 137.

[2] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص ي.

[3] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 113.

[4] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص ي.

[5] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 113.

ـ انتقال الشيخ سعيد بن علي الجربي من موطنه الأصلي جزيرة جربة بتونس إلى منطقة وادي مزاب واستقراره فيه نهائيا، وما أحدثه الشيخ وتلامذته من إصلاح في مختلف المجالات وبالأخص الجانب الاجتماعي والثقافي.

ـ ازدهار الطرق التجارية التي استحدثها المزابيون بجدهم ونشاطهم، والتي ساعدت على إيجاد نوع من الرخاء النسبي الذي أدى بسكان وادي مزاب إلى الاهتمام بالجوانب المتعلقة بالحياة الفكرية والثقافية، فأضحت منطقة مزاب معروفة كمركز حضاري هام بشمال الصحراء جنوب الجزائر.

ـ انتشار الكتاتيب (المحاضر) التي تبنى بجوار مساجد قصور مزاب، التي ساعدت في نشر العلم وتثقيف المجتمع المزابي، بحيث قويت حلقات العلم التي يديرها مشائخ العزابة لتعليم الطلبة أمور دينهم، وازداد عدد الطلبة المزابيين الذين التحقوا بمدارس جربة ومصر للتحصيل في مختلف العلوم[1].

وهذا دليل حاسم وواضح على نجاح حلقة العزابة في أداء مهمتها تجاه المجتمع الميزابي، وذلك بمحاربة الأمية والجهل، ففي المحاضر يتعلم أبناء البلدة مبادئ الكتابة واللغة العربية، ويحفظون القرآن الكريم، وهي بذلك تعتبر صورة فريدة، بحيث نجحت إلى حد كبير في القضاء على الأمية، التي تشكل عائقا أمام تطور المجتمعات وازدهارها[2].

وما يميز القرن 10هـ/16م على منطقة مزاب تطور الحياة الفكرية التي عرفت نهضة رائدة كان لها الأثر الحسن والمحمود في مختلف نواحي الحياة المجتمع الميزابي، وممن كان لهم الفضل في بعث النهضة وتنميتها بالمنطقة العالم المصلح أبي عثمان سعيد بن علي الخيري الجربي المعروف بالشيخ عمي سعيد (ت: 927)، وتلميذه من بعده الإمام الشيخ أبي مهدي عيسى ابن إسماعيل بن عيسى المصعبي[3] (ت:

---

[1] ـ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9-10هـ/15-16م، مخطوط أجوبة الشيخين: سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا**، المنهاج، العدد 2، ج.ش.أ.إ.ظ، خ.ت، غرداية-الجزائر، 2013م، ص، ص 97-99.

[2] ـ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 117.

[3] ـ**أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المصعبي**: (ت: 971هـ/1564م)، علم من أعلام بلدة مليكة بمزاب، أخذ العلم عن شيخ زمانه بمزاب وهو الشيخ عمي سعيد الجربي، وكان من أنجب تلاميذه، اشتهر أبو مهدي عيسى بالعلم والفهم والاجتهاد والورع، له تآليف عدة منها: رسالة إلى أهل وارجلان، قصيدة في المواعظ والأدب والنصائح والزهد، رسالة في إعراب كلمة الشهادة، موازين القسط، رسالة في معنى التوحيد والوحدانية والألوهية والربوبية، ممن أخذ عنه العلم الشيخ بامحمد اليسجني، والشيخ أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الذي قدم إليه من جربة، والرحالة الشيخ محمد بن زكرياء الباروني الذي بقي معه إلى وفاته، لما توفي اتخذت روضته في المقبرة المعروفة باسمه إلى اليوم "مقبرة الشيخ سيدي عيسى" مقرا للعزابة عند انعقاد مجلسهم الرسمي للقصور السبع، خلفه في مشيخة

971هـ)، ومن مظاهر تلك النهضة المباركة ازدياد عدد الطلبة المزابيين الذين التحقوا بمدارس جربة ومصر لمواصلة دراساتهم العليا، فنشطت حركة نسخ الكتب والدواوين، وأسس بعض الشيوخ البارزين مكتباتهم الخاصة وإتاحتها للدارسين والباحثين، وقويت بذلك الروابط الثقافية بين مزاب ومواطن الإباضية الأخرى، كجزيرة جربة وعمان، وأضحت منطقة مزاب مركز إشعاع يستقطب علماء من خارج مزاب[1].

ومما زاد في ازدهار العلم وانتشاره بالوادي قدوم الكثير من العلماء البارزين إليه من مختلف العواصم الإسلامية، أغلبهم من نفوسة وتيهرت وجربة وسدراته، فاستقروا في قصوره لنشر العلم والإرشاد والفتوى والإصلاح، وبلغوا رسالتهم للأمة المزابية بصدق وإخلاص، فجنى بهم الوطن خيرا كثيرا، وبقيت آثارهم خالدة يتوارثها الأجيال خلفا عن سلف[2].

ومن العلماء الذين وفدوا على مزاب في القرن 10هـ/16م نجد من جزيرة جربة الشيخ أبو عثمان سعيد بن علي الجربي الذي استقر في وادي مزاب بصفة نهائية، ولا يزال نسله في غرداية يحمل لقب "عمي سعيد"، ومن نفوسة الشيخ أبو عبد الله محمد بن زكرياء بن موسى الباروني[3]، ومن عمان الشيخ مسعود بن أحمد، ومن تلمسان الفقيه أبو يحي التلمساني، ومن فاس الشيخ أحمد الفاسي[4]. وكانت

=بلدة مليكة أحد تلاميذه الشيخ حيّو بن دودو بعد وفاته، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 325-326، يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 116-117.

[1]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص، ص، ك-ل.

[2]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 60.

[3]_ **أبو عبد الله محمد بن زكرياء بن موسى الباروني**: (ت: 997/1589م)، عالم ومؤرخ من علماء العائلة البارونية العريقة في التاريخ الإباضي بليبيا، كانت نشأته الأولى بيفرن، أخذ بها مبادئ الدين، ثم سافر إلى جربة ليستزيد من العلوم، ثم توجه إلى وادي مزاب ليأخذ عن شيخها أبي مهدي عيسى بن إسماعيل في مليكة، ومكث بها عشر سنوات، عاد إلى وطنه بعد ذلك وتفرغ للتعليم والتأليف، ومن مؤلفاته: سلسلة نسب الدين، رسالة في تاريخ حملة النصارى الإسبان على جربة، توفي الباروني شهيدا، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 376-377.

[4]_ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث**، المرجع السابق، ص 138.

طريقة التعليم والتدريس لهؤلاء العلماء تكون في المساجد، وذلك بتكوين حلقات علمية لتدريس مختلف العلوم النقلية والعقلية والعلوم العربية، في أوقات خاصة قبل الصلاة وبعدها[1].

في القرن 11هـ/17م استمر نشاط الحركة الثقافية مع بعض الفتور، لكن سرعان ما استعادت المنطقة نشاطها من جديد خلال النصف الثاني من نفس القرن بفضل علماء أجلاء، الذين كان لهم بالغ الأثر في تجديد الحركة الثقافية وتنميتها بما يضمن لها الاستمرار، وكان على رأس تلك الكوكبة

[1]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 61.

المباركة ثلة من الشيوخ منهم: الشيخين الشقيقين محمد[1] وموسى[2] ابني أبي سحابة الغرداويين، والشيخ أبي القاسم بن يحي[3] وابنه الشيخ محمد[4] الغرداويين، والشيخ عبد الله بن عيسى اليسجني[5] وغيرهم[6].

وما يميز هذه الفترة اعتماد بني مزاب على أنفسهم وانتقالهم من عنصر مستهلك، إلى عنصر منتج في ميادين الثقافة، فهناك مجموعة من العلماء الذين تركوا لنا تراثا عظيما من الإنجازات الجليلة التي

---

[1]_ **بامحمد بوسحابة**: (عاش خلال القرن: 11هـ/17م)، قدم إلى غرداية من جبل نفوسة، اشتهر بالعلم والورع والتقوى، من أحفاد الشيخ بابا والجمة، تولى مشيخة غرداية، قصد المغرب الأقصى، ومكث فيه سنين يتلقى العلوم والمعارف الدينية، ولما رجع إلى وطنه وجد الوضع أسوأ حالا مما تركه، فجلس للفتوى، وحمل راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح المجتمع، فكان بذلك من رواد الحركة الإصلاحية الحديثة بوادي مزاب، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 82-83.

[2]_ **موسى بن أبي سحابة امحمد ابن بابا والجمة**: (عاش خلال النصف الثاني من القرن: 11هـ/17م)، عالم جليل من غرداية بمزاب، عرف بالصلاح والتقوى، كانت له مراسلات علمية قيمة مع الشيخ محمد ابن عمر بن أبي ستة المحشي، وقد نشر بعض منها في كتاب طهارة الديون، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 428.

[3]_ **أبو القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي**: (ت: 1102هـ/1690م)، من مشائخ غرداية الأجلاء، أخذ عنه العلم ابنه محمد الشهير بالشيخ حمو والحاج، وهما حلقتان في سلسلة نسب الدين، ترك عدة مؤلفات منها: شرح الأجرومية، أجوبة في عدة مواضيع، قصائد شعرية مختلفة، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 347.

[4]_ **محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي**: الشهير بـ "حمو والحاج" (و: 1045هـ/1635م-ت1129هـ/1716م)، أخذ العلم عن والده الشيخ أبي القاسم، كانت له حلقة علم، تخرج منها علماء قادوا الحركة العلمية في مواطنهم، كما اشتغل بالتأليف ومن بين مؤلفاته: جواب على كتاب ألفه أحد حكام وارجلان، شرح قصيدة صلاة العيدين، فتاوى وأجوبة فقهية، وله قصائد عديدة، وكان مهتما بنسخ المخطوطات النفيسة، ومما عرف به من المنجزات في المجال الاجتماعي، إنشاؤه لنظام تقاسيم المياه ببساتين غرداية، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 362-363.

[5]_ **عبد الله بن عيسى اليسجني**: (ت: 1118هـ/1706م)، من العلماء الأجلاء لبني يزقن بوادي مزاب، عرف بالورع والتقوى، أخذ العلم بمصر، وبعد عودته إلى وادي مزاب بدأ في نشر العلم، فأخذ عنه الشيخ بالحاج بن كاسي القراري مستلهما منه العلم والدين، له رسالة في أجداد ميزاب، كما أن قبره متواجد بمقبرة أبي امحمد ببني يزقن، ينظر: إبراهيم زدك: **الحركة العلمية في منطقة وادي مزاب ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م**، المرجع السابق، ص 231.

[6]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص ل.

أعطت نقلة نوعية للحياة العلمية، سواء تعلق الأمر بالتأليف أو النسخ أو الإصلاح الديني والاجتماعي وغيرها[1].

وظلّت الحياة الفكرية مستمرة على هذا النهج رغم الصعوبات والعوائق التي تعترضها من حين لآخر، إلى أن تسلّمها الشيخ المصلح ومجدد النهضة العلمية والاجتماعية بمنطقة وادي مزاب في نهاية العصر الحديث[2]، الشيخ أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي[3] اليسجني المعروف بعمي يحي (1712-1788م)، الذي كان ممن لهم الفضل في إحياء العلم بمزاب بعد عودته من جزيرة جربة، وهو من العلماء وكبار المشائخ بمزاب إبّان النهضة العلمية الحديثة، بل يعدّ هو باعثها الأول[4]، وعدّت الفترة التي تولى فيها نشر العلم والقيام بالإصلاح الاجتماعي، في النصف الثاني من القرن 12هـ/18م، من أزهى فترات الحياة الفكرية في مزاب، فقد تخرج على يده ثلة من العلماء الأجلاء، الذين ساهموا مساهمة فعالة في تكوين الأجيال وإحياء العلم في ربوع مزاب، منهم ضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني[5] (ت:

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 113.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص ل.

[3]_ **الشيخ أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي**: (1712-1788م)، من الأعلام الكبار بمزاب إبان النهضة الحديثة، ولد ببني يزقن بمزاب، ثم رحل إلى جربة لطلب العلم، ثم رحل منها إلى مصر يغترف العلم من علمائها ويجلس لدروس المدرسة الإباضية بوكالة الجاموس، ودروس جامع الأزهر، ثم رجع إلى وطنه مزاب حوالي سنة 1744م، فشرع في وضع أسس حركة إصلاحية شاملة، فعلم وأرشد وأصلح في التعليم والوعظ، فتخرج على يديه العديد من الطلبة الذين قادوا الحركة الإصلاحية بوادي مزاب ووارجلان ووادي ريغ، كما اشتغل الشيخ بنسخ الكتب والتأليف وترك ما لا يقل عن عشرين نصا بين رسالة وحاشية، كما ترك تآليف في شروح على دواوين شعرية في العقائد، وقد ترك مكتبة ثرية يتوارثها ذووه إلى اليوم، توفي عن عمر يناهز 76 سنة إثر مرض عضال أصابه، للمزيد ينظر: إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: **رحلة المصعبي**، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، ط1، المطبعة العالمية، العطف-غرداية، 2006م، ص، ص 21-22.

[4]_ نفسه: 21.

[5]_ **الشيخ عبد العزيز الثميني الملقب بضياء الدين**: (و: 1130هـ/1718م/ ت: 1223هـ/1808م)، علم من أعلام الإباضية، من بني يزقن بمزاب، نشأ بها، وبها حفظ القرآن وأخذ مبادئ العلوم، ثم انقطع عن الدراسة وسافر إلى وارجلان ليدير أملاك والده بها حتى سن الثلاثين، وبقدوم الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي إلى مزاب، لازمه في حلقاته إلى أن نبغ في علوم اللغة العربية والشريعة والمنطق وغيرها، ترك الشيخ مؤلفات كثيرة فأثرى بذلك المكتبة الإسلامية بكثير من أمهات الكتب في مختلف الفنون، منها: كتاب النيل وشفاء العليل، أرجوزة في الفلك ومنازل البروج، وغيرها، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 255.

1223هـ)، الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن اليسجني[1] (ت: 1232هـ)، الشيخ يحي بن عيسى البنوري وغيرهم.

كما تعددت في تلك الفترة المؤلفات القيمة سواء في العلوم الشرعية أو العقلية، وانتشرت كذلك حركة النساخة التي امتهنها ناسخون مهرة، حيث نسخوا العديد من المؤلفات القيمة التي أثرت خزائن الكتب الخاصة والعامة بمزاب، بحيث رصدت لها أوقاف للمحافظة عليها وصيانتها[2].

وبهذه الطريقة أنجبت وادي مزاب علماء أجلاء، وأقطابا في الشريعة الإسلامية، ألفوا العديد من المؤلفات والمجلدات في كل العلوم، وبالأخص في التفسير والشرعيات، ككتاب النيل للشيخ عبد العزيز الثميني، الذي قام بشرحه قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، وأصبح بذلك من المراجع الهامة في العالم الإسلامي[3].

وفي القرن 13هـ/19م برز الإمام الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش[4] الملقب بـ "قطب الأئمة"، الذي يعد من المصلحين الذين أحيوا العلم بوادي مزاب وساهم في تنشئة جيل متمسّك بدينه وأصالته،

---

[1]_ **الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن اليسجني**: من علماء بني يزقن البارزين، أخذ العلم عن خاله الشيخ عبد العزيز الثميني، وعن الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي، كان مؤلفا وشاعرا جليلا وعالما حكيما أديبا فيلسوفا ورحالة، وهو من أنصار النهضة الإسلامية الحديثة، فكان يتنقل بين مدن مزاب يدعوا إلى العلم ويحارب الجهل والبدع، أخذ عنه العلم تلاميذ كثيرون، وكانت له صلات وثيقة بعلماء الجزائر والمغرب وعمان، فكان يراسل الإمام سليمان بن عبد الله الإسماعيلي إمام سلطنة عمان، كما كانت له مراسلات مع البايات والدايات الأتراك باسم مجلس عمي سعيد، من مؤلفاته: تفسير آيات النور، مختصر المناسك ومهذب المسالك، قصيدة البردة في مدح خير البرية، الرحلة الحجازية، وكان يملك مكتبة ثرية بنفيس المخطوطات، توفي عام 1232هـ/1817م، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 13-14، يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 128-129.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص ل.

[3]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 61.

[4]_ **الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش الشهير بـ "قطب الأئمة"**: (ولد: 1237هـ/1821م-ت: 1332هـ/1914م)، أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة، ولد ببني يزقن، توفي والده وتركه يتيما تحت كفالة والدته، أخذ مبادئ النحو والفقه عن أخيه الأكبر إبراهيم بن يوسف، وتلقى مبادئ المنطق عن الشيخ سعيد بن يوسف وينتن، نشأ عصاميا لم يسافر للدراسة خارج موطنه، حيث كان حريصا على اقتناء الكتب واستنساخها، فتشكلت لديه مكتبة غنية تعتبر بالكتب والمخطوطات الفريدة، أنشأ القطب معهدا للتدريس ببني يزقن تخرج فيه علماء مصلحون، اشتهروا في مختلف أقطار المغرب والعالم الإسلامي، ترك الشيخ

حيث شهد له العلماء من مختلف الأقطار بسعة علمه والتمكن في العلوم، مخلفا إلى جانب مؤلفاته الكثيرة، جيلا من العلماء الأتقياء[1]، الذين واصلوا المسيرة وبذلوا جهدهم في خدمة الدين والمجتمع، وساهموا في إنشاء جيل على أسس إيمانية قوية، وهو بذلك يعد من مجددي النهضة العلمية بوادي مزاب، ولا تزال آثاره الإصلاحية والعلمية قائمة إلى يومنا هذا[2].

ولقد كان الشيخ اطفيش في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، مثالا رائعا للعالم المسلم المجاهد، فقد سبّل نفسه وجهده للعلم وأهله، يخدم به دينه وأمته ووطنه، بحيث كان مثالا حيا للعلماء الموسوعيين الذين لم يدخروا أي جهد في سبيل خدمة الأمة والوطن، فقد كافح من أجل تثقيف المجتمع المزابي وتحسين الحياة الثقافية بالوادي، كما ترك مكتبة غنية بنفائس المؤلفات والمخطوطات في جميع الفنون والعلوم[3].

لقد كان لمعهد الشيخ اطفيش في قصر بني يزقن دور بارز في الحركة العلمية والنهضة الثقافية بمزاب، فقد كان في بدايته عبارة عن حلقة علم ببيته يعلم فيها طلبة العلم مختلف العلوم، ثم أصبح بعد مدة قصيرة ذا شهرة كبيرة في بلدته، فصار هذا المعهد قبلة ومقصدا للطلبة والراغبين في الاستزادة في طلب العلم من داخل وخارج قرى وادي مزاب، على غرار تونس وليبيا[4].

=مؤلفات كثيرة منها: تيسير التفسير، مسائل السيرة، الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي مزاب، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 399-406.

[1]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص م.

[2]_ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث**، المرجع السابق، ص 139.

[3]_ عبد القادر عزام عوادي: المرجع السابق، ص 93.

[4]_ نفسه، ص 94.

خلاصة الفصل:

ـ يرجع تاريخ تأسيس نظام العزابة إلى أوائل القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، وهي هيئة تربوية تعليمية، بعيدة عن السلطة والسياسة، هدفها الوحيد نشر الإسلام والدعوة إلى المذهب الإباضي، وتطبيق مبادئه ميدانيا.

ـ هيئة العزابة هي أعلى سلطة دينية وروحية في وادي مزاب، وتتكون من مجموعة أشخاص تتوفر فيهم العديد من الصفات الدينية والخلقية والاجتماعية، كالصلاح والتقوى والعلم والخبرة الاجتماعية، وتعتبر قمة الهرم الاجتماعي على مستوى البلدة في وادي مزاب، وإليها يرجع أمر حفظ المجتمع من الانحرافات ورعايته من الشرور، وذلك عن طريق مهام النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تشرف عليها ويتولاها أعضاءها على طول أيام السنة، وتحت هذه الحلقة تأتي حلقة "إروان" وهي حلقة خاصة بتحفيظ القرآن الكريم وطلبة العلم، وهي مساعدة لها في أداء المهام، وتعد أيضا مصدرا للعزابة المستقبليين، وتضم الحلقة أيضا هيئة مكلفة بالنساء وتسمى "تمسردين".

ـ دور حلقة العزابة في تربية المجتمع المزابي وتعليمهم أمور دينهم، وحمايتهم من الجهل والأمية والضلال، من خلال العناية التّامة بواجب إرشاد الناس، من بث للأخلاق والعقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوسهم، حيث جعلوا المساجد مراكز دعوية وركيزة أساسية للحفاظ على مبادئ وقيم المجتمع المزابي.

ـ تميزت الحياة الاقتصادية والاجتماعية في وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين بالازدهار والرقي الحضاري، فالمجال الاقتصادي عرف تطور ا ملحوظا خاصة في مجال الفلاحة والصناعة والتجارة، من خلال تذليل الصعاب وتسخير الإمكانيات والوسائل المتاحة لتوسيع الإنتاج وتحقيق مبدأ الاكتفاء الذاتي، ومما ساعدهم على ذلك الانتقال من حياة البداوة إلى حياة التحضر والاستقرار، والمكان الاستراتيجي لمنطقة وادي مزاب التي تعد ملتقى القوافل التجارية من الشمال والجنوب، كما لا ننسى دور المرأة الكبير في المجال الصناعي من خلال صناعاتها المنزلية المختلفة التي أعطت دفعا قويا للحياة الاقتصادية في وادي مزاب.

ـ أما في المجال الاجتماعي فقد مهيكلا من خلال تحكم حلقة العزابة في الأمور الاجتماعية والدينية، الذين يسهرون على المحافظة على المصالح العامة وتنظيمها، كما يرجع الفضل في رقي الحياة الاجتماعية إلى الهيئات الاجتماعية الأخرى كالأسرة والعشيرة ومجلس الأعيان ومجلس عمي سعيد وغيرها، التي

حافظت على كيان المجتمع الميزابي ومقوماته، وساهمت في رقي النشاط العلمي والثقافي وسيرورة العمل الاجتماعي.

ـ تطور النهضة العلمية والفكرية فقد عرفت منطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين بروز علماء أجلاء، أعطوا جهودهم ونفوسهم في سبيل إحياء العلم ومحاربة الجهل والأمية بالمنطقة، وكان لهم دور كبير في إحياء الحركة الثقافية وتنميتها بما يضمن لها الاستمرار، بحيث عرفت المنطقة نهضة رائدة تركت بصمات جلية في مختلف نواحي الحياة المجتمع الميزابي، وكانت هذه النهضة استمرار لمجهودات المشائخ في القرون السابقة، وبذلك أنجبت المنطقة علماء أجلاء أناروا المغرب والعالم الإسلامي بعلمهم ومؤلفاتهم القيمة، وسجلوا بأعمالهم الجليلة تاريخا ناصعا.

الفصل الثاني: الحياة العلمية و الفكرية في وادي مزاب

المبحث الأول: التعليم ومؤسساته ومناهجه بوادي مزاب

1_ المساجد

2_ المحاضر والمدارس

3_ طرق ومناهج التعليم

4_ أبرز المكتبات بوادي مزاب

المبحث الثاني: تراجم أبرز علماء القرنين 18 و19 الميلاديين

أولا: أبرز علماء القرن الثامن عشر الميلادي

ثانيا: أبرز علماء القرن التاسع عشر الميلادي

المبحث الثالث: أبرز النساخ المزابيين خلال القرنين 18 و19 الميلاديين

الفصل الثاني: الحياة العلمية والفكرية في وادي مزاب

تميزت الحياة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بالرقي والازدهار بفضل المجهودات الحثيثة للأعلام والمشائخ في ترسيخ ثقافة طلب العلم ومحاربة الجهل والأمية، من خلال بناء مؤسسات ثقافية والإشراف عليها من أجل تكوين الأجيال وتخريج النخب العلمية التي تحمل لواء النهضة والإصلاح من بعدها، وهذا ما أدى إلى بروز عدة علماء ونساخ أفاضل ساهموا في إثراء النهضة الفكرية بالمنطقة.

المبحث الأول: التعليم ومؤسساته ومناهجه بوادي مزاب

أ/ المساجد:

يعدّ المسجد من أهم المراكز الدينية في العالم الإسلامي، لما له من دور فعال في حياة المجتمع المسلم عامة، فنظرا لأهميته فقد حظي المسجد في منطقة وادي مزاب بأهمية بالغة، إذ يؤذي مهاما مختلفة ذات أهمية كبيرة في مختلف المجالات دينية واجتماعية وغيرها، كما يعتبر مركزا ومقرا للسلطة الروحية "حلقة العزابة"، ومكانا للقضاء وإصدار الفتوى، وتنظيم حلقات الدرس، وممارسة التعليم، والفصل في القضايا التي تخص المجتمع، ومن هنا فإن المسجد يعد الركيزة الأساسية للمدينة المزابية، أين يبعث فيها الحياة، ويعمل على تأطير المجتمع دينيا واجتماعيا[1].

وبما أن المسجد مركز السلطة الروحية في مزاب منذ أن أصبح الوادي مركزا من المراكز الهامة للمذهب الإباضي، فإن المجتمع المزابي اتخذه من أقدس البيوت بعد الحرمين الشريفين، لأنه يعد مصدر الفلاح في الدين والدنيا والآخرة، ومكان للتقرب إلى الله وتهذيب النفوس وصلاح السريرة[2]، مما يوحي إلى المكانة العظيمة والنبيلة التي يؤذيها ويقوم بها المسجد داخل المجتمع الواحد من رص للصفوف، وتوحيد للكلمة، وتهذيب للسلوك[3]. ويعد المسجد أول شيء يتولى السكان القيام ببنائه بعد استقرارهم بالمنطقة، إذ يبنى فوق أعلى قمة الهضبة المشرفة على المدينة، ثم يقومون برسم حدود المدينة بأسوار

---

[1]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص، ص 174-175.

[2]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ج1، ص 162.

[3]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 174.

وأبراج لضمان حصانتها، وبعد ذلك يشيد السكان مساكنهم انطلاقا من محيط المسجد إلى غاية الأسوار وفق قواعد وأسس عمرانية بديعة[1].

وحرصا على لم شمل المجتمع المزابي وتوحيد صفوفه داخل المدينة الواحدة، وتفادي أسباب التفرقة بين أفراد المجتمع، لم يسمح إباضية وادي مزاب ببناء أكثر من مسجد واحد داخل مدينة واحدة، لذا فقد قاموا عدة مرات بتوسيع المسجد وترميمه بدلا من تشييد مسجد آخر لضمان تماسك المجتمع[2]، بحيث يحتل المسجد في قصور مزاب الموضع المتوسط والمرتفع بالنسبة للنسيج العمراني، ليمثل القمة والمركز الذي تلتف من حوله بقية المنشآت داخل القصر[3]، فهو يعتبر أول مبنى يتم الشروع في بنائه في المدينة المزابية على غرار المدن الإسلامية الأخرى، ثم يتم بعد ذلك بناء وتشييد المساكن والمباني العامّة من حوله، بحيث تنتهي كل الطرق والمسالك إلى المسجد[4]، كما يمتلك مظهرا موحدا، فهو يتميز بمئذنته الرائعة ذات الشكل الهرمي، ويحتل أعلى مكان في المدينة[5]، وهذا لتأكيد سلطة المساجد الروحية معماريا ودينيا، بحيث تشرف على كل المباني الأخرى المحاطة بها، لتصبح أول ما يبرز للناظر من مباني المدينة المزابية من على بعد كيلومترات، وبهذا أصبح المسجد الركيزة الأساسية التي يحافظ من خلاله المجتمع على مقوماته الدينية والإسلامية[6].

يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: " والمعروف أن وادي مزاب كان يضم مجموعة من المساجد، منها الكبير والصغير، وليس في بلاد مزاب زوايا بالطريقة المعروفة في المناطق الأخرى، ولذلك فإن كل المساجد في مزاب قائمة بذاتها (...) وقد كان أهل مزاب حريصين على صيانة مساجدهم"[7].

وما يميز المساجد في وادي مزاب عن غيرها، أنها تمتاز بالبساطة والتقشف في البناء، بحيث تعطي للمكان هيبة وبعدا روحيا بعيدا عن الزخارف والنقوش والأشكال الهندسية، بحيث نجد أن هذه المساجد

---

[1]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 17.

[2]_ نفسه، ص 175.

[3]_ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث**، المرجع السابق، ص 137.

[4]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 175.

[5]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 174.

[6]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 175.

[7]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5 (1830-1954م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998م، ص 96.

متطابقة في تخطيطها وبنائها، باستثناء بعض الاختلافات البسيطة[1]، كما يراعى في تشييد المساجد الأماكن المرتفعة وتكون ذات موقع استراتيجي بتمركزها في قلب المدينة[2]، وحول المسجد نجد محاضر عدة لتعليم القرآن الكريم ومبادئ العلوم[3].

- **دور مساجد وادي مزاب في التعليم:**

كان لمساجد وادي مزاب دور كبير في تعليم وتثقيف المجتمع المزابي من خلال تقديم دروس وتخصيص حلقات علم تشرف عليها حلقة العزابة لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، ومحاربة الجهل والأمية والبدع.

فقد شكل هذا النمط من التعليم القاعدة الأساسية الصلبة لضمان الحد الأدنى من التعليم في المجتمع، وكان له دور كبير في الحفاظ على مقومات المجتمع المزابي، كما أسهم في تربية النشئ تربية صالحة، وإعدادهم لتحمل المهام والمسؤوليات الخادمة للمجتمع[4].

يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "وفي مزاب حيث المساجد هي أساس التعليم، ولا وجود للزوايا، نجد التلميذ ينتقل من التعليم القرآني (...) وعادة كان التعليم يعطى في دار العلم أو دار التلاميذ تحت إشراف العزابة، وبرنامج هذه المرحلة غني (...) فهو يشمل العلوم الدينية من فقه وتوحيد وأصول الفقه، والتفسير والحديث والفرائض، ثم العلوم العربية والعقلية كالنحو والبلاغة والعروض والمنطق والحساب، وكانوا يعنون بالحساب لعلاقته بالفرائض، وكذلك التجارة والمحاسبات، وكان التلاميذ يواظبون على الدروس في المساجد التي كانت مجانية لهم وكذلك بالنسبة للمعلمين، ولا يكاد يوجد رجل أمي في مزاب لعناية أهله بالتعليم العربي الإسلامي من الأساس، أما التعليم العالي فيتلقونه على بعض الشيوخ البارزين أمثال الشيخ اطفيش ثم تلاميذه في مرحلة لاحقة"[5].

ويعد هذا النمط من التعليم عند إباضية الجزائر، نظاما قديما يرجع للمراحل الأولى لتأسيس قرى وادي مزاب، وهو شبيه بحلقات العلم التي قام بها مؤسس الحلقة الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر

---

[1]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 174.

[2]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 185.

[3]_ بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 27.

[4]_ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص، ص 110-111.

[5]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 62.

الفرسطائي النفوسي، الذي كانت حلقته في البداية خاصة بالتربية والتعليم فقط، ثم تحولت بعد ذلك إلى هيئة دينية مهمتها الإشراف على تسيير المساجد والمجتمع[1].

لقد كانت الأوقاف المموّل الأول والأساسي لمساجد وادي مزاب، فالسكان الأوائل أوقفوا للمسجد ومصالحه أوقافا من أموالهم الخاصة، كما أن الفرد المزابي له نصيب من هذه الأوقاف حيث يساهم بما يمكنه، كل حسب استطاعته وإمكاناته، وأعضاء حلقة العزابة هم المكلفون بتسيير أوقاف المسجد، والقيام بتوزيعها على مستحقيها، فللمسجد وكيل من العزابة يقوم بشؤونه المادية كلها[2]، بحيث أضحت المساجد والمدارس والجمعيات الخيرية والعشائر تعتمد على تعاون أفراد المجتمع وأعضاء الجمعيات وتبرعات الخيريين والمحسنين لتغطية مصاريفها ونفقاتها بغرض الإنشاء والتجهيز والصيانة والترميم[3].

يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "وكان لمزاب مساجدها وأوقافها الغزيرة، وكان التحكم فيها في يد العزابة وكبار الشيوخ، وكان ريعها يتوزع على الفقراء في نظام محكم، وذلك في مواسم معينة مثل رمضان والحج أو في الحياة اليومية بالنسبة للعجزة والأيتام وغيرهم، وكان التمر يوزع ثلاث مرات في اليوم، وللكتاتيب (المدارس) نصيبها من مداخيل الوقف، وكذلك التلاميذ المحتاجين، ولكل مسجد وكيل يعينه العزابة"[4].

ب/ المحاضر والمدارس:

عرف المجتمع الإباضي بمنطقة وادي مزاب خلال النصف الأول من القرن 9هـ/15م نوعا من الركود الفكري والانحطاط الاجتماعي، لذلك عمدوا إلى البحث عن عالم مصلح لإصلاح الأوضاع ورفع مشعل العلم والتنوير، فطلبوا من إخوانهم إباضية جزيرة جربة المزدهرة بالعلم، أن يبعثوا بعالم منهم يحيي العلم بالوادي ويعيد النشاط والحياة العلمية إلى سابق عهدها، ويحارب الجهل والأمية والبدع الضارة بالمجتمع، فتمّ اختيارهم على الشيخ سعيد بن علي الجربي المعروف بالشيخ عمّي سعيد، ليتولى تلك

[1]_ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص 104.

[2]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 184.

[3]_ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، المرجع السابق، ص 471.

[4]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 176.

المهمة النبيلة والشاقة، فكان قدومه إليه ما بين سنتي 884-889هـ/1479-1485م[1]، وكله أمل في أن يبذل قصارى جهده لتنوير بلده الجديد، والنهوض به إلى مصاف حواضر العالم الإسلامي[2]، فركز جهوده في نشر العلم وتثقيف المجتمع وتعليمه أمور دينه ودنياه، وقام بفتح مدرسة يقصدها الطلبة النجباء الراغبون في الاستزادة من العلوم[3].

كان التعليم بوادي مزاب في بداية الأمر يمارس داخل المساجد أو في مساكن الشيوخ، لكن بإقبال الطلبة الكبير على التحصيل العلمي النقلي منه والعقلي حتى من خارج الوادي، اقتضت الضرورة بناء منشآت مستقلة تماما عن المسجد يمكنها استيعاب ذلك الكم الهائل من الطلبة الراغبين في مواصلة دراستهم والاستزادة من العلوم، حيث خصص لهؤلاء الطلبة التعليم والإيواء[4].

استمرت المحاضر التابعة للمساجد في مزاب تؤدي رسالتها، بحيث ساهمت في تلقين الصبيان القرآن الكريم، وتعليمهم مبادئ الكتابة والقراءة وعلوم التوحيد والفقه، ويشرف على التعليم في هذه المحاضر ثلاثة من أعضاء حلقة العزابة من حفاظ كتاب الله وعالمين بالفرائض الدينية، وهذه المحاضر مفتوحة لمختلف فئات المجتمع على اختلاف أعمارهم، وأوقات التعليم فيها بين السحر وطلوع الشمس شتاء، وبين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء[5].

فالمحاضر إذا هي عبارة عن مدارس متصلة مباشرة بالمساجد، يلتقي فيها التلاميذ مع معلميهم، لتلقي مبادئ العلوم وحفظ القرآن الكريم، فهي بذلك تحضر الصبي للانتقال إلى قسم التلاميذ من طلبة القرآن الكريم[6].

---

[1]_ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9-10هـ/15-16م، مخطوط أجوبة الشيخين: سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا**، المنهاج، العدد 2، المرجع السابق، ص، ص 107-108.

[2]_ بشير بن موسى الحاج موسى: **الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي: حياته ودوره في نهضة وادي مزاب**، يوم دراسي، مؤسسة عمي سعيد، غرداية، 2006م، ص 10.

[3]_ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9-10هـ/15-16م، مخطوط أجوبة الشيخين: سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا**، المنهاج، العدد 2، المرجع السابق، ص 108.

[4]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 182.

[5]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 188.

[6]_ صالح بن عمر اسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، المرجع السابق، ص 451.

يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "فالمدرسة القرآنية هي في كل مكان ملاصقة للجامع في كل مدينة، وليس في مزاب زوايا، وعلى رأس كل مدرسة أحد العزابة، فهو المدير والقائم بالتربية والتعليم، وإذا كثر التلاميذ يستعين بقدماء التلاميذ الذين معه، وتقوم المدارس القرآنية بتعليم وتحفيظ القرآن، وتعليم القراءة والكتابة والرسم القرآني، إلى جانب التربية والأخلاق"[1].

في سبيل نشر تعاليم الدين الإسلامي عموما، والمذهب الإباضي خاصة، وتعليم اللغة العربية، أنشأ المزابيون هيئة التدريس وهي هيئة خاصة تسهر على السير الحسن والأمثل للنظام التربوي التعليمي في مدارس وادي مزاب وتتكون هذه الهيئة من:

_ الشيخ: يتمثل في شيخ العزابة أو أحد أعوانه في حالة الضرورة، ومن مهامه القيام بتعيين العرفاء _الذين يساعدونه في أداء مهامه_، وقبول الطلبة والتلاميذ في المدرسة، وإعداد مناهج دراسية خاصة بتلاميذ الدراسات العليا، ومن مهامه كذلك الجلوس إلى الطلبة وتدريسهم العلوم المختلفة بتعمق أكبر في أوقات معينة.

_ العرفاء: وعددهم أربعة، عريف تعليم القرآن الكريم، وعريف تنظيم أوقات الدراسة، وعريف الختمات وعريف الطعام[2].

ومن المشاريع التي أنجزها الشيخ عمي سعيد إنشائه لهيئة التلاميذ، التي تعد استمرارا لحلقة العزابة الذي جعل أساسا ليكون نظاما تربويا تعليميا، فهذه الهيئة والتي تدعى محليا بـ (إروان) نظام تعليمي تربوي ينضم إليها من استظهر كتاب الله وأبدى استعدادا لمواصلة دراساته العليا عند شيخ حلقة العزابة، ومن هيئة التلاميذ يتم اختيار الأعضاء الجدد لحلقة العزابة بعد متابعتهم لمدة معينة لمراقبة تصرفاتهم وسلوكاتهم، ويخصص لهذه الهيئة دار بجانب مساجد قصور مزاب، مزودة بخزانة للكتب في مختلف فنون المعرفة، لتكون مصادر ومراجع للشيخ وطلبته أثناء التدريس والدراسة[3].

ومن المدارس التي عرفتها منطقة وادي مزاب مدرسة الشيخ داود بن يوسف المصعبي بالعطف، والتي كانت قبلة للطلبة من مختلف القصور، فهؤلاء الطلبة هم الذين ساهموا في بنائها، وتوجد مدرسة

---

[1]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 47.

[2]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 183.

[3]_ يحي بن عيسى بوراس: **الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9-10هـ/15-16م، مخطوط أجوبة الشيخين: سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا**، المنهاج، العدد 2، المرجع السابق، ص، ص 108-109.

أخرى وهي مدرسة مليكة والتي قام ببناها الشيخ عيسى المصعبي، وهو من النخب العلمية في منطقة وادي مزاب خلال النصف الأول من القرن 10هـ/16م، وهي أيضا شهدت إقبالا كبيرا للطلبة من مختلف قصور مزاب، وحتى من خارج مزاب، بما يثبت المستوى التعليمي الراقي الذي وصلت إليه مدارس وادي مزاب خلال هذه الفترة خاصة في عهد أبو مهدي عيسى المصعبي[1].

ومن المدارس الهامة التي تركت بصمة جلية في المجتمع المزابي في الفترة الحديثة، مدرسة الشيخ أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي المعروف بعمي يحي (1712-1788م)، وهو من العلماء الكبار بوادي مزاب إبّان النهضة الحديثة، حيث شرع في التعليم والوعظ وفتح مدرسة خاصة في مسكنه، أين تحولت فيما بعد إلى معهد للدراسات العليا، ومنه تخرجت مجموعة من الطلبة الذين قادوا الحركة الإصلاحية بوادي مزاب ووارجلان ووادي ريغ، منهم: ابنه موسى والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، والحاج إبراهيم بن بحمان، وحمو والحاج اليسجني، وأبو يعقوب يوسف بن عدون، وبابه بن امحمد الغرداوي وغيرهم[2].

كما أنّ هناك مدرسون لم يقوموا بتأسيس زوايا أو مدارس خاصة بهم، وإنما اتخذوا التعليم وسيلة للتقرب إلى الله وخدمة المجتمع، حيث كانوا يدرسون في منازلهم ومساجدهم، مثل ما فعل الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في مزاب[3]، فقد كان للشيخ في بني يزقن ثلاثة منازل، خصص كل واحد منها لمهمة، ومنها منزل حوله إلى معهد، وقد قصده التلاميذ من مختلف أنحاء مزاب وخارجها مثل جربة ونفوسة وعما وزنجبار، ومن شروط قبول التلميذ في هذا المعهد حفظ القرآن الكريم، يضاف إلى ذلك حفظ المتون الضرورية والاستقامة في السيرة والسلوك، حيث قسم التلاميذ إلى طبقات (مبتدئين، متوسطين، كبار التلاميذ)، وتتنوع مواد الدراسة في هذا المعهد فهناك العلوم الدينية من تفسير وحديث وقراءات وتوحيد وفقه وأصوله، والعلوم اللغوية والأدبية وتشمل النحو والصرف والبلاغة والعروض والأدب، أما الشق الثالث فيشمل التربية والأخلاق ونماذج من المثل العليا[4].

---

[1]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 188.

[2]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص، ص 21-22.

[3]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص، ص 214-215.

[4]_ نفسه، ص، ص 271-272.

قامت هيئة العزابة بإدخال تحسينات على هذه المحاضر المشرفة عليها، فأصبحت بذلك مدارس قائمة بذاتها لها نظامها الخاص، كما ظهر بتقدم الظروف تنافس الجمعيات الخاصة، لتساهم هذه المدارس في رفع مستوى التعليم بالمنطقة من خلال التركيز على تعليم النشء مبادئ العلوم وتربيتهم ونشر الثقافة الدينية، وفي هذا يقول محمد علي دبوز: "وقد تطور التعليم في وادي مزاب في عهد النهضة الحديثة، فنشأت في كل مدينة جمعية خيرية قامت بفتح المدارس العصرية الجميلة الفسيحة الابتدائية للتربية الإسلامية والتعليم العربي العصري"[1]، ومن هذه المدارس معهد الحياة بقصر القرارة، الذي ساهم بشكل كبير في رفع مستوى التعليم بوادي مزاب، حيث بدأت ثماره تظهر عبر السنين[2].

يقول الشيخ محمد صالح ناصر: "إنّ المدارس كتاريخ الحركة العلمية بوادي مزاب لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يتجاهل الدور الرائد الذي كانت تقوم به الكتاتيب، أو ما يطلق عليه (المحاضر)، هذه المحاضر التي كانت في حمى المساجد تكمّل رسالتها التربوية رغم ضعف الوسائل والإمكانات، إذ يكفي أن ينحصر فضلها في أنها كانت تعنى عناية خاصة بتربية النشء الصاعد التربية الإسلامية"[3].

من هنا نلاحظ أن وادي مزاب في أول الأمر كانت تنتشر فيه المحاضر التابعة للمسجد ويشرف عليها شيخ العزابة، لكن مع مرور الزمن وتطور التعليم لجأ المزابيون إلى تأسيس مدارس عصرية لتكون مكملة لمهمة المحاضر، وهذا راجع إلى التطور الحاصل في مجال التعليم الذي شهد قفزة نوعية، وإلى عدم اكتفاء المزابيين بما يأخذه أبناؤهم في محاضر المسجد، فتوالت بذلك المدارس والمعاهد التي أدت دورها الكبير في تثقيف المجتمع المزابي، ومحاربة الأمية.

ج/ طرق ومناهج التعليم:

إن البرنامج اليومي للدراسة ينطلق في الثلث أو الربع الأخير من الليل، إذ يستيقظ الطلبة في الوقت المحدد ويتوضؤون، ثم ينتقلون لمدراسة القرآن الكريم مع الشيخ أو بمفردهم حتى آذان صلاة الفجر، وتعد هذه الفترة الأولى من الدارسة وتدعى بـ "الاستفتاح"[4].

---

[1] _ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المرجع السابق، ص 215.

[2] _ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 275.

[3] _ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 192.

[4] _ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 186.

يتوجه الجميع بعد ذلك إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، وبعد الصلاة يقوم أعضاء الحلقة بتناول وجبة الفطور، ثم يتنقل الطلبة إلى الحلقة لتلقي دروسهم اليومية المعتاد عليها، حيث يتم تفقدهم من طرف النقيب ويجتمع التلاميذ في صفوف مختلفة، وعندما يكتمل عدد الطلبة يجلسون في حلقة مستديرة حول العريف غير مستندين على شيء، حيث أنهم يكونون محتشمي اللباس[1]، ويبدأ العريف في عرض دروسه، واختبار التلاميذ فيما أخذوه من دروس في الحصص السابقة، ثم بعد ذلك يقدم لهم ما يجب عليهم حفظه في ذلك اليوم[2].

يقول الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في هذا الصدد: "فإذا كان وقت الضحى وتأهبوا للكتب كان لكل جماعة نقيب من أنفسهم يحفز أصحابه ويجمعهم، ويستدعي العريف، فإذا حضر استأذنه ميامنة في حفظ ما كتب أمس، ثم يحفظون على اليمين فإن حفظوا كلهم استأذنوه في الاستملاء وأملى عليهم، وإن توقف أحدهم دون الحفظ فإن كان مبتدئا أقيل له خمس عثرات، وإن كان فوقه إلا أنه في أول قلم أقيل له ثلاث، وإن كان في الإعادة فعثرة واحدة، فمن زاد فعلى ما يجتهد فيه العريف، والمعروف الأشهر أنه إن كان صغيرا فالزاوية والجلد، وإن كان كبيرا فالخطة والطرد"[3].

بعد انتهاء الدروس في الفترة الصباحية يقوم عريف الختمات بجمع الطلبة لتلاوة دعاء الختمة الصباحية، ثم بعد ذلك يلتقي الطلبة حول شيخ العزابة لطرح عليه الأسئلة في كل المجالات العلمية والفقهية والشيخ يتكفل بالإجابة على هذه الأسئلة[4]، حيث يذكر الدرجيني طرقا عدة لإلقاء الأسئلة على الشيخ إذ يقول: "(...) ثم إذا كانت ختمة غداة، وحضر الشيخ فإن هناك طرقا كلها حميدة، وذلك أنهم إما أن يتداولوا وضع السؤال فيبتدؤون بالسؤال يوما، فمن أفضى إليه النوبة وغاب اجتهد فيه، وإما أن يسأل أفصحهم لسانا وأكثرهم بيانا، وإما أن يسأل أشدهم احتياجا للسراح في ضرورة دعت، أو لنازلة وقعت، ثم إذا ألقي السؤال فإن كان الجمع حفيلا بدأ فسأل الشيخ ثم على من يمينه

[1]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص، ص 193-194.

[2]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 186.

[3]_ أبي العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص 177.

[4]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 186.

فيعيده الثاني إلى الشيخ طلبا للتخفيف والاختصار، وإن كان الجمع دون احتفال بينهم سيما إن كانوا لمأثل فإنه يدير السؤال أو يحيل كل سائل على ميامنه حتى يدور السؤال إلى الشيخ (...)"[1].

بعد أداء صلاة الظهر وتناول وجبة الغذاء، تبدأ فترة الدرس المسائية وتستمر حتى صلاة العصر، ثم بعد ذلك يتناول الطلبة وجبة خفيفة تشبه الوجبة الصباحية، ثم يعودون للمذاكرة لوقت قصير، ليفسح لهم المجال فيما بعد للاستراحة والأعمال الحرة حتى صلاة المغرب، وبعد أدائها يدعو عريف الختمات الطلبة إلى الختمة المسائية، إيذانا بانتهاء الأعمال والواجبات اليومية، ثم يجتمع الطلبة حول أكبرهم سنا، لتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم واغتنام الفرصة في الذكر والاستغفار حتى حلول صلاة العشاء، وحضور هذه الختمة إجباري.

بعد أداء صلاة العشاء يتناول الطلبة العشاء، ويتركون بعد ذلك لفترة قصيرة للراحة، ليدعوهم بعدها العريف للختمة النهائية، وهي غير إجبارية، حيث يقوم أحدهم بتلاوة بعض الآيات من القرآن الكريم ويدعوا دعاء الختمة، وبعد ذلك يلقي أحدهم كلمة قصيرة في النصح والإرشاد، بعد ذلك ينصرفون إلى النوم[2].

يقول الشيخ الدرجيني في هذا الصدد: "فإن استداروا ذكروا الله وقرأ قارئان آيات من القرآن ثم يدور الدعاء كالعادة، ويؤمن من خلفهم، ومن تخلف فالخطة، ثم إذا صلوا العشاء وقرأوا القرآن ما يسر الله وحان وقت النوم (...) نادى بالدعاء (...) فيدعون دعاء خفيفا (...) فإذا دعوا فالمستحب (...) أن يكون أفصحهم بيده كتاب إن كان في الوعظ فهو أولى، وإلا ففيما أتاح الله تعالى، فيقرأ فيه قليلا بحيث يستمعون مجتمعين أو لا يجتمعون، ثم يدعوا وينادى بالنوم، فإذا ناموا وتكلم أحد، أو تحرك فالخطة، إلا أن يكون في مطالعة كتاب بعيدا عن النائمين فما على المحسنين من سبيل"[3].

[1]_ أبي العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص 179.

[2]_ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 187.

[3]_ أبي العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص، ص 174-175.

يتم تصنيف تلاميذ المدرسة إلى طلبة القرآن الكريم وهم التلاميذ المبتدئين الذين يتم تحفيظهم القرآن الكريم، وتلقينهم المبادئ الأولى للغة العربية، وعند التأكد من حفظ أحد الطلبة للقرآن الكريم واجتيازه اختبار العزابة، يأذن له الشيخ بالانتقال إلى الصف الأعلى[1].

كما أن الطالب لا يمكنه الانتقال لمرحلة تعليمية أعلى، إلا إذا استظهر القرآن على عريفه، فهذا الاستظهار يسمح للطالب فرصة الارتقاء إلى مرحلة متقدمة، تجعله ضمن ما يسمى بـ "طلبة فنون العلم والأدب" الذين يطلق عليهم محليا اسم حلقة "إروان"، فالعلوم التي يتلقاها الطلبة في هذه المرحلة هي العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير وأصول فقه وميراث، ولغة عربية بصرفها ونحوها وبلاغتها[2].

أما العاجزون وهم الذين لم تسمح لهم ظروفهم في مواصلة تحصيلهم الدراسي لأسباب مختلفة، بحيث يسمح لهؤلاء بحضور الدروس، ولهم الحق في الإيواء والأكل، ويكون ذلك مقابل خدمات اجتماعية يؤدونها تجاه المجتمع مثل: خدمة حلقة العزابة، وتحضير الأطعمة للطلبة، وحفظ النظام والأمن في البلدة[3].

يقول الدرجيني: "أما العاجزون فأنواع فمنهم الطرش والعميان والزمني والهارمون وذوو الأفهام القصيرة، فهذه الأنواع شأنهم الاستماع ليحصلوا الطرق والأخلاق، وعليهم حفظ السيارات والمحافظة على الطرق والأوقات"[4].

• **موارد المدرسة**: تنقسم موارد المدرسة إلى قسمين رئيسيين:

_ الموارد الثابتة: وتشمل الحبوس والأوقاف الخاصة بالمسجد[5]، فقد كان لتلاميذ المحاضر ودار التلاميذ وقف دائم من التمر يأخذونه مرة في اليوم كغذاء، فقد كانت هذه الأوقاف أهم مورد للمسجد

[1] _ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 184.

[2] _ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص، ص 197-198.

[3] _ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 185.

[4] _ أبي العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص 180.

[5] _ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 188.

والمؤسسات التعليمية، فقد كان الإباضيون يتنافسون في أدائها ليتم صرفها بكل أمانة في المرافق والهيئات الاجتماعية التي تخدم المجتمع (المسجد، المحاضر والمؤسسات التعليمية، العشيرة)[1].

ـ الموارد غير الثابتة: فهي متنوعة المصدر، فالأغنياء ساهموا في تمويل المؤسسات الاجتماعية الخيرية، ودفع نفقات التلاميذ وحاجياتهم لمدة معينة، وتذكر المصادر أن مجموعة كبيرة من علماء الإباضية تكفلوا بدفع نفقات الحلقة وما يحتاجه طلبتهم، كما كان المجتمع ساهم في تقديم الهدايا للطلبة وللمسجد من تمر وزبيب وزيت وسمن وغيرها من المواد الأخرى، فهذه الأموال المتنوعة ساعدت الحلقة بشكل كبير في أداء مهامهم ووظيفتهم بكفاءة عالية[2]، مما وفّر دعما لحركة التعليم وللمجتمع المزابي ككل[3].

د/ أبرز المكتبات بوادي مزاب:

شهدت منطقة وادي مزاب العديد من المكتبات وخزانات الكتب الثرية بنفائس المخطوطات والكتب الغنية بالمعلومات الفريدة، ويتجسد ذلك في نواحي مختلفة من مجالات الفكر والفنون سواء العلوم النقلية والعقلية، ومن هذه المكتبات نذكر:

• **خزانة الشيخ عمي سعيد الجربي**: (ت: 927هـ/1521م)، قام الشيخ بجمع العديد من الكتب القيمة وتركها وقفا بيد أبنائه وحفدته من بعده، بحيث تعتبر مبادرة مبكرة للمكتبات العامة بوادي مزاب، كما تعد أقدم مكتبة على مستوى قرى وادي مزاب، وتحوي الخزانة على العديد من الكتب المكتوبة بخط يد الشيخ عمي سعيد، وعدد المخطوطات في الخزانة حاليا: 725 مخطوطا، وأقدم مخطوط فيها يرجع تاريخ نسخه إلى سنة 697هـ، الذي يضم مجموعة من الأحاديث الأربعينية[4].

• **خزانة دار التلاميذ**: قام بتأسيسها الشيخ سعيد بن علي الجربي (المعروف بالشيخ عمي سعيد) عندما هاجر من موطنه جربة واستقر بوادي مزاب، حيث كوّن نهضة علمية مباركة بالمنطقة كانت لها آثار إيجابية ومحمودة على المجتمع[5]، قال عنه الشيخ أبو اليقظان رحمه الله: "وقد ترك الشيخ كثيرا من نفائس

---

[1] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص، 206.

[2] ـ بالحاج معروف: المرجع السابق، ص 188.

[3] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص، 207.

[4] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، غرداية-الجزائر، 2002م، ص، ص: ج، ي.

[5] ـ نفسه: ص ب.

الكتب التي يملكها حبسها في خزانة دار التلاميذ بغرداية بخطه في نص الوقف، فكان نفعها عاما وخيرها شاملا لجميع الأجيال العلمية المتعاقبة في غرداية (...)"، وأما أقدم نص تاريخي موثق بالخزانة، فيرجع إلى النصف الثاني من القرن 11هـ/17م والنص بخط الشيخ أبو القاسم بن يحي الغرداوي (ت: 1102هـ/1690م)[1].

• **خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير بـ "الشيخ الميغر"**: (حي سنة 970هـ/1562م)، من بلدة العطف، قال عنه الشيخ أبو اليقظان: "وقد ترك خزانة حافلة بنفيس الكتب في جميع الفنون النقلية والعقلية، ومن الأسف أنه أتت عليها أيدي التلاشي"[2].

• **خزانة الشيخ الحاج محمد بن سعيد الشهير بالشيخ بالحاج**: من علماء القرن العاشر الهجري، من بلدة بني يزقن، تشير بعض التقاييد إلى أنه ترك خزانة كبيرة من الكتب، وقد عثر على عدة كتب له نسخها خلال القرن العاشر الهجري، سواء في مزاب أو في جربة، عندما رحل إليها لمواصلة دراسته والاستزادة من العلم، كما عثر على مجموعة من الكتب نسخت له[3].

• **مكتبة عشيرة آل يدر (بني يزقن)**: يعود أصل المكتبة إلى الشيخ اشريف بن محمد بن باحمد (حي 1351هـ)، ويدر باحمد بن حمو (حي 1352هـ)، وتبرز أهمية المكتبة من الناحية التاريخية كونها تحوي على نسخة لكتاب مسند الربيع بن حبيب (المعروف بالجامع الصحيح) مؤرخة في سنة 815هـ، وتضم أيضا منسوخات لعلي بن سالم بن بيان (حي 1115هـ/1703)[4].

• **مكتبة عشيرة آل أفضل (بني يزقن)**: ساهم في إثراء المكتبة ثلة من العلماء الأفاضل وهم: الشيخ يحي بن صالح الأفضلي، أبو زكرياء (ق 12هـ/18م)، ويعقوب موسى بن عمر (ق 12هـ/18م)، الذي

---

[1]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص ع.

[2]_ بشير بن موسى الحاج موسى: **نافذة على مخطوطات الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية**، مجلة المنهاج، العدد 2، غرداية-الجزائر، 2013م، ص 250.

[3]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص ج.

[4]_ مصطفى بن محمد ابن ادريسو: **جهود فهرسة المخطوطات في وادي مزاب (رؤية وصفية ونقدية)**، الملتقى الوطني الثالث للمخطوطات الموسوم بـ "البحث العلمي ودوره في خدمة التراث المخطوط"، جامعة أحمد دراية-أدرار، 2008م، ص 10.

له منسوخات بخط يده في المكتبة تفوق 30 نسخا، واستمر أبناؤه وأحفاده في إثراء المكتبة وإضافة لها بعض الكتب، لتنتقل المكتبة بعد ذلك إلى دار العشيرة[1].

• **مكتبة البكري**: ورثها الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي (ت: 1406هـ/1986م) وحبسها ورثته لعشيرتهم "آل عبد الله بن أحمد" بالعطف، وأودعوا فيها كتبه التي أوقفها للعلم والعلماء، وقد ذكر في وصيته أن المكتبة الخاصة به الموجودة في بريان والعطف، تبقى كلها وقفا لله تعالى، لا يباع ولا يشترى منها شيء، وتبقى تحت تصرف وكيله، ريثما يتم إنشاء المكتبة العامة بالعطف لتنتقل إليها، ويصل عدد الكتب فيها إلى 2400 عنوانا باللغتين العربية والفرنسية[2]، وتم تحقيق وصية الشيخ البكري حيث أصبحت المكتبة عمومية متاحة للباحثين والدراسين سنة 1989م، بعد أن ضمت إليها خزانة الشيخ بكلي سليمان بن حاجو (ت: 1351هـ/1933م)، وخزانة بكلي باحمد بن يحي (ت: 1400هـ/1980م)[3].

• **خزانة الشيخ محمد ابن ادريسو (بني يزقن)**: تتميز المكتبة باحتوائها على مؤلفات الشيخ ابن ادريسو محمد بن سليمان (ت: 1313هـ/1896م) التي تبلغ 18 مؤلفا، كما تحتوي المكتبة على خزانتين كبيرتين لحفيدي الشيخ، الأولى ترجع لحفيده صالح بن سليمان، والثانية للحفيد عمر بن صالح[4].

• **خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي**: (ت: 1325هـ/1907م) كان الشيخ الحاج بابكر ميسور الحال من الناحية المادية، فسخر ذلك في سبيل العلم وتحصيله، خصوصا جمع الكتب والمخطوطات، كما استفاد من كتب موقوفة من قبل بعض المحسنين لطلبة العلم، منها ما وقفه الحاج صالح عَوَّالَة، فتجمعت بذلك للشيخ بابكر مكتبة هامة في وادي مزاب، وتحوي الخزانة على 334 مخطوط[5].

---

[1]_ مصطفى بن محمد ابن ادريسو: المرجع السابق، ص 11.

[2]_ يحي بن بهون حاج امحمد: **المكتبات وخزانات المخطوطات ببلدة تجنينت بوادي مزاب**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 2، غرداية–الجزائر، 2014م، ص، ص 30–31.

[3]_ مصطفى بن محمد ابن ادريسو: المرجع السابق، ص 10.

[4]_ نفسه، ص 12.

[5]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **مقدمة فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي**، غرداية–الجزائر، 2008م، ص، ص: هـ–ك.

• **خزانة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة**: (ت: 1332هـ/ 1914م) تمكن الشيخ من جمع كتب قيمة في مسيرة حياته العلمية، فأنشأ بذلك مكتبة خاصة ثرية بالكتب والمخطوطات بحيث قدمت إضافة كبيرة إلى خزائن ومكتبات وادي مزاب لاحتوائها على كتب نادرة، وقد تميزت المكتبة بوجود مجموعة من الكتب مكتوبة بخط يده، وأخرى قام باقتنائها بنفسه من مختلف الأماكن، وكتب أخرى أهديت له أو أوقفها غيره عنده في سبيل الله، ومجموعات كتب أخرى قدمت له من طرف العلماء وشيوخ العلم، منهم: أخوه الشيخ إبراهيم بن يوسف، والشيخ يوسف بن حمو بن عدون أبي يعقوب، إضافة إلى مؤلفاته العديدة[1].

يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "بالنسبة لمكتبة اطفيش: تعتبر من أكبر المكتبة في المنطقة، وهي في بني يسقن، ونحن نعلم أن الشيخ كان يجمع الكتب للعلم والتعليم وللمصادر التي يرجع إليها في تأليفه الكتب، وكان له تلاميذ يبعثون إليه بالكتب وينسخونها له، وكان له نساخ شهير في غرداية يغدق عليه لينسخ له، وقيل ان الشيخ قد تزوج بعض نسائه من أجل مكتبات آبائهن، وإذا نظرنا إلى قائمة مؤلفات الشيخ علمنا أن مصادره كثيرة، رغم أنه كان يقطن في الصحراء في وقت ليس فيه تصوير ولا أشرطة ولا آلات مساعدة (...) وكان الشيخ ولوعا بكتب الأدب والتاريخ والدين ولذلك أصبحت مكتبته غنية بهذه الموضوعات، ولاسيما كتب المذهب الإباضي وسير أيمته وتراجم رجاله"[2].

• كما ضمت منطقة وادي مزاب مكتبات وخزانات أخرى منها: خزانة أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي (ت: 1102هـ/1690م)، خزانة الشيخ محمد بن أبي القاسم الشهير بالشيخ حمو والحاج الغرداوي (ت: 1129هـ/1716م)، خزانة الشيخ كاسي بن أيوب، خزانة الشيخ أبي بكر بن يوسف بن أبي بكر الغرداوي (ت: بعد 1206هـ)، خزانة الشيخ الحاج عمر بن صالح القاضي (ت: بعد 1200هـ)[3]، وغيرها كثير مما يدل على غزارة المنطقة بالمخطوطات والكتب القيمة التي أثرت الجانب العلمي والثقافي، وساهمت في تطوير الحياة العلمية والفكرية وازدهارها.

• **مجموع المكتبات بوادي مزاب:**

_ تتوفر في وادي مزاب أزيد من 118 مكتبة، وهي تتنوع بين العام والخاص، ويمكن تقسيمها كالآتي:

---

[1]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 215.

[2]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص، ص 376-377.

[3]_ بشير بن موسى الحاج موسى: المرجع السابق، ص، ص 253-254.

1_ عامّة مثل: مكتبة امحمد بن يوسف اطفيش القطب ببني يزقن.

2_ تابعة للعشائر مثل: مكتبة آل يدر ببني يزقن.

3_ تابعة للمعاهد والمدارس الحرة مثل: مكتبة الإصلاح بغرداية، والحياة بالقرارة.

4_ تابعة للمساجد مثل: مكتبة إروان (دار التلاميذ) بالعطف، ومثيلاتها موجودة في كل قرى الوادي

5_ تابعة للجمعيات الثقافية مثل: مكتبة جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش بغرداية.

6_ مكتبات خاصة مثل: مكتبة الأستاذ الحاج سعيد بغرداية، والشيخ مطهري بمليكة.[1]

المبحث الثاني: تراجم أبرز علماء القرنين 18 و19 الميلاديين

عرفت منطقة وادي مزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين علماء أجلاء حملوا مشعل نهضة المجتمع المزابي وأخذوا على عاتقهم تأصيل الحياة العلمية والفكرية، مخلفين ورائهم تراثا عظيما من الإنجازات الفريدة في مختلف المجالات.

أولا: أبرز علماء القرن الثامن عشر الميلادي: ومن هؤلاء العلماء نذكر:

1_ عبد الله بن عيسى اليسجني: (ت: 1118هـ/1706م) عالم جليل من قصر بني يزقن بوادي مزاب، درس وتعلم في مصر، وعند رجوعه اجتهد في نشر العلم والدين بوطنه، فأخذ عنه العلم الشيخ بالحاج بن كاسي القراري، من مؤلفاته: رسالة في أجداد مزاب، توفي ببني يزقن ودفن في مقبرة أبي امحمد[2].

2_ محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحي المعروف بـ "الشيخ حمو أُو الحاج الغرداوي: (ت: 1129هـ/1716م) أخذ العلم عن والده وكان شيخا ورعا عالما، أسندت إليه إمامة المسجد بقصر غرداية، وتولّى مشيخة الحلقة ثم مشيخة وادي مزاب، أخذ عنه العلم الشيخ باسّه بن موسى الوارجلاني، والشيخ باكه بن صالح العطفاوي، ترك الشيخ مؤلفات عدة ومنظومات عديدة في الفقه والنصح والمدح، من أعماله الجليلة بناء ساقية بوشمجان وساقية النعاليف بواحة غرداية وتوجيه السّيل إليها[3].

3_ الشيخ داود بن إبراهيم طبّاخ: (حي في: 1123هـ/ 1711م) من مشائخ غرداية بمزاب، عرف بشهامته وشجاعته، اتجه نحو وارجلان لما استنجد به أهلها بإخوانهم لصد هجومات ابن جلاب عليهم وردّ كيد العدو، تمّ تعيينهن إمام دفاع على رأس سبعمائة من بني مزاب، وذلك سنة 1126هـ/1714م،

---

[1] _ يحي بن بهون حاج امحمد: المرجع السابق، ص 28.

[2] _ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 270.

[3] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 118-119.

وبانتهاء الحرب واستتباب الأمن والاستقرار بوارجلان، انحلت إمامة الدفاع هذه كما هو معمول به عند الإباضية، ويعتبر الشيخ آخر إمام دفاع من مدينة غرداية[1].

4_ الشيخ حريز بن موسى: (ت: 1149هـ/1736م) من أولاد يونس بن قاسم من العطف، طلب منه أهل غرداية القدوم إليها وتم تعيينه شيخا عليها سنة 1124هـ/1712م[2].

5_ الشيخ حمو بن علي: (حي في: 1170هـ/1756م) من أعيان قصر العطف بمزاب، عرف بالعلم والصلاح والتقوى، وهو أول إمام لمسجد أبي سالم بالعطف[3].

6_ يوسف بن محمد المصعبي المليكي (أبو يعقوب): (و: 1079هـ/1669م-1187هـ/1773م) ولد ببلدة مليكة بمزاب من عائلة آل ويرو، سافر رفقة والده إلى جربة واستقر بها، أخذ العلم عن العديد من مشائخ الجزيرة، بعد ذلك سافر إلى تونس ومصر ليستزيد من العلم ثم عاد إلى جربة وأصبح مفتي الجزيرة وأكبر علمائها، كان ممثل إباضية المغرب الإسلامي لدى الدولة العثمانية، ترك الشيخ تآليف عديدة منها: تحفة الألباب في عذر أولي الألباب، حاشية على أصول الدين وغيرها، تخرج على يديه الكثير من الطلبة منهم: الشيخ أبو زكرياء يحي ابن صالح الأفضلي[4].

7_ الشيخ داود بن يوسف: (حي في: 1192هـ/1778م) كان عالما جليلا يطلق عليه اسم الكاتب، له كتب مؤرخة من 1144هـ/1732م إلى 1192هـ/1778م، كانت للشيخ مدرسة بالعطف يقصدها الطلبة من غرداية، كما أوقف لله تعالى دارا بجانب المسجد العتيق يأوي إليها الضيوف[5].

8_ أبو زكرياء يحي بن صالح ابن يحي الأفضلي المعروف بعمي يحي: ولد الشيخ ببني يزقن عام 1126هـ/1714م وتوفي بها عام 1202هـ/1788م[6]، يعدّ من الأعلام الأجلاء وكبار المشائخ بوادي مزاب خلال النهضة العلمية الحديثة[7]، أخذ مبادئ العلوم بمسقط رأسه ببني يزقن، ثم قصد جربة

---

[1] _ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 142.

[2] _ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 68.

[3] _ نفسه، ص 81.

[4] _ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 491-492.

[5] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 121.

[6] _ نفسه، ص 122.

[7] _إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 21.

في أواخر النصف الأول من القرن 12هـ/18م للاستزادة من العلم، فأخذ العلم عن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي مدة اثنتي عشرة سنة متصلة، ثم سافر إلى مصر فلازم فيها دروس المدرسة الإباضية بوكالة الجاموس العامرة (التي كان لها الفضل في الحفاظ على الموروث الإباضي المخطوط)، ودروس جامع الأزهر، وكان يعنى بنسخ نفائس الكتب[1].

وعند رجوعه إلى مزاب حوالي سنة 1157هـ/1744م، جلس للتّدريس في مسجد بني يزقن خلفا للشيخ الحاج أحمد نجار[2]، حيث شرع في إصلاح المجتمع من كل الجوانب، فعلّم وأرشد وكوّن الدعاة، وكانت له آثار محمودة في الإصلاح والتعليم والوعظ والإرشاد، كما ساهم في تخريج العديد من الطلبة _من خلال دار التلاميذ التي كانت بمثابة قسم للدراسات العليا_ حملوا المشعل من بعده وقادوا الحركة الإصلاحية في مواطنهم منهم: ابنه موسى، والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وإبراهيم بن بيحمان، وحمو والحاج اليسجني، وأبو يعقوب يوسف بن عدون، وبابه بن امحمد الغرداوي وغيرهم.

من مؤلفات الشيخ شرح قصائد ابن زياد العماني في الأحكام والعيوب والشفعة وغيرها، شرح على قصائد الصوم والحج والزكاة وكفارة الأيمان من دعائم ابن النظر العماني، وقد ترك مكتبة ثرية يتوارثها ذووه إلى اليوم[3]، توفي عن عمر يناهز 76 سنة بعد مرض عضال ألزمه الفراش ثلاث سنين[4].

9_ بابه بن محمد بن الحاج أبي القاسم الغرداوي المصعبي: (و: قبل 1129هـ/1716م، ت: 1207هـ/1792م) من علماء غرداية ينتمي إلى عائلة أولاد يونس، درس في المحاضر وحفظ القرآن، ثم انتقل إلى معهد الشيخ أبي زكرياء الأفضلي سنة 1744م أو قبلها، كما أخذ العلم عن والده الشيخ حمو والحاج، التحق بحلقة العزابة وتولى بعد ذلك المشيخة فجلس للفتوى والتعليم وتسيير شؤون المجتمع، كما ترأس مجلس عمي سعيد، ترك الشيخ بعض المؤلفات والقصائد[5].

---

[1]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 460.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 122.

[3]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 460-461.

[4]_إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 22.

[5]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 71.

10_ محمد بن يوسف بن محمد المصعبي المليكي (أبو عبد الله): (ت: 1792/1207م) ولد في جربة أخذ العلم عن والده العالم وعن مشائخ عصره، تولى منصب والده بالجزيرة من رئاسة مجالس التعليم والحكم والتدريس والفتوى، نسخ الشيخ العديد من أمهات الكتب، كما ترك عدة مؤلفات كلها مخطوطة منها: شرح لقصيدة تحريض الطلبة، ورسائل وفتاوى وأجوبة في مختلف الفنون الشرعية[1].

11_ عبد العزيز بن صالح بن حمّ: (عاش خلال النصف الثاني من القرن: 12هـ/18م)، أصله من مليكة بوادي مزاب، عالم جليل ومن الشيوخ الكبار، تولى مشيخة العزابة بمليكة، توجد له اتفاقات بخط يده مؤرخة بالسنوات (1180هـ، 1196هـ، 1199هـ)، تم تعيينهن رئيسا لمجلس عمي سعيد، الذي يعدّ الهيئة العليا لوادي مزاب[2].

ثانيا: أبرز علماء القرن التاسع عشر الميلادي: ومن هؤلاء العلماء نذكر:

1_ موسى بن يحي بن صالح بن أبي الفضل المصعبي اليسجني: (حي في: 1205هـ/1790م)، يعد الشيخ عالم في الفروع والأصول[3]، وهو من أعضاء حلقة عزّابة قصر بني يزقن، ترك مراسلات مخطوطة كان يتبادلها مع الإمام سليمان بن ناصر العماني، وكان من المهتمين بجمع الكتب ونسخها[4].

2_ أبو بكر بن داود بن يوسف: (حي في سنة: 1206هـ/1792م) خلف أباه الشيخ داود في التدريس بالمسجد، وتم ترشيحه من طرف سكان مدينة العطف ليكون نائبا عنها في مجلس الشيخ أبي عبد الرحمن الكرثي، حيث كان كاتب جلساته مع صغر سنه، في عهد الشيخ الحاج إبراهيم بيحمان، كما كان من بين اللّجنة المكلّفة من طرف المجلس لإيجاد موقف حازم في قضية صالح باي قسنطينة لما قرر غزو منطقة وادي مزاب سنة 1206هـ/1792م، كما كانت له مراسلات مع علماء عمان وجبل نفوسة[5].

---

[1]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 406.

[2]_نفسه، ص 457.

[3]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 241.

[4]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 432.

[5]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 82.

3_ إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم العطفاوي: (حي في: 1221هـ/1806م) من شيوخ مدينة العطف بمزاب، كان مهتما بالفقه والأدب[1]، وهو عائلة أولاد جلمام، خلف أباه في التدريس وكان وكيلا للمسجد، ولما قامت فتنة بين أبناء العطف سنة 1221هـ/1806م سعى إلى إطفائها، فلما أخفق في ذلك، هاجر نحو غرداية فقوبل بالترحيب، فاشتغل بالتعليم وجلس حوله الطلبة للدراسة، حيث خصص لهم دارا تسمى دار الطلبة[2].

4_ عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني الملقب بـ "ضياء الدين": (و: 1130هـ-1718م/ ت: 1223هـ-1808م) من أجل وأبرز علماء الإباضية[3]، ولد في بني يزقن وترعرع فيها، وحفظ القرآن ومبادئ العلوم، ثم انقطع عن الدراسة وانصرف إلى تدبير أملاك والده في وارجلان إلى أن بلغ الثلاثين من عمره[4]، حيث كان لهذه المهنة الأثر البارز على آرائه واهتماماته في الفقه، فهو يعد من الفقهاء العمليين[5].

عند رجوع الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح من جربة ومصر، جلس إليه وأخذ عنه العلم وهو قد تخطى العقد الثالث من عمره، فرغم كبر سنه إلا أن الشيخ الثميني تحدى الصعاب فنبغ في العلوم العربية وعلم الكلام والأصول والحديث والفقه والفلسفة والحساب، بعد ذلك اشتغل بالتدريس والتأليف وإحداث حركة علمية وفكرية كان لها الأثر المحمود[6].

خاض مع شيخه معركة الإصلاح في المجتمع فلاقى من أجل ذلك أذى كبيرا، فكان ذلك العهد بداية للحركة الإصلاحية التغييرية بوادي مزاب، والتي امتدت إلى ما بعد عهد الشيخ بيوض بن إبراهيم[7]،

---

[1]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 12.

[2]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 82.

[3]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 255.

[4]_ ضياء الدين عبد العزيز الثميني: **كتاب النيل وشفاء العليل**، تع: عبد الرحمن بن عمر بكلي، ج1، ط2، بـ.د.ن، د.م.ط، 1967م، ص 12.

[5]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2 (1500-1830م)، المرجع السابق، ص 74.

[6]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 123.

[7]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 255.

حيث أسندت إليه الإمامة العلمية، وتم تنصيبه رسميا على مشيخة المسجد ببني يزقن سنة 1201هـ/1787م، وسمي رئيسا لمجلس عمي سعيد المجلس الأعلى بوادي مزاب[1].

وقد تحمل الشيخ الثميني في سبيل إصلاح المجتمع الأذى الكبير من جراء استفحال الجهل والبدع، وهو ما جعله يستقيل من الرئاسة، ويلازم بيته خمس عشرة سنة لا يخرج منها إلا إذا حزب الأمة أمر، ليتفرغ في هذه الفترة للتأليف[2].

ترك الشيخ العديد من المؤلفات في مختلف الفنون التي أثرت المكتبة الإسلامية منها:

كتاب النيل وشفاء العليل، مختصر حواشي ترتيب مسند الربيع بن حبيب، عقد الجواهر من بحر القناطر، التاج على المنهاج، معالم الدين، الورد البسام في رياض الأحكام، الأسرار النورانية[3].

5_ الشيخ إبراهيم بن بيحمان (عبد الرحمن): (ت: 1232هـ/1817م) من علماء بني يزقن البارزين وقطب من أقطاب مزاب في عهده[4]، أخذ العلم عن الشيخين الجليلين أبي زكرياء يحي بن صالح وخاله ضياء الدين عبد العزيز الثميني، نبغ الشيخ في شتى العلوم، حيث أصبح مؤلفا وشاعرا جليلا وعالما حكيما أديبا، فيلسوفا ورحالة، وكان من العلماء أسندت له مشيخة مسجد بني يزقن[5].

شمّر الشيخ إبراهيم بن بيحمان في بلدته بني يزقن وفي مزاب عموما عن ساعد الجد واجتهد في الدعوة والإصلاح والتبليغ، فلاقى من المجتمع مع شيخه عمي يحي، وخاله ضياء الدين الأذى الكثير، لاستفحال الخرافات والبدع والآفات في أوساط المجتمع[6]، حيث كان من أنصار النهضة الإسلامية الحديثة، والدعاة لها بالخطب والوعظ والإرشاد والتبليغ في مختلف قصور وادي مزاب[7].

---

[1]_ ضياء الدين عبد العزيز الثميني: المصدر السابق، ص 15.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 124.

[3]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 255.

[4]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 26.

[5]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 128.

[6]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 30.

[7]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 13.

كانت للشيخ مراسلات مع داي الجزائر حسن الدولاتلي في شأن باي قسنطينة الذي أراد ضم مزاب إلى ولايته عام 1206هـ/1791م، وهذه المراسلة باسم المجلس الأعلى لوادي مزاب، كما كانت له مراسلات مع العمانيين، باعتباره كاتب تقارير مجلس عمي سعيد ومراسلاته الرسمية[1].

لقد كانت للشيخ جهودا حثيثة في التفسير وفي شرح الأحاديث ووضع الحواشي، وفي نظم القصائد والمنظومات والتلخيص وكتابة السير، ووضع التعاليق وشرح الأمثال وبيان معانيها، وفي علم المنطق كذلك[2].

ترك الشيخ العديد من المؤلفات منها: مختصر المناسك ومهذب المسالك، بيان جملة التّوحيد، تلخيص عقائد الوهبية في نكتة توحيد خالق البرية، المعدن المصون على سورة الكنز المدفون وهو تفسير لسورة الفاتحة، الرحلة الحجازية وغيرها[3].

6_ بالحاج بن كاسي بن امحمد القراري المعروف بـ "الشيخ بالحاج": (و: 1130هـ-1718م/ ت: 1243هـ-1827م) من علماء القرارة، ويعدّ ثالث شيخ قراري يتولى المشيخة العامّة للوادي باتفاق حلقات جميع القصور[4].

أخذ مبادئ العلوم الشرعية والعربية عن والده الشيخ كاسي بن محمد[5]، ثم انتقل إلى بني يزقن فكان من تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني والشيخ أبي يعقوب يوسف بن حمو بن عدون، وعندما نبغ في العلم، رجع إلى بلدته القرارة في أوائل القرن الثالث عشر هجري فشرع في التدريس ونشر العلم وإصلاح المجتمع، فثار عليه المفسدون وهموا بقتله، فهاجر إلى العطف ليواصل بها جهاده في الإصلاح ونشر العلم[6]، يعد الشيخ أديبا وشاعرا وناسخا، فقد تولى بنفسه نسخ مؤلفات الشيخ عبد العزيز الثميني، كما ترك مكتبة زاخرة بالمخطوطات الثمينة التي تعتبر أغنى مكتبة بالمخطوطات في القرارة[7].

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 128.

[2]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 34.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 128-129.

[4]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 80.

[5]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 97.

[6]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 129.

[7]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 80.

7_ أحمد بن الحاج أحمد النوري: (عاش خلال القرن 13هـ/19م)، تلقى العلم عن الشيخ اطفيش قطب الأئمة[1]، ثم سافر إلى عمان للاستزادة في طلب العلم فمكث فيها عامين، ثم عاد إلى وطنه، وتولى إمامة ومشيخة مسجد بنورة نحو أربعين سنة، كان وسيطا في مراسلات الشيخ اطفيش مع علماء عمان، حتى عرف بصاحب عمان، كما كان مهتما بمسائل الخلاف من علم الكلام والفقه[2]، كثيرا ما كان يجادل المخالفين في المسائل الخلافية، حيث أن الشيخ اطفيش كان يعتد به لأنه كثيرا ما كان يجادل المخالفين في المسائل الخلافية[3].

8_ امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش الشهير بـ "قطب الأئمة": (و: 1236-1818م/1332هـ-1914م) ولد الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى اطفيش في بلدة "آت يسجن" إحدى قرى وادي مزاب[4]، ويعد أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة[5].

ينتمي الشيخ حسب أبو القاسم سعد الله إلى عائلة شريفة ترجع أصولها إلى بني عدي القبيلة العمرية، وفي ذلك يقول عن نفسه في أرجوزة له: مع اجتماع في عدي بعمر وبالنبي في لؤي وزمر[6]

وبعضهم يقول بأن نسبه ينتهي إلى عمر بن حفص الهنتاتي من العائلة المالكة بتونس، وفي بعض الأحيان ينهي الشيخ اطفيش نسبه إلى أبي حفص عمر بن الخطاب، وأما عن حياته الأسرية فقد عاش يتيم الأب بعد وفاة والده وهو في سن الرابعة من عمره، فقامت أمه بكفالته وتربيته ولمّا توسّمت فيه بوادر النبوغ والذكاء، عهدت به إلى أحد المربين لحفظ القرآن، فختمه وحفظه وهو ابن ثمان، ففتح له مجال العلم، وسارع إلى دور العلماء وحلق الدروس بالمسجد ليغرف من معين علمهم ويستزيد في طلب العلم[7].

---

[1]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 91.

[2]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 40.

[3]_ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص 91.

[4]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 103.

[5]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 399.

[6]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 264.

[7]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 399.

وعند رجوع أخيه الأكبر الشيخ إبراهيم بن يوسف اطفيش من رحلته العلمية في المشرق، جلس إليه الشيخ محمد بن يوسف اطفيش فأكمل على يديه دراسته الثانوية وأخذ عنه العلوم الشرعية والعربية، كما درس عليه المنطق والحساب والتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام، بالإضافة إلى التاريخ الإسلامي والتاريخ العالمي[1]، وقد كان لمحمد بن يوسف ذاكرة قوية وموهبة عظيمة ساعدته على التحصيل السريع لمختلف العلوم بكل كفاءة[2].

وما إن بلغ السادسة عشرة من عمره، حتى جلس للتدريس وانشغل بالتأليف، ولما بلغ العشرين أصبح عالم وادي مزاب بفضل غزارة علمه وتمكنه من مختلف العلوم[3]، كما شاع أمره حتى بلغ أقصى الأقطار الإسلامية، ثم بلغ درجة الاجتهاد وصار مرجعا في الفتاوى[4].

وقد كان شديد المقاومة للجهل والبدع، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح المجتمع، بحيث كان يصدح بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، كما كان قوي الإرادة حصيف الرأي، حريص على وحدة صفوف المسلمين، كثير الدعاء بالنصر للأمّة الإسلامية[5].

كانت للشيخ مراسلات واتصالات مع ثلة من علماء ومشائخ تلك الفترة، حيث كانت له مراسلات مع الشيخ محمد عبده، وعبد الله الباروني، وشيوخ الجزائر أمثال المجاوي وابن الموهوب، كما كانت له مقابلات مع بعض الوجوه الفرنسية أمثال ايميل ماسكري[6]، بالإضافة إلى كونه ذا منزلة سامية لدى الملوك والسلاطين، خاصة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وسلاطين عمان وزنجبار، ومنهم من أهدى له الأوسمة إكراما له واعترافا بمنزلته السامية في العلم والدّين[7].

أنشأ القطب معهدا للتدريس ببني يزقن، تخرج منه العديد من العلماء المصلحون من مختلف الأقطار الإسلامية، فحملوا المشعل من بعده وواصلوا جهوده العلمية والإصلاحية، كما خلّف الشيخ

---

[1]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 103.

[2]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 264.

[3]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 400.

[4]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 264.

[5]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 106.

[6]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 264.

[7]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 106.

مؤلفات كثير تصل إلى الثلاثمائة مؤلف ما بين كتاب ورسالة، في مختلف فروع المعرفة (المنقول والمعقول) نذكر منها:

تيسير التفسير، هميان الزاد إلى دار المعاد، جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل، مسائل السيرة، إزهاق الباطل بالعلم الهاطل، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي مزاب، مطلع الملك في فن الفلك، مجموع قصائد وأجوبة[1].

المبحث الثالث: أبرز النساخ المزابيين خلال القرنين 18 و19 الميلاديين

عرفت منطقة وادي مزاب ظهور العديد من النساخ المزابيين المهرة الذين ساهموا في تنشيط الحياة الفكرية والعلمية بالمنطقة، من خلال نسخ وتدوين الإنتاج العلمي والفكري للعلماء، حتى غدت قصور مزاب مركزا لتزويد مواطن الإباضية الأخرى بنفائس الكتب، ومن هؤلاء النساخ نذكر:

ـ **إبراهيم بن أحمد المصعبي الغرداوي**: (حي في سنة 1131هـ/1718م) هو أحد الطلبة المزابيين من قصر غرداية الذين درسوا في جربة عند الشيخ سعيد بن يحي الجادوي، حيث نسخ الرسالة التي بعث بها الشيخ باس بن موسى الوارجلاني إلى الطلبة المزابيين بجزيرة جربة يحثهم فيها على الاغتنام والجد والمثابرة في طلب العلم، ويعد النّاسخ من بين الطلبة المذكورين في الرسالة، وهي منسوخة بخط مغربي مقروء في حوالي سنة 1131هـ/1718م، ورقمها في الفهرس: 254/مع/23[2].

ـ **الحاج عمر بن صالح بن أبي القاسم القاضي**: (ت بعد: 1200هـ/1726م) ناسخ ضابط له خط جيد، كان مهتما بنسخ كتب الفقه الإباضي بصفة خاصة، حيث نسخ معظمها في الستينات القرن 12هـ/18م، حينما كان طالبا بالجامع الأزهر في مصر، وبعد عودته انضمّ إلى حلقة عزابة غرداية، وأسندت إليه مهمة القضاء مدة من الزمن، له محاولات نظمية مخطوطة بخط يده[3].

ـ **إبراهيم بن داود**: (حي في: 1162هـ/1748م) هو أديب من بلدة غرداية استقر في مصر في ستينات القرن 12هـ/18م، ترك محاولات في نظم القصائد الشعرية، تأثر من خلال إقامته بمصر بالخط

---

[1] ـ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص، ص 400-403.

[2] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات دار التعليم لآل موسى وعلي**، غرداية-الجزائر، 2007م، ص 92.

[3] ـ بشير بن موسى الحاج موسى: **نافذة على مخطوطات الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية**، المرجع السابق، ص 254.

المشرقي، حيث نسخ مخطوطات بخط مشرقي (إعجام الفاء والقاف على الطريقة المغربية)، وتوجد لـ "إبراهيم بن داود" قصائد بخط يده منها ما كانت في عتاب النفس والتضرع إلى الله تعالى كتبها سنة 1162هـ/1748م، وهي في 18 بيتا، أيضا منظومة في الدّعاء وهي في 24 بيتا، وأخرى في تنزيه الله سبحانه وتعالى، وهي في 26 بيتا[1].

ـ **أبي بكر بن يوسف بن أبي بكر الغرداوي**: (ت بعد: 1206هـ/1731م) يعدّ من أعلام النصف الثاني من القرن 12هـ/18م في مزاب، أخذ العلم عن الشيخ أبو يعقوب يوسف المصعبي (ت: 1187هـ/1773م) في جزيرة جربة، كما تعلم على يد والده الشيخ محمد بن يوسف المصعبي[2]، وبعد عودته انضمّ إلى حلقة عزابة غرداية، ويعد الشيخ من النساخ الضابطين، حيث كان مهتما بنسخ أمهات كتب العقيدة والفقه الإباضي، ومعظم منسوخاته مؤرخة بين سنتي: 1186-1188هـ/1772-1774م[3]، منها "الرّد على منكر شهادة الإباضي ومبطلها" لـ يوسف بن محمد المصعبي نسخها حوالي القرن 12هـ/18م، ورقم المخطوط في الفهرس: 91/إ/دغ152[4].

ـ **عمر بن أبي القاسم بن الحاج محمد المصعبي الغرداوي**: يعدّ من الطلبة الذين سافروا إلى مصر للاستزادة في طلب العلم، ليصبح بعدها ناسخا للكتب خاصة الكتب المتعلقة بالمذهب الإباضي، ومن بينها نذكر: "اختصار المواريث والفرائض لأبي عبد الكافي الوارجلاني (ت قبل سنة: 570هـ/1174م)، وكتاب الطهارات من ديوان العزابة، وترتيب مسند الإمام "الربيع بن حبيب" وجاء في آخره أنه قد أنهى نسخة بوكالة الجاموس بمصر وكان ذلك في 25 شوال 1177هـ/27 أفريل 1764م، ونسخة من رسالة فيها تعزية في وفاة الشيخ "خميس بن سعيد الرستاقي العماني" حيث نسخها الشيخ عمر بن أبي القاسم عندما كان مقيما بمصر سنة 1176هـ/1763[5].

---

[1] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 273.

[2] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان)**، المرجع السابق، ص 38.

[3] ـ بشير بن موسى الحاج موسى: **نافذة على مخطوطات الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية**، المرجع السابق، ص 254.

[4] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان)**، المرجع السابق، ص 38.

[5] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 275.

ـ **أبو بكر بن صالح**: هذا الناسخ نسبه متصل بالشيخ سعيد بن علي الجربي المعروف بـ "عمي سعيد"، وهو كالآتي: "أبوبكر بن صالح بن باب بن صالح بن أبي القاسم بن صالح بن الشيخ أمّ سعيد الجربي"، قام بنسخ كتاب الأحاديث الأربعون الودعانية لمؤلفها محمد بن علي بن عبد الله بن ودعان (ت: 494هـ/1101م)، بخط مغربي مقروء بتاريخ يوم الخميس آخر صفر 1189هـ/1775م، بمدينة الجزائر (ساحل البحر)[1].

ـ **صالح بن أحمد بن إبراهيم بن أبي القاسم المصعبي الغرداوي**: (حي في 1192هـ/1778م) هو أحد الطلبة المصعبيين الذين زاولوا دراساتهم العليا في مصر في تسعينات القرن 12هـ/18م، ومن منسوخاته: حاشية شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك[2]، ونسخة أخرى بعنوان "الترتيب من الصحيح في حديث الرسول ﷺ الجزء الرابع للشيخ "يوسف بن إبراهيم الوارجلاني"، حيث قام بنسخها في شهر شعبان حوالي سنة 1191هـ/1777م بخط مغربي مقروء، ورقمه في الفهرس: 024/حم49، ونسخة في الفقه بعنوان "أجوبة عن أسئلة لمحمد بن يوسف المصعبي في مسائل الأحكام، الطلاق، رؤية الهلال وغيرها (اشتملت على 14 سؤال)، وتم نسخها في مصر سنة 1191-1192هـ/1777-1778م، ورقمها في الفهرس: 069/حم49[3].

ـ **عمر بن صالح بن أبي القاسم بن يحي**: (حي في سنة 1200هـ/1785م) هو أحد الأعلام البارعين في النسخ وبخط جيد ومغربي، كان له اهتمام كبير بنسخ كتب الفقه الإباضي، حيث تمكن من نسخ أغلبها في ستينات القرن 12هـ/18م خلال فترة دراسته بالجامع الأزهر بمصر، كما ترك الناسخ كتابات نظمية عديدة، ويعدّ أحد الذين حملوا لواء الإصلاح والتنوير والنهضة بوادي مزاب، رفقة مجموعة من العلماء[4].

من منسوخاته نذكر: "كتاب الأحكام" لأبي زكرياء يحي بن الخير الجناوني في الفقه حوالي سنة 1167هـ/1753م، ورقمها في الفهرس: 121/م69، وكتاب "الإيضاح" لعامر بن علي الشماخي في الفقه حوالي سنة 1166هـ/1752م، ورقمها في الفهرس: 125/د.غ26 قام بنسخه في مصر،

---

[1] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إرواون)**، المرجع السابق، ص 22.

[2] ـ نفسه، ص 171.

[3] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 276.

[4] ـ نفسه، ص 277.

ونسخة أخرى حاشية الجزء الثاني من كتاب الإيضاح للشيخ عامر حوالي سنة 1166هـ/1752م، ورقمها في الفهرس: 138/د. غ26[1].

ـ **صالح بن كاسي**: (حي في: 1300هـ/1882م) شيخ مدينة غرداية، ورجل فاضل عرف بالورع والصلاح والتقوى، كانت له جهود ومساعي حميدة في إصلاح ذات البين وفض النزاعات، وإخماد الفتن، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح والإرشاد والصدح بالحق ولا تأخذه في سبيل الله لومة لائم، أسندت إليه مشيخة غرداية سنة 1239هـ/1823م خلفا للشيخ بابا ومحمّد، وهو بذلك يعدّ آخر شيخ يعينه الإباضية عليهم في غرداية.

ولمواقف الشيخ صالح بن كاسي الجريئة وصدحه بالحق، ذهب ضحية المفسدين الذين غدروا في ظروف غامضة يوم 31 مارس 1882م، وبقيت غرداية بعده مدة أربعين سنة بدون شيخ، ومن مواقفه النبيلة، قيامه بكسر براميل خمر القوات الفرنسية المعسكرة بساحة الدبدابة خارج بلدة غرداية، أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، وللشيخ مراسلات مع والد الشيخ أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى[2].

كان الشيخ مهتما بنسخ الكتب حيث ترك عدة منسوخات بخط يده منها: في أصول العقيدة والدين "نخبة المتين من أصول تيغورين" لـ "عمرو بن رمضان الجربي التلاتي" في 26 ورقة، وقد نسخه في 27 شعبان 128هـ/1870م، ورقمه في الفهرس: 61/مع/دغ134، بالإضافة إلى نسخه "شرح عقيدة التوحيد لـ "أحمد بن سعيد الشماخي" (ت: 928هـ/1522م) في 4 أوراق، وقد نسخه في أواخر القرن 13هـ/19م، ورقمه في الفهرس: 34/مع/دغ34[3].

ـ **صالح بن امحمد بن سليمان ابن ادريسو**: (ق: 13هـ/19م) أحد علماء بني يزقن بوادي مزاب، تلقى تعليمه الأول على يد والده الشيخ امحمد بن سليمان، وعن قطب الأئمة الشيخ اطفيش، عرف بالورع والتقوى، وكان يلقي دروسا يومية على طلبة العلم في بيته.

قام بنسخ أغلب مؤلفات وتراث والده الشيخ امحمد بن سليمان، رفقة أخيه سليمان، كما نسخ عدة كتب أخرى منها ما هو لشيخه القطب، ومنها ما هو فريد، ترك العديد من المنسوخات الموجودة

---

[1] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص، ص 46-52.

[2] ـ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 232.

[3] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 279.

حاليا في مكتبة خاصة لحفدته. امتاز نسخه بخطه الواضح، وبطول نفسه في الكتابة، ومن منسوخاته: حاشية القطب على كتاب الإيضاح المعروف بـ "حي على الفلاح"[1].

ـ **قاسم بن صالح بن قاسم بن عمر**: يعدّ من ذرية الشيخ عمي سعيد الجربي، وهو كوالده عرفوا بنسخ الكتب، كان عضوا في حلقة العزابة بغرداية في عصره، حيث أسندت إليه مهمة الوكيل على أوقاف المسجد الكبير، ومن منسوخاته: "شرح الأحاديث الأربعون الودعانية" والشرح للشيخ "عبد العزيز بن يوسف بن موسى بن أفضل"[2]، وهي في: 16 ورقة وتاريخ نسخها في النصف الثاني من القرن 13هـ/19م، ونسخ آخر لكتاب النيل لـ "عبد العزيز الثميني" وهو في 454 ورقة وتاريخ نسخه سنة 1296هـ/1878م، نسخ كتاب قناطر الخيرات "للشيخ إسماعيل الجيطالي"، وكتاب مناسك الحج "للشيخ عمرو الويراني"، وكتاب الجنائز من كتاب الإيضاح "للشيخ عامر الشماخ" وغيرها[3].

خلاصة الفصل:

ـ إنشاء المؤسسات العلميّة المتمثلة في "المساجد، المحاضر والمدارس، المكتبات" التي كانت في معظمها تابعة للمسجد وتحت إشراف حلقة العزابة، مما يوحي إلى المكانة العظيمة التي تؤديها تلك المؤسسات من تكوين الأجيال ومحاربة الجهل والأمية، والأهم من ذلك دورها في رص الصفوف وتوحيد الكلمة وتقويم سلوك الأفراد والجماعات.

ـ بساطة بناء المؤسسات الثقافية في وادي مزاب المتميزة بفنها المعماري البسيط والرائع، واعتمادها على التقشف في الموارد، بعيدا عن الزخارف والنقوش، بحيث تعطي للمكان هيبة وبعد روحي، فساهمت هذه المؤسسات بشكل كبير في تعليم وتثقيف المجتمع المزابي وتكوين نخب وعلماء أجلاء تخرجوا منها، فساهموا في تنوير المنطقة بعلمهم وتحقيق نهضة علمية وفكرية بالمنطقة.

---

[1] ـ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 227.

[2] ـ **عبد العزيز بن يوسف بن موسى بن أفضل**: (حي في: 964هـ/1556م) من علماء بني يزقن بوادي مزاب، ينتمي لعشيرة آل أفضل، من مؤلفاته: "شرح الأحاديث الأربعين" مطبوع طبعة حجرية في جزء واحد، ينظر: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 257.

[3] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 279.

ـ دور الأوقاف في تمويل المؤسسات الثقافية، فالسكان أوقفوا حبوس لهذه المؤسسات لمساعدتها في القيام بواجبها تجاه المجتمع من تكوين وتعليم وإصلاح، وتوزيع مداخيل تلك الأوقاف على المستحقين كالطلبة والمعلمين تشجيعا لهم لمواصلة الجد والمثابرة في طلب العلم، في صورة تعكس الترابط والتماسك الذي كان سائدا في المجتمع.

ـ نجاعة النظام التربوي الذي كان سائدا في مزاب خلال الفترة الحديثة، باستحداث هيئة التدريس تحت إشراف حلقة العزابة مهمتها السهر على السير الحسن للنظام التربوي التعليمي في مدارس وادي مزاب، بالإضافة إلى استحداث هيئة التلاميذ (إروان) التي تعد استمرارا ومشتلة لحلقة العزابة.

ـ بروز علماء أجلاء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين حملوا مشعل نهضة الأمة المزابية، وأخذوا على عاتقهم تأصيل الحياة العلمية والفكرية بالمنطقة، مخلّفين ورائهم تراثا عظيما من الإنجازات الفريدة في مختلف المجالات، ويعدّ القرن التاسع عشر من أهم القرون بالمنطقة حيث ظهر العديد من العلماء والنّخب الذين واصلوا جهود سابقيهم في النهضة والإصلاح، مما أعطى للمنطقة دفعا في مجال الحياة العلمية، وأضحت في مصاف حواضر العالم الإسلامي، خاصة بعد ظهور الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة عالم زمانه، الذي أصبح مرجعا للمسلمين.

ـ انتشار حركة نسخ المخطوطات خلال هذه الفترة خاصة الإباضية منها، من طرف نساخ مزابيين ساهموا في إثراء المكتبات بهذه المنسوخات الثمينة، بالإضافة إلى كونها مساهمة في تعريف النّاس والأجيال بالمنطقة والمذهب الإباضي، ومحاولة منهم في الحفاظ على الموروث الثقافي والعلمي الذي وصل إليه علماء الفترة الحديثة.

الفصل الثالث: تطور العلوم النقلية والعقلية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين

المبحث الأول: العلوم النقلية

أولا: التفسير وعلوم القرآن

ثانيا: الحديث الشريف وعلومه

ثالثا: العقيدة والفقه

رابعا: اللغة العربية وعلومها

المبحث الثاني: العلوم العقلية

أولا: التاريخ والسيرة النبوية

ثانيا: العلوم الطبيعية والفلسفية

ثالثا: العلوم الفلكية والرياضية

الفصل الثالث: تطور العلوم النقلية والعقلية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين

تواصل الإنتاج العلمي في مجال العلوم النقلية والعقلية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، بحيث شهد رواجا وازدهارا بفضل مجهودات العلماء المزابيين الذين تركوا بصمات جليلة وأعطوا دفعا للحياة العلمية والفكرية بالمنطقة من خلال تآليفهم المتنوعة في مختلف المجالات، وبذلك كانت هذه الفترة استمرارا لمجهودات السلف الصالح في هذا المجال.

المبحث الأول: العلوم النقلية

إن كثير من العلماء المشتغلين بالقرآن الكريم والعلوم النقلية، جاهدوا بأنفسهم في سبيل الارتقاء بالجوانب الإيمانية والتعبدية والعلمية، وربما أخذوا بشيء من الجوانب الثقافية، فالقرآن العظيم تساق قضاياه الفكرية مساقا سهلا ميسور الفهم، أما الجانب الفكري قلّ اهتمامهم به، نظرا لوعورة مسالكه وصعوبة مسائله[1]، وفي منطقة وادي مزاب نلاحظ الكم الهائل من المؤلفات في مجال العلوم النقلية فقد اهتم العلماء المزابيون بمجموعة مختلفة من العلوم والفنون في هذا الميدان، ومن هذه العلوم نذكر:

أولا: التفسير وعلوم القرآن

أ/ تفسير القرآن الكريم:

لقد كان في وادي مزاب عدة علماء اهتموا بتفسير القرآن الكريم ومن هؤلاء نذكر: الشيخ إبراهيم بن بيحمان (ت: 1232هـ/1817م)، محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ/1895م)، الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ/1914م)، بكير بن أعمر موسى وعلي (ق: 13-14هـ/19-20م)، فهؤلاء العلماء برعوا في تفسير كتاب الله تعالى أو جزء منه، من خلال ما تركوه لنا من مؤلفات قيمة في هذا المجال تستحق الإشادة والذكر، وانفرد الشيخ محمد بن يوسف اطفيش بميزة وهي تمكنه من تفسير القرآن كاملا، فقد برع في هذا المجال من خلال اهتمامه بتقريب المعاني القرآنية إلى أذهان قرائه في عصره بأسلوب منهجي وبسيط، وقد كانت تفاسيره مرجعا لغيره باعتبار تمكنه الواسع من هذا العلم، ولشهرته العلمية في الأقطار الإسلامية، وجل تفاسيره مطبوعة، وهو ما لم يتيسر لباقي المشائخ الآخرين، والميزة الثانية أن الذين فسروا القرآن في وادي مزاب خلال هذه الفترة خلاف الشيخ اطفيش، اقتصرت تفاسيرهم في تبيين معاني بعض السور والآيات ولم يقوموا من تفسير كتاب الله كاملا، وهذه التفاسير حسب الترتيب الزمني كالآتي:

[1]_ محمد موسى الشريف: **الجانب الفكري للمشتغلين بالعلوم الشرعية**، الأندلس الجديد، مصر، 2009م، ص 4.

1_ تفسير الشيخ إبراهيم بن بيحمان (ت: 1232هـ/1817م)، ومن تفاسيره نذكر:

_ "المعدن المصون على سورة الكنز المدفون" وهو تفسير لسورة الفاتحة، فرغ منه أواخر فاتح محرم 1221هـ/1806م[1]، وهو في 28 صفحة[2].

_ تفسير آيات من سورة النور، فرغ منها في محرم 1221هـ/1806م[3]، وهو عبارة عن جواب لسائل أراد أن يعرف معنى قوله تعالى:﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ﴾[النور: 35]، وقد أجابه في أربع صفحات[4].

_ أصداف الدرر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر[5]، وهو تفسير لسورة العصر[6]، حققه مؤخرا الشيخ إبراهيم طلاي، وتاريخ نسخها حوالي أوائل القرن 14هـ/20م، وهي في 13 ورقة[7].

_ تفسير آية:﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُـومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾[التوبة: 111]، أواخر 1223هـ/1808م[8].

_ تفسير آيات من سورة الطلاق، وقد انتهى من التفسير سنة 1225هـ/1810م[9].

_ حاشية على تفسير أنوار التنزيل وأسباب التأويل، منها نسخة بمكتبة الاستقامة[10].

وأغلب تفاسير الشيخ إبراهيم بن بيحمان لا زالت لحد الآن مخطوطة.

---

[1]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 35.

[2]_ مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة**، الخزانة الأولى، بني يزقن، غرداية-الجزائر، 2006م، ص 5.

[3]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 35.

[4]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 285.

[5]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 128.

[6]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 35.

[7]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 285.

[8]_ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: المصدر السابق، ص 35.

[9]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 285.

[10]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 12.

2_ تفسير محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ/1895م):

_ اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة، الجزء الأول في 505 صفحة، وقد اشتمل هذ الجزء على تفسير سورة الفاتحة وسورة البقرة إلى غاية الآية: 191[1].

_ اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة، الجزء الثاني في 139 صفحة[2]، وهو تتمة لتفسير سورة البقرة وأوائل سورة آل عمران إلى الآية: 36[3].

3_ تفاسير الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ/1914م):

فسر الشيخ محمد بن يوسف اطفيش "قطب الأئمة" كتاب الله تعالى ثلاث مرات، مما يدل على غزارة علمه وتبحره في علوم القرآن المختلفة، وهو في تفسيره يهتم بجانبين، الناحية اللفظية واللغوية والناحية العلمية والفقهية[4]، فقد كانت له من المؤهلات الأدبية واللغوية والمواهب العقلية ما مكنته من الخوض في هذا المجال[5]، ومن الملاحظ أن طريقته في التفسير اختلفت بين ما ألفه من التفاسير في العشرينات من عمره في فترة شبابه، وبين ما ألفه عند بلوغه العقد الخامس من عمره بعد أن نضج سنا وفكرا[6]، ويعد الشيخ اطفيش أحسن وأفضل من ألف في التفسير بوادي مزاب خلال الفترة الحديثة، فقد كان عالما موسوعيا لذلك كانت مؤلفاته وتفاسيره بشكل خاص فريدة زمانه وعصره.

وترتيب تفاسيره كالآتي:

_ هميان الزاد إلى دار المعاد، انتهى من تأليفه عام 1270هـ/1855م، طبع في زنجبار سنة 1305هـ/1888م، ويقع في أربعة عشر مجلدا[7]، بدأ في تأليفه في سن أربعة وعشرون سنة[8].

---

[1]_ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 286.

[2]_ نفسه، ص 286.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 164.

[4]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 112.

[5]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، المرجع السابق، ص 15.

[6]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 112.

[7]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 215.

[8]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 401، ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا موسى**، غرداية-الجزائر، 2003م، ص، ص 6-7.

_ داعي العمل ليوم الأمل، الكتاب في تفسير القرآن العظيم[1]، بدأه من الخاتمة وانتهى إلى سورة الرحمن، ولا يزال مخطوطا في مجلد كبير[2].

_ تيسر التفسير وهو آخر تفاسير القطب وأهمها، تم طبعه عدة مرات، ط1 قديمة، الجزائر 1326هـ/1908م في سبع مجلدات ضخمة، وط2 نشر وزارة التراث القومي والثقافة عمان، من سنة 1982 إلى سنة 1987م في 14 جزءا[3]، وأعيد طبعه بتحقيق الشيخ إبراهيم طلاي من 1996 إلى 2003م، في سبعة عشر جزءا[4]، ويعد هذا العمل أحسن تفاسيره نظرا للمجهود الذي بدله في سبيل تفسير معاني القرآن الكريم، وتقريب معانيه للقراء والدارسين. وجل هذه التفاسير مطبوعة ومتاحة للجميع.

_ كما للشيخ القطب رسائل وأجوبة في التفسير منها: جواب في تفسير قوله تعالى:﴿ اِسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾[الكهف: 77]، والجواب كان على شكل نظم[5].

4_ بكير بن أعمر موسى وعلي (ق: 13-14هـ/19-20م)، قام بتفسير السور التالية: العصر، الهمزة، التكاثر، الكوثر، وآيات في الجزاء والحساب، والمخطوط عبارة عن دروس ومذكرات للمؤلف[6].

ب/ علوم القرآن الكريم:

من أهم العلوم القرآنية التي حظيت باهتمام واسع من طرف العلماء المسلمين هو علم القراءات والذي يعني معرفة القراءات المشهورة وكيفية أداء الحروف، بالإضافة إلى علم فن الرسم وهو كيفية رسم حروف القرآن الكريم في المصحف، وغاية ضبط نص القرآن الكريم، ويعد هذا العلم أنه كانت له

---

[1]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس المخطوطات الرقمية لبعض الخزائن العمانية**، غرداية-الجزائر، 2009م، ص 1، ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا موسى**، المرجع السابق، ص، ص 5-6.

[2]_ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 401.

[3]_ نفسه، ص 401.

[4] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 215، ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص، ص 1-5.

[5]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، غرداية-الجزائر، 2005م، ص 86.

[6]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، غرداية-الجزائر، 2005م، ص 1.

الأسبقية في الظهور والاهتمام مقارنة بالعلوم الأخرى كالتفسير والفقه والعقيدة، فعلوم القرآن الكريم يعتبر من أهم العلوم وأكثرها نفعا[1].

ونظرا لأهمية هذا العلم ودوره في تبيين معاني القرآن وغايته، فقد اهتم العلماء المزابيون كذلك بعلوم القرآن حيث تركوا العديد من المؤلفات في هذا الجانب، وانقسمت هذه المؤلفات بين علوم القرآن المختلفة (التجويد، القراءات)، وبين كيفية رسم وضبط حروف كتاب الله تعالى، ومن العلماء المزابيين الذين برزوا في هذا المجال نذكر:

1_ محمد بن سليمان بن صالح ابن ادريسو اليسجني (ت: 1313هـ/1896م) له:

_ حمدا لمن أكرم بالقرآن، وهو عبارة عن نظم في علوم القرآن في 6 أوراق، والمنظومة في ذكر أثمان وأرباع وأحزاب القرآن الكريم، قام بنظمها بطلب من أخ في الله من أهل بريان يدعى "أباسعيد" كما جاء في البيت التاسع، وقد فرغ من نظمها يوم الخميس 19 ربيع الثاني 1281هـ/22 سبتمبر 1864م، وعمره آنذاك 35 سنة، كما جاء مبينا في الأبيات الأخيرة، وعدد أبيات المنظومة 211 بيتا[2].

2_ مؤلفات الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش "قطب الأئمة" في علوم القرآن:

_ جامع حرف ورش لمحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ/1914م)، عبارة عن نظم في علوم القرآن، القصيدة مشكولة بالأحمر، وفي الهوامش وبين الأبيات شروح بخط الناسخ باللون الأحمر، وتاريخ نسخها قبل 1332هـ/1914م، بداية النظم: الحمد لله مربي الخلق باعث أحمد بعين الحق

وهي في 20 ورقة[3]، والناسخ هو: باحمد بن الحاج موسى بن كاسي بن الشيخ صالح[4].

---

[1]_ عبد الرحمن ابن خلدون: **المقدمة**، ج1، دار القلم، لبنان، 1994م، ص 551.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة محمد بن سليمان ابن ادريسو اليزجني**، غرداية-الجزائر، 2015م، ص 130.

[3]_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، غرداية-الجزائر، 2013م، ص 132.

[4]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 146.

_ تلقين التالي لآيات المتعالي، لمحمد بن يوسف اطفيش، وهو شرح لكتاب "جامع حرف ورش"[1].

_ كتاب الرسم لمحمد بن يوسف اطفيش، والناسخ هو: بهون بن إبراهيم فخار، وتاريخ نسخه قبل 1332هـ/1914م، وهو في 74 صفحة.

_ جواب عن سؤال في الوقف والوصل في القرآن لمحمد بن يوسف اطفيش، حيث أجاب فيه عن سؤال: قراءة مواضع من القرآن غير متصلة كيف هي؟ وهو في صفحة واحدة، وناسخه هو: حمو بن باحمد بابا وموسى قبل سنة 1332هـ/1914م[2].

ثانيا: الحديث الشريف وعلومه

لعلم الحديث أهمية كبيرة في الدين الإسلامي، لدوره الكبير في تبسيط وتيسير أحكام القرآن الكريم، إلا أنها لم تلق الاهتمام الكبير من طرف العلماء المزابيون لاشتغالهم بالتأليف في الفنون الأخرى، ورغم ذلك فقد تركوا بعض المؤلفات في الحديث الشريف وعلومه، والقسط الوافر من هذه المؤلفات للشيخ اطفيش نظرا لتميزه في هذا النوع من العلوم.

وللإشارة فمرجع الإباضية الأول في الحديث هو مسند الإمام الربيع بن الحبيب، بالإضافة إلى استعانتهم بكتب الصحاح الأخرى.

ومن هذه المؤلفات نذكر:

_ تفسير حديث "المُسْتَبَّانِ ما قالا"، لمحمد بن أبي القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي (ت: 1129هـ/1717م)، الناسخ هو نفس المؤلف، وتاريخ نسخه قبل سنة 1129هـ/1717م، في صفحة واحدة، ورقمه في الفهرس 41/178[3].

---

[1] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 215.

[2] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 86.

[3] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 87.

_ جواب إلى الملوى في الفرق بين "ذي" و"صاحب"، لمحمد بن يوسف بن محمد المصعبي (ت: 1207هـ/1792م)، الناسخ هو ببعيسى بن داد بن صالح الوارجلاني، وتاريخ نسخه حوالي سنة 1206هـ/1791م، في ورقة واحدة، ورقمه في الفهرس: 026/حدغ06[1].

_ جواب حول حديث "كل أمر ذي بال "، لمحمد بن يوسف الجربي المصعبي (ت: 1207هـ/1792م)، الناسخ هو ببعيسى بن داد بن صالح بن نوح الوارجلاني، وتاريخ نسخه أواخر ق 12هـ/18م وأوائل ق 13هـ/19م، في ورقة واحدة، ورقمه في الفهرس 09/179[2].

_ مختصر حواشي الترتيب، لعبد العزيز الثميني، الناسخ هو نفس المؤلف، وتاريخ نسخه في أوائل ربيع الثاني 1225هـ/1810م أو بعده، وهو في أربعة أجزاء، وعدد الصفحات: 587 صفحة، ورقمه في الفهرس: 30/3[3]58.

_ وفاء الضمانة بأداء الأمانة[4]، لحاج امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو نفس المؤلف، وتاريخ نسخه قبل سنة 1332هـ/1914م، في 10 أوراق، ورقمه في الفهرس: 046/م30، مسفّر حديثا من قبل باحامد بابه بن عمر بن جمة بالمسجد الكبير في القرارة[5].

_ ترتيب الترتيب من حديث صحيح الربيع، لمحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، وتاريخ نسخه قبل سنة 1332هـ/1914م، في 24 ورقة، ورقمه في الفهرس: 13/05[6]،

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 11.

[2] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 87.

[3] _ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 290.

[4] _ **وفاء الضمانة بأداء الأمانة:** طبع في ثلاثة مجلدات، الجزء الأول طبع في المطبعة البارونية بالقاهرة عام 1306هـ/1889م، والجزء الثاني بمطبعة الأزهار البارونية بالقاهرة عام 1325هـ/1907م، والجزء الثالث عام 1326هـ/1908م، ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 215.

[5] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص، ص 18-19.

[6] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 3.

وهو إعادة ترتيب مسند الربيع بن حبيب، بعد ترتيب أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، طبع في الجزائر سنة 1326هـ/1908م[1].

ـ ترتيب الترتيب من صحيح حديث رسول الله ﷺ، لحاج امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو إبراهيم بن سليمان اشقبقب، وتاريخ نسخه قبل سنة 1919م، في 30 ورقة، ورقمه في الفهرس: 036/د. غ06[2].

ـ شرح قوله ﷺ: "كل أمر ذي بال "، لمحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو يحي بن صالح باعمارة، وتاريخ نسخه أوائل ق 14هـ/20م، في صفحة واحدة، ورقمه في الفهرس: 180/دغ02[3].

ـ إطلالة الأجور وإزالة الفجور، لمحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو نفس المؤلف، وتاريخ نسخه سنة 1326هـ/1908م، في 14 ورقة، ورقمه في الفهرس: 15/أ-و13/2[4].

ـ بالإضافة إلى مؤلفات أخرى للشيخ امحمد اطفيش هي: جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل، تحقيق محمد عبد القادر عطا[5] طبع سنة 1887م، السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة طبع سنة 1926م، الغسول من أسماء الرسول طبع سنة 1902م، شرح نونية المديح لابن ونّان المغربي[6].

ثالثا: العقيدة والفقه

أ/ العقيدة وأصول الدين:

اهتم العلماء المزابيون بشكل كبير بالعقيدة وأصول الدين باعتباره اللبنة الأساسية التي يقوم عليها الدين الإسلامي، فهو يتناول جميع المسائل التي تواجه الفرد المسلم في حياته اليومية، وبرز اهتمامهم أكبر بالقضايا المتعلقة بالمذهب الإباضي، ومن خلال هذه المؤلفات حاول المشائخ تبيين للمجتمع

---

[1] ـ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 401.

[2] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 15.

[3] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 87.

[4] ـ إبراهيم زدك: المرجع السابق، ص 291.

[5] ـ مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي**، ج2، المرجع السابق، ص 401.

[6] يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 215.

المزابي ولعامة الناس العقائد الدينية القائم عليها المذهب الإباضي، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

ومن هذه المؤلفات نذكر:

ـ رد على قادح في المذهب الإباضي من مدينة الجزائر، محمد بن الحاج أبي القاسم المصعبي الغرداوي (ت: 1129هـ/1718م)، الناسخ هو قاسم بن محمد بن الحاج أبي القاسم، وتاريخ نسخها حوالي منتصف القرن 12هـ/18م، في خمسة أوراق، ورقمها في الفهرس: 24/مع/دغ122[1].

ـ حاشية السؤالات، لـ أبوبكر بن يوسف بن أبي بكر الغرداوي (حي سنة 1206هـ/1791م)، الناسخ هو المؤلف نفسه، وتاريخ نسخها حوالي 1186هـ/1772م، وقد نسخها بالمسجد الكبير بجزيرة جربة، رقمها في الفهرس: 22/مع/28[2].

ـ حاشية الديانات، أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي (ت: 1187هـ/1773م)، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، وتاريخ نسخها قبل سنة 1376هـ/1958م، في ثمانية أوراق، ورقمها في الفهرس: 14/10، وهذه الحاشية تتمة لحاشية الشيخ عبد الله بن سعيد السدويكشي (ت: 1068هـ/1658م)[3].

ـ حاشية على شرحي الجيطالي والوِراني على نونية الملوشائي، أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي، القصيدة النونية في التوحيد وأصول الدين لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي (ق: 7هـ/13م)[4].

ـ جواب محمد المصعبي في العقيدة، محمد بن يوسف المصعبي (ت:1207هـ/1792م)، الناسخ هو ببعيسى بن داد بن صالح الوارجلاني، وتاريخ نسخها حوالي 1206هـ/1791م، في ثلاثة أوراق، ورقمها في الفهرس: 036/حدغ06[5].

---

[1] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص، ص 9-10.

[2] ـ نفسه، ص 9.

[3] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 5.

[4] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص 35.

[5] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 15.

_ معالم الدين، عبد العزيز بن الحاج الثميني (ت: 1808/1223م)، الناسخ هو ببعيسى بن داد بن صالح الوارجلاني، وتاريخ نسخها سنة 1211هـ/1796م، في 162 ورقة، ورقمها في الفهرس: 39/بابكر 19[1].

_ كتاب النّور، عبد العزيز بن الحاج الثميني (ت: 1223هـ/1808م)، طبعة حجرية (المطبعة البارونية بمصر) حوالي 1306هـ/1888م، في 536 صفحة، ورقمها في الفهرس: 056/حط13[2].

_ نظم في التّوحيد "حمدت إلهي في ابتدائي"، يوسف بن حمو بن عدون اليسجني (ت: 1252هـ/1836م)، الناسخ هو سليمان بن بكر المطهري المليكي، وتاريخ نسخها حوالي النصف الأول من القرن 14هـ/20م، في ستة صفحات، ورقمها في الفهرس: 08/377، وعدد أبياتها: 104 بيتا[3].

_ نظم في العقيدة "قصيدة التوكل مع اتخاذ الأسباب"، عمر بن سليمان اليسجني (ت: 1292هـ/1875م)، الناسخ هو يحي بن بابه بن الحاج عيسى الغرداوي العلواني، وتاريخ نسخها أواخر القرن 13هـ/19م، في ورقة واحدة، ورقمها في الفهرس 261/باش/دغ34[4].

_ نظم في التوحيد "سبحان من أمره المقضي يجري كما يشاء"، عمر بن سليمان اليسجني المصعبي، الناسخ هو كاسي بن بابصالح بن كاسي من ذرية الشيخ عمي سعيد، وتاريخ نسخها أواخر القرن 13هـ/19م، في ثلاثة أوراق، ورقمها في الفهرس 348/مع/دغ203[5]، وعدد أبياتها: 33 بيتا[6].

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي**، المرجع السابق، ص 19.

[2] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 23.

[3] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص، ص 184-185.

[4] _ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، غرداية-الجزائر، 2005م، ص 110.

[5] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 150.

[6] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 185.

_ عدم الرؤية وإدحاض مذهب أهل الفرية، امحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيش (ت: 1332هـ/1914م)، الناسخ هو باحمد بن الحاج موسى بن كاسي بن الشيخ صالح، نسخ حديثا، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 27/مع/دغ15[1].

_ شرح أصول تبغورين، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو سليمان بن بكر المطهري المليكي، وتاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 500 صفحة، ورقمها في الفهرس: 037/حم23[2].

_ شرح منظومة المسائل الخلافية، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو يحي بن باب العلواني، وتاريخ نسخها في القرن 13هـ/19م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 41/مع/دغ200[3].

_ شرح عقيدة التوحيد، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، وتاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 254 صفحة، رقمها في الفهرس: 044/حم05[4].

_ مراتب الطاعة ومراتب المعصية، الحاج محمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو بكير بن عمر بن موسى وعلي، نسخ حديثا، في ورقة واحدة، رقمها في الفهرس: 58/مع/دغ36[5].

من خلال ما تقدم من مؤلفات نلاحظ أنه كان هناك تنوع في تناول المواضيع بين تبيين عقائد المذهب الإباضي كتاب "عدم الرؤية وإدحاض مذهب أهل الفرية" الذي يبين أحد أهم العقائد عند الإباضية وهي عدم رؤية الله دنيا وأخرة، كما كانت هناك بعض المؤلفات الخاصة بتوحيد الله مثل شرح عقيدة التوحيد للشيخ اطفيش، كما نلاحظ أن العلماء المزابيين اهتموا كذلك بتبيين المسائل الخلافية بين المذاهب الإسلامية، وإثبات أن المذهب الإباضي هو مذهب ديني إسلامي كغيره من المذاهب الإسلامية الأخرى، مبدؤه العمل بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص، ص 10-11.

[2] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص، ص 15-16.

[3] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 15-16.

[4] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص، ص 18-19.

[5] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 22.

ب/ الفقه وأصوله:

ألف علماء وادي مزاب العديد من المؤلفات في الفقه وأصوله، خاصة ما تعلق بفقه المذهب الإباضي، ومن العلماء الذين اشتهروا وبرعوا في هذا المجال الشيخ عبد العزيز الثميني الذي ألف كتاب النيل وشفاء العليل والذي يعد عبارة عن دائرة معارف في الفقه الإباضي، بالإضافة إلى الشيخ محمد بن يوسف اطفيش الذي قام بشرح كتاب النيل في اثني عشر جزءا بحيث أضحى المرجع الرئيسي والرسمي للمذهب الإباضي في المحاكم الإباضية، والمحاكم الفرنسية، باعتباره من أجل الكتب الفقهية، كما كان هناك علماء آخرون اهتموا بهذا الجانب من العلوم، فقد ألفوا العديد من الكتب في مختلف القضايا الفقهية التي تخص الفرد المسلم الإباضي من أحكام وعبادات ومعاملات.

ومن هذه المؤلفات نذكر:

1/ الفقه:

_ نظم في الفقه والمحاججة "أقول ابتداءً بحمد الولي"، حم بن الحاج أبي القاسم الغرداوي المصعبي (ت: 1129هـ/1716م)، رقمها في الفهرس: 355/مع/دغ137، وعدد أبياتها: 50 بيتا[1].

_ قصيدة في أرش الجراحات في الفقه، باب بن محمد بن الحاج أبي القاسم الغرداوي المصعبي (ت: 1207هـ/1782م)، الناسخ هو يحي بن محمد بن الحاج أبي القاسم بن يحي الغرداوي اليونيسي، وتاريخ نسخها حوالي 1157هـ/1744م، رقمها في الفهرس: 391/حم44[2].

_ رجز في وجوب العدل بين النساء، بابه بن يونس الغرداوي المصعبي (ت: 1280هـ/1863م)، تاريخ نسخها قبل سنة 1280هـ/1863م، رقمها في الفهرس: 493/د. غ166، وعدد أبياتها: 22 بيتا، وهي في صفحة واحدة[3].

_ القصيدة العينية في الفقه، الحاج امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو الحاج سعيد بهون بن موسى، وتاريخ نسخها أواخر ق 13هـ/19م وبداية ق 14هـ/20م، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 285/باش/دغ29[4].

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 153.

[2] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 183.

[3] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 213.

[4] _ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص60.

_ الذهب الخالص المنوّه بالعلم القالص، الحاج امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو إبراهيم بن سليمان اشقبقب، وتاريخ نسخها سنة 1301هـ/1873م، في 142 ورقة، رقمها في الفهرس: 161/م41[1].

_ قصيدة "الأحكام"، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 17 ورقة، رقمها في الفهرس: 13/394[2].

2/ أصول الفقه:

_ تحفة الأحباب في عذر أولي الألباب، أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي (ت: 1187هـ/1773م)، الناسخ هو أبوبكر بن يوسف بن أبي بكر المصعبي، وتاريخ نسخها حوالي 1188هـ/1775م، في أربعة أوراق، رقمها في الفهرس: 62/مع/دغ80[3].

_ "فتح الله، شرح مختصر العدل"، الحاج امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو صالح بن كاسي بن كاسي، وتاريخ نسخها حوالي أوائل القرن 14هـ/20م، في ثلاثة أوراق، رقمها في الفهرس: 49/شص/دغ107، والكتاب للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي[4].

_ جواب في عدم جواز الإفتاء بغير علم، امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو بكير بن اعمر موسى وعلي، نسخة حديثة، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 63/مع/دغ36[5].

_ جواب القطب اطفيش إلى أهل عمان في منع القول بدون اجتهاد وشروط الفتوى والقضاء، امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في صفحتين، رقمها في الفهرس: 12/195[6].

---

[1]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 213.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 192.

[3]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 24.

[4]_ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص 18.

[5]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 24.

[6]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 94.

_ "شرح كتاب النيل وشفاء العليل" لعبد العزيز الثميني، امحمد بن يوسف اطفيش، بطلب من الشيخ قاسم الجربي، شرحه في عشرة مجلدات[1]، ويعد هذا الشرح المرجع الرئيسي للمذهب الإباضي، وهو الكتاب المعتمد في المحاكم الفرنسية بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية وبالضبط سنة 1886م[2]، بحيث يتم الرجوع إليه عند الحكم بين المزابيين[3].

_ جواب حول علّة الربا، محمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو بكير بن اعمر موسى وعلي، نسخة حديثة، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 63/مع/دغ36[4].

3/ فقه العبادات والمعاملات:

_ حاشية الفرائض، يوسف بن محمد المصعبي (ت: 1187هـ/1773م)، الناسخ هو إبراهيم بن داد، تاريخ نسخها سنة 1205هـ/1780م، في 36 ورقة، رقمها في الفهرس: 89/بابكر 14[5].

_ جواب في الرهن، أبو زكرياء يحي بن صالح المصعبي اليسجني (ت: 1202هـ/1788م)، الناسخ هو باب بن محمد بن أبي القاسم الغرداوي، تاريخ النسخ قبل سنة 1202هـ/1788م، في ورقة واحدة، رقمها في الفهرس: 241/إ112، الجواب رد على رسالة وردت من بلاد لبيض غربي الجزائر إلى علماء وجماعة بني مصعب، لإبطال حكم أصدروه في الرهن[6].

_ التاج المنظوم من درر المنهاج المعلوم، عبد العزيز بن الحاج الثميني (ت: 1223هـ/1808م)، تاريخ النسخ حوالي النصف الثاني من ق 13هـ/19م، في أربعة أوراق، الكتاب اختصار لكتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين" للشيخ خميس بن سعيد الرستاقي العماني (ق 11هـ/17م)، رقمها في الفهرس: 18/باح 29[7]، وهو في عشرة أجزاء.

---

[1]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 218.

[2]_ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، المرجع السابق، ص 86.

[3]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 124.

[4]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 24.

[5]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي**، المرجع السابق، ص، ص 41-42.

[6]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص 97.

[7]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانتين بنوح بن أحمد مصباح، صالح بن حمو باجهون**، غرداية الجزائر، 2010م، و**فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص، ص 34-35.

ومن مؤلفات الشيخ عبد العزيز بن الحاج الثميني في الفقه أيضا: النيل وشفاء العليل وهو عمدة المذهب الإباضي في العبادات والمعاملات، التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، الأسرار النورانية على المنظومة الرائية لابن النظر في الصلاة[1]، كتاب النفقات وهو مختصر "ديوان الأشياخ"، الورد البسام في رياض الأحكام وهو كتاب في القضاء، بحيث اعتمد فيه على كتاب الأحكام من "ديوان الأشياخ"[2].

_ اختصار كتاب في الطهارات وغيرها، أحمد بن امحمد بن داد بن اعمر الزعبي المصعبي (حي في: 1306هـ/1889م)، تاريخ النسخ حوالي 1275هـ/1957م، في 7 أوراق، رقمها في الفهرس: 224/إ258[3].

_ تقريرات على كتاب التكميل ببعض ما أخل به كتاب النيل، امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل 1376هـ/1948م، رقمها في الفهرس: 16/38[4].

_ ترتيب لقط الشيخ موسى بن عامر، امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو سليمان بن أبي بكر بن داود المليكي المطهري، تاريخ نسخها سنة 1315م/1887م، في 142 ورقة، رقمها في الفهرس: 97/مع/15[5].

من خلال ما تقدم من مؤلفات في علوم الفقه وأصوله نلاحظ أن العلماء المزابيين استطاعوا إلى حد كبير في تبيين مختلف القضايا والنوازل الفقهية، بحيث تنوعت هذه المؤلفات وعالجت مواضيع شتى مست مختلف جوانب حياة الفرد المسلم، وفق آراء وكتابات الأعلام الإباضيين القائمة أساسا على كتاب الله والسنة والاجتهاد، إلا أن المذهب الإباضي لم يكن بمعزل عن المذاهب الإسلامية الأخرى، لذلك كانت هناك بعض المؤلفات والردود والأجوبة التي تطرقت إلى آراء المذاهب الأخرى ومقارنتها ببعضها مثل كتاب شرح النيل للشّيخ اطفيش، وجواب في الرهن لأبو زكرياء يحي بن صالح المصعبي

---

[1]_ إبراهيم عبو: **العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2018م، ص 189.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص، ص 125-126.

[3]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص، ص 89-90.

[4]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص، ص 16-17.

[5]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص، ص 36-37.

اليسجني وغيرها، مما يثبت تعايش المذهب الإباضي مع المذاهب الأخرى، وقدرة علمائه في التعريف بهذا المذهب وآرائه الفقهية.

رابعا: اللغة العربية وعلومها

اهتم علماء وادي مزاب في الفترة الحديثة كغيرهم من علماء ذاك الزمان، باللغة العربية وعلومها، حيث برزت العديد من المؤلفات في مختلف الفنون كالنحو والصرف والبلاغة والشعر وغيرها، ويرجع اهتمام المزابيين باللغة العربية وآدابها لكونها لغة القرآن فقد برعوا فيها وتركوا لنا مؤلفات قيمة توحي بتمكنهم القوي بعلوم اللغة، ومما نلاحظه من خلال هذه المؤلفات أنهم اعتمدوا بشكل كبير على كتابات الأعلام الكبار أمثال: داود التلاتي، ابن هشام، ابن عقيل، أبي زيد عبد الرحمن الأخضري البنطيوسي، كما أن تأليفهم في اللغة اقتصر في الغالب على الشروح والحواشي، أي أنهم لم يأتوا بالجديد في الأغلب الأعم، ومن الأمثلة على ذلك: حاشية منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني، شرح قصيدة أحكام الجمل للصدغياني، إعراب شواهد شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، ومن الأعلام المزابيين الذين برعوا في هذا الجانب من العلوم نذكر: محمد بن أبي القاسم المصعبي الغرداوي، أحمد بن امحمد بن داد بن اعمر الزعبي المصعبي، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش وغيرهم.

ومن هذه المؤلفات نذكر:

- **النثر:**

_ فك لغز في النحو، محمد بن أبي القاسم المصعبي الغرداوي (ت: 1129هـ/1716م)، تاريخ نسخها قبل سنة 1206هـ/1792م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 518/إ201، يقع اللغز وحله في آخر مجموع يشتمل على كتاب "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" وترجمة لعبد الله بن هشام، ورد اللغز في شكل نظم من ثلاثة أبيات، وأول بيت فيه:

ما اسم الذي صدّني إن كنت دهقانا أربع حروف بحرف الخط تبيانا[1]

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص 209.

_ حاشية منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني، يوسف بن إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد المصعبي الغرداوي (حي في 1191هـ/1777م)، تاريخ نسخها أواخر ق 12هـ/18م، رقمها في الفهرس: 431/إ136[1].

_ حاشية شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، صالح بن أحمد بن إبراهيم بن أبي القاسم المصعبي الغرداوي (حي في 1192هـ/1778م)، تاريخ نسخها حوالي ق 12هـ/18م، رقمها في الفهرس: 426/إ88، تقع هذه الحاشية على هامش نسخة من شرح ابن عقيل على الألفية[2].

_ شرح قصيدة أحكام الجمل للصدغياني، الحاج صالح بمحمّد (حي في 1191هـ/1777م)، تاريخ نسخها أواخر ق 12هـ/18م، في ورقة واحدة، رقمها في الفهرس: 490/إ/دغ341[3].

_ حاشية على شرح داود التلاتي على الأجرومية، محمد بن كاسي بن باب بن كاسي بن يوسف بلنعاش الغرداوي (حي سنة 1276هـ/1859م)، تاريخ نسخها سنة 1276هـ/1859م، في 56 ورقة، رقمها في الفهرس: 94/شص/دغ68[4].

_ إعراب شواهد شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، أحمد بن امحمد بن داد بن اعمر الزعبي المصعبي (ت: 1306هـ/1889م)، تاريخ نسخها حوالي سنة 1375هـ/1957م، في 8 أوراق، رقمها في الفهرس: 392/إ258[5].

_ شرح دواد التلاتي على المقدمة الأجرومية، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو عيسى بن إبراهيم، تاريخ نسخها سنة 1306هـ/1889م، في 354 ورقة، رقمها في الفهرس: 243/م04، هذا الشرح وضعه المؤلف على شرح داود التلاتي على الأجرومية[6].

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص 173.

[2] _ نفسه، ص 171.

[3] _ نفسه، ص197.

[4] _ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص 36.

[5] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص، ص 156-157.

[6] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 88.

_ حاشية على شذور الذهب وشرحه، امحمد بن يوسف اطفيش، تاريخ نسخها سنة 1319هـ/1901م، رقمها في الفهرس: 326/مخ_ح/1/شرح الشذور، الحاشية موضوعة على متن الشذور وشرحه وكلاهما لابن هشام[1].

_ مسائل التحقيقية في بيان التحفة الأجرومية، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 57 ورقة، رقمها في الفهرس: 22/81[2].

_ المسائل التحقيقية في شرح المقدمة الأجرومية، الحاج امحمد بن يوسف اطفيش، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 32 ورقة، رقمها في الفهرس: 122/شص/دغ97[3].

_ حاشية شرح الداوي على الأجرومية، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 163 ورقة، رقمها في الفهرس: 221/م23[4].

_ معتمد الصواب من شواهد قواعد الإعراب، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل سنة 1376هـ/1958م، في 12 ورقة، رقمها في الفهرس: 14/82[5].

_ جواب عن مسائل نحوية وبلاغية، امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو باحمد بن الحاج موسى بن كاسي بن الشيخ صالح، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 219/مع/دغ85[6].

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس المخطوطات الرقمية لبعض الخزائن العمانية**، المرجع السابق.

[2] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 33.

[3] _ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص 46.

[4] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 81.

[5] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص، ص 33-34.

[6] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 80.

• **العروض:**

_ إيضاح الدليل إلى علم الخليل، امحمد بن يوسف اطفيش، تاريخ نسخها سنة 1273هـ/1856م، في 64 ورقة، رقمها في الفهرس: 103/أ-س5، وفي مقدمة الكتاب نجد: "وبعد فهذه حواش موجزة على شرح الخزرجية الذي هو للعلامة أبي يحي زكرياء الأنصاري..."[1].

• **البلاغة:**

_ شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، أحمد بن امحمد بن داد بن اعمر الزعبي المصعبي (حي في 1306هـ/1889م)، تاريخ نسخها حوالي سنة 1275هـ/1858م، في 41 ورقة، وهي من نظم أبي زيد عبد الرحمن الأخضري البنطيوسي (ت: 983هـ/1577م)، رقمها في الفهرس: 473/إ258[2].

_ حاشية شرح النونية، امحمد بن يوسف اطفيش، تاريخ النسخ قبل سنة 1272هـ/1855م، في 41 ورقة، رقمها في الفهرس: 100/أ-هـ7، كتب الشيخ اطفيش في مقدمة الكتاب: "رغبت في أن أضع على شرح النونية له حاشية أقتصر فيها على إيضاح ما ذكر فيه من الاستعارات وغيرها من المعاني والبيان والعروض والمنطق..."[3].

_ تخليص العاني من ربقة جهل المثاني، امحمد بن يوسف اطفيش، في 93 ورقة، رقمها في الفهرس: 99/أ-س4، والكتاب في المعاني من علم البلاغة[4].

• **الشعر**: تنوع الشعر في وادي مزاب بين المديح النبوي والرثاء، فقد تميزت المنطقة بوجود شعراء أكفاء، لهم ميول إلى نظم الشعر العربي الأصيل الذي يحمل في طياته العديد من المواضيع القيمة التي تخص المجتمع في شتى نواحي الحياة اليومية، بحيث تضمنت هذه المواضيع: (المواعظ، النصائح والحكم، مدح الرسول ﷺ ...)، ومن الشعراء الذين لهم باع في هذا الجانب نذكر: إبراهيم بن بحمان الثميني، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، محمد بن أبي القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي.

---

[1]_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 221.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص 189.

[3]_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 217.

[4]_ نفسه، ص 216.

نورد فيما يلي بعض من الأشعار:

1/ شعر المديح:

_ البردة، إبراهيم بن بحمان الثميني (ت: 1232هـ/1817م)، نسخ حديثا، في 4 أوراق، رقمها في الفهرس: 454/حدغ56، تبدأ بـ: "ورقى قلبي بما قلته وجما في ليلة من ليال الأشهر الحرم"[1].

_ قصيدة البردة في مدح خير البرية، فرغ منها سنة 1196هـ/1782م[2]، إبراهيم بن بحمان المصعبي (ت: 1232هـ/1817م)، الناسخ هو قاسم بن أحمد بن داد نون، تاريخ نسخها أوائل ق 14هـ/20م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 435/باش/دغ23، تبدأ بـ:

"له التقدم قبل الكون ثم له عدل يؤلف بين الذئب والغنم"[3].

_ قصيدة بائية في المديح، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، في ثلاثة أوراق، رقمها في الفهرس: 463/حدغ62، تبدأ بـ: "فؤاد العدو بالدواهي مصاب وفي الخدّ منها للدموعي مصاب"[4].

_ القصيدة الرائية في المديح، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، نسخت قبل سنة 1332هـ/1914م، في خمسة أوراق، رقمها في الفهرس: 447/باش/دغ26، تبدأ بـ:

"لك الحمد ربي ما أحق وما أحرى محامد إخلاص فتستوعب الدهرا"[5].

_ قصيدة نونية في المديح، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حم بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 703/د. غ127، تبدأ بـ: "الحمد لله مفيد المنى لعبده مع انتفا العنا"[6].

_ وللشيخ محمد بن يوسف اطفيش قصيدة بائية في النصائح والحكم تحوي 117 بيتا منها هذه الأبيات: أرى في قيـــام الليل فوزا وفي الغنى عن النــاس عــزا فـاتخـذ منـهمــا دأبــا

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 206.

[2] _ إبراهيم بن بحمان: المصدر السابق، ص 35.

[3] _ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص 172.

[4] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 207.

[5] _ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص 176.

[6] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 283.

ودر حيث دار الحق واجتنب الهوى بوقت الرضى أو حين اعتضبت اعتضابا[1]

2/ شعر الرثاء:

يعد شعر الرثاء من الفنون النظمية في الآداب، فهو المعبر الحقيقي عن تماسك المجتمع ببعضه البعض بعد فقدانه لأحد أفراده بذكر محاسنه والحزن لفراقه، وهو بذلك ينمي في الأجيال والمجتمع مبادئ التسامح والصداقة والتعاون، ومن الأعلام المزابيون الذين خاضوا في هذا الجانب نذكر:

_ قصيدة "أقول ودمعي سائل وسكوب"، محمد بن أبي القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي (ت: 1129هـ/1717م)، في ورقة واحدة، رقمها في الفهرس: 41/613، القصيدة في رثاء الشيخ عبد الله بن عيسى المصعبي اليسجني، تبدأ بـ:

"أقول ودمعي سائل وسكوبُ كهطل وشوبوب يظلُّ يصوب..."[2].

_ قصيدة في رثاء الشيخ عبد العزيز الثميني، إبراهيم بن بحمان المصعبي (ت: 1232هـ/1817م)، الناسخ هو قاسم بن أحمد بن داد نون، تاريخ نسخها حوالي سنة 1304هـ/1887م، في ثلاثة أوراق، رقمها في الفهرس: 477/باش 08، تبدأ بـ: "إن خطابا بمصعب قد شجاني..."[3].

_ قصيدة "حمدا جليلا لذي العزة والكرم"، إبراهيم بن بحمان المصعبي اليسجني (ت: 1232هـ/1817م)، تاريخ نسخها حوالي أواخر ق 13هـ/19م، في ورقة واحدة، رقمها في الفهرس: 618/دغ65، القصيدة في رثاء الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح اليسجني، مجدد النهضة العلمية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، تبدأ بـ:

"حمدا جليلا لذي العزة والكرم شكرا جميلا لذي الآلاء والنعم..."

_ قصيدة في رثاء الشيخ بعمور، يحي بن محمد بن الحاج أبي القاسم الغرداوي المصعبي (ت: 1207هـ/1792م)، في ورقة واحدة، رقمها في الفهرس: 488/حم44، تبدأ بـ:

"أمسي وأصبح والسلاح يؤذين الرمح يطعنني والسهم يرميني"[4].

---

[1]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 117.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 269.

[3]_ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص 186.

[4]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 216.

المبحث الثاني: العلوم العقلية

ساهم العلماء المزابيون مساهمة معتبرة في العلوم العقلية، حيث برزت بعض العلوم التي أعطت للمنطقة بعدا حضاريا وفكريا، دالاً على النهضة الفكرية والإصلاحية التي عرفتها منطقة وادي مزاب خلال الفترة الحديثة، ومن هذه العلوم نذكر:

أولا: التاريخ والسيرة النبوية

حظي علم التاريخ باهتمام كبير من طرف العلماء الميزابيين لميلهم إلى معرفة تاريخ الأجداد وأنسابهم وأصولهم وعقائدهم الأولى، ونظرا لأهميته ودوره في حفظ ذاكرة الأمة وثوابتها، عمدوا على تقصي الحقائق التاريخية وتدوين وتأريخ الأحداث الهامة.

فقد عرف ابن خلدون علم التاريخ: "فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء"[1].

وقال الإمام السخاوي: "إن التاريخ جم الفوائد، كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية، لما جبلت عليه طبائعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبه والاقتداء بأربابها"[2].

لهذا فقد برزت العديد من المؤلفات بمنطقة وادي مزاب في مجال التاريخ التي كان لها دور في إحياء تاريخ المنطقة، ومن هذه الكتابات نجد الرسالة الشافية للشيخ محمد بن يوسف اطفيش والتي تعد مصدرا هاما لتاريخ بني مزاب حيث قدم لنا فيها الشيخ اطفيش معلومات هامة عن أصول وأنساب قبائل بني مزاب، وقائمة هامة عن علماء المذهب الإباضي، بالإضافة إلى تواريخ تأسيس قصور وادي مزاب، كما نلاحظ أن المؤرخين المزابيين لم يقتصروا على تاريخ المنطقة فقط وإنما كان هناك اهتمام بالتاريخ الإسلامي وتاريخ المذهب الإباضي بشكل أخص، من النشأة إلى غاية وصوله إلى المنطقة واعتناقه من طرف سكان وادي مزاب ومن هذه الكتابات نجد: ترجمة الإمام جابر بن زيد لعمر بن أبي القاسم بن الحاج المصعبي الغرداوي وهو عبارة عن سيرة ذاتية للإمام الأول للمذهب الإباضي وأهم إنجازاته وأعماله، بالإضافة إلى كتاب نظم في الأئمة العشرة وحملة العلم لعمر بن يوسف ونتن وهو في تاريخ المذهب،

---

[1]_ عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 11.

[2]_ محمد بن موسى الشريف: **كيفية قراءة التاريخ وفهمه**، سلسلة التعريف بعلم التاريخ، دار التوزيع والنشر، مصر، 2013م، ص، ص 12-13.

كذلك نجد رسالة حول دخول الإسلام وادي مزاب ومبدأ عمرانه لمحمد بن يوسف اطفيش، الذي اشتمل على نبذة عن دخول الإسلام أرض مزاب، وظهور المذهب الإباضي فيه، لإضافة إلى نبذة عن دخول المذهب الإباضي بلاد المغرب وأسماء الأئمة الرستميين، كما لاحظنا من خلال هذه المؤلفات أن هناك اهتمام كبير بالتأليف في السيرة النبوية العطرة ومعجزات الرسول ﷺ منها: معجزات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، يوسف بن حمو المصعبي اليسجني، رسالة في السيرة النبوية للحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة للحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، ومنه نستنتج أنه كان هناك قوة في التأليف في مجال علم التاريخ باعتبار أن العلماء المزابيين استطاعوا أن يؤلفوا في عدة محطات تاريخية سواء في تاريخ منطقة وادي مزاب، أو التاريخ الإسلامي وتاريخ المذهب الإباضي.

ومن هذه المؤلفات التاريخية نذكر:

ـ نظم "بحمد إلهي أبتدي الشعر أولا"، محمد بن أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي (ت: 1129هـ/1717م)، نسخها قبل سنة 1129هـ/1717م، في ورقة واحدة، عدد أبياتها 28 بيت، القصيدة في ذكر نسب الدين، رقمها في الفهرس: 41/558[1].

ـ نظم أهل العلوم سنا نوري بنوركم، إبراهيم بن داود الغرداوي (حي في 1162هـ/1748م)، تاريخ نسخها سنة 1162هـ/1748م، في ورقتين، عدد أبياتها: 35 بيتا، رقمها في الفهرس: 950/إ239، القصيدة دعوة للعلماء للقيام بواجبهم الملقى على عاتقهم، فنشر العلم وتنوير العقول يساهم في نهضة الأمة وتطورها[2].

ـ رسالة إلى الطلبة المصعبيين بجربة، باسّ بن موسى الوارجلاني (ت: 1175هـ/1761م)، الناسخ هو إبراهيم بن أحمد المصعبي الغرداوي، تاريخ نسخها حوالي سنة 1131هـ/1719م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 254/مع/23، الرسالة بعث بها الشيخ باسّ بن موسى ناطقة باسم أهل

[1] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 249.

[2] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص 392.

قصور مزاب ومشايخهم، إلى الطلبة المزابيين المتواجدين في جزيرة جربة، يحثونهم فيها على الجد والمثابرة في طلب العلم[1].

_ ترجمة الشيخ عبد الله بن سعيد السدويكشي، أبوبكر بن يوسف بن أبي بكر الغرداوي (حي سنة 1206هـ/1791م)، تاريخ نسخها أواخر ق 12هـ/18م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 94/دغ50[2].

_ ترجمة الإمام جابر بن زيد، عمر بن أبي القاسم بن الحاج المصعبي الغرداوي (حي سنة 1177هـ/1763م)، تاريخ نسخها حوالي 1176هـ/1762م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 248/مع/دغ77[3].

_ نظم "ثم الصلاة على محمد"، باب بن محمد بن أبي القاسم المصعبي الغرداوي (ت: 1207هـ/1792م)، نسخها قبل سنة 1207هـ/1792م، في ورقة واحدة، عدد أبياتها 27 بيت، رقمها في الفهرس: 952/إ/دغ278[4].

_ معجزات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، يوسف بن حمو المصعبي اليسجني (ت: 1252هـ/1836م)، الناسخ هو كاسي بن كاسي بن الشيخ صالح، تاريخ نسخها سنة 1281هـ/1865م، في سبعة أوراق، رقمها في الفهرس: 167/شص04[5].

_ نظم "ولله حمد وشكر على هداه"، عمر بن سليمان اليسجني (ت: 1292هـ/1875م)، الناسخ هو قام بن أحمد بن داد نون، نسخها أواخر ق 13هـ/19م وأوائل ق 14هـ/20م، في ثلاثة أوراق، القصيدة لامية في مدح المذهب الإباضي، عدد أبياتها 85 بيت، رقمها في الفهرس: 975/إ71[6].

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 92.

[2] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص، ص 39-40.

[3] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 90.

[4] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص 393.

[5] _ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، المرجع السابق، ص، ص 61-62.

[6] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص، ص 401-402.

ـ ردّ الشرود إلى الحوض المورود، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو علي بن خميس بن راشد بن سعيد بن خلفان القصاب، تاريخ نسخها سنة 1316هـ/1898م، في 255 صفحة، رقمها في الفهرس: 255/حدغ103[1].

ـ تذكرة لبعض ما يذكر يوم الزيارة في مشاهد ومقامات غرداية، مجهول بعد القاضي داود بن الحاج بكير الغرداوي، الناسخ هو باب بن سليمان اشقبقب، تاريخ نسخها أوائل ق 14هـ/20م، في تسعة أوراق، رقمها في الفهرس: 91/دغ06[2].

ـ رسالة حول دخول الإسلام وادي مزاب ومبدأ عمرانه، محمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 12/106، اشتملت الرسالة على نبذة عن دخول الإسلام أرض مزاب، وظهور المذهب الإباضي فيه، لإضافة إلى نبذة عن دخول المذهب الإباضي بلاد المغرب وأسماء الأئمة الرستميين[3].

ـ إجابة الدَّعوة لإصابة الدُّعوة، امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 258 ورقة، رقمها في الفهرس: 282/م06، وهو عبارة شرح لقصيدة المدنية في مدح مهدي الأمة لابن ونّان المغربي[4].

ـ رسالة في السيرة النبوية، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو باب بن سليمان اشقبقب، تاريخ نسخها حوالي أوائل ق 13هـ/19م، في 15 ورقة، رقمها في الفهرس: 267/حدغ193، تناولت الرسالة كلاما عاما عن الرسالة المحمدية وانتشارها في الأمم القديمة، إضافة إلى مقارنة بين معجزات الرسل والأنبياء مقابل المعجزات التي حبا الله بها الرسول ﷺ[5].

ـ الرسالة الشافية في بعض التواريخ، امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، الناسخ هو باب بن سليمان اشقبقب، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 68 ورقة، رقمها في الفهرس:

---

[1] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 101.

[2] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص، ص 38-39.

[3] ـ نفسه، ص، ص 44-45.

[4] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 104.

[5] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 105.

256/مع/دغ125، الكتاب خاص ببعض تواريخ مزاب وأشجار نسب بعض العائلات، وفيه أيضا ذكر تاريخ الإباضية[1]، وقد ألفها بطلب من الفرنسي "إيميل ماسكري" ليستفيد منها هو وغيره، مثل موتيلانسكي، الذي اهتم هو كذلك بالمذهب الإباضي وتاريخ المنطقة[2].

ـ نظم في السيرة النبوية "شكرا لكل صنيعة وتجلّد"، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، نسخت قبل 1332هـ/1914م، في ثلاثة صفحات، رقمها في الفهرس: 580/دغ73، القصيدة ذكر وفاة الرسول ﷺ[3].

ـ السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو سعيد بن أحمد بن الحاج يحي الباروني النفوسي الجادوي، تاريخ نسخها أوائل ق 14هـ/20م، رقمها في الفهرس: 271/حط21[4].

نظم في السيرة النبوية "سألت الله إجزال النوال"، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، نسخة حديثة، في 4 أوراق، رقمها في الفهرس: 484/مع/دغ204[5].

ـ رد على نقض فرنسا لمعاهدة 1853م، امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو محمد بن باحمد بابا وموسى، نسخة حديثة، في صفحتين، رقمها في الفهرس: 12/105، اشتمل الرد على ثلاثة أقسام: الأول كان في الرد على الأسباب التي تذرعت بها فرنسا لنقض معاهدة 1853م، والقسم الثاني كان ردا على نقض هذه المعاهدة، والقسم الثالث نقل نص وثيقة نقض فرنسا المعاهدة المؤرخة في 1 نوفمبر 1882م[6].

---

[1] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص 93.

[2] ـ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6 (1830-1954م)، المرجع السابق، ص 171.

[3] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص، ص 256-257.

[4] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص، ص 106-107.

[5] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، المرجع السابق، ص، ص 197-198.

[6] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 44.

_ قصيدة في السيرة النبوية "لك الحمد ربي ما أحق وما أحرى"، الحاج امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو قاسم بن أحمد بن داد نون، نسخها أواخر ق 13هـ/19م وأوائل ق 14هـ/20م، في أربع ورقات، رقمها في الفهرس: 969/إ71[1].

_ نظم في الأئمة العشرة وحملة العلم، عمر بن يوسف ونتن (ت: أوائل ق 14هـ/20م)، نسخها حوالي النصف الثاني من ق 13هـ/19م، في ورقة واحدة، عدد أبياتها 12 بيت، رقمها في الفهرس: 510/حدغ120[2].

ثانيا: العلوم الطبيعية والفلسفية

أ/ العلوم الطبيعية:

ومن هذه المؤلفات نذكر:

_ نظم "أقول ابتداء بحمّد الولي"، محمد بن أبي القاسم المصعبي الغرداوي (ت: 1129هـ/1716م)، تاريخ النسخ حوالي النصف الأول من ق 12هـ/18م، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 373/ب 171، القصيدة عبارة عن جواب وجد ملقى في محراب وارجلان، وقد تناول أطوار الإنسان الخلقية، تبدأ بـ: "أقول ابتداء بحمد الولي وشكر العليم الحكيم العلي"[3].

_ تُحفة الجبِّ في أصل الطّبِّ، امحمد بن يوسف اطفيش، في 81 ورقة، رقمها في الفهرس: 119/أ-د2[4]، وقد عرض فيه الشيخ اطفيش وصفات طبية للحالات المرضية التي تصيب الإنسان والحيوان، بحيث ركز في كتابه على الجوانب النفسية والروحية فكان يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما عمد في كثير من الأحيان على التجربة والخبرة التي اكتسبها في حياته اليومية[5].

---

[1]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، المرجع السابق، ص، ص 398-399.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 225.

[3]_ مكتبة الشيخ صالح لعلي: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن يوسف ببانو**، ج2، بني يزقن، غرداية-الجزائر، 2006م، ص 151.

[4]_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 243.

[5]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 120.

_ مسائل في شأن النخلة، الحاج امحمد بن يوسف اطفيش، تاريخ النسخ قبل سنة 1332هـ/1914م، في تسعة أوراق، رقمها في الفهرس: 298/حدغ83، الكتاب مطبوع ضمن مجموع من ستة كتب تحت عنوان: "النخلة في غرس النخلة"[1].

_ كتاب النّخلة في غرس النّخلة، امحمد بن يوسف اطفيش، في أربع أوراق، رقمها في الفهرس: 120/أ-ض3[2]، وفي هذا الكتاب ذكر الشيخ اطفيش جميع أنواع النباتات المثمرة مع ذكر مواسم غرسها وجني ثمارها، وما تحتاج من رعاية، بحيث ركز بشكل أكبر على النخلة باعتبارها عمدة الفلاحة في منطقته، ولفضلها على سائر النباتات الأخرى[3].

_ مختصر في عمارة الأرض، امحمد بن يوسف اطفيش، الناسخ هو إسماعيل بن إبراهيم زرقون، في 41 ورقة، رقمها في الفهرس: 121/أ-ز4[4].

ب/ علم المنطق والفلسفة:

ظهرت بوادي مزاب خلال الفترة المدروسة بعض المؤلفات في علوم المنطق والفلسفة بفضل مجهودات بعض العلماء الذين أثروا هذا الجانب من العلوم بالمنطقة، إلا أنه كان إنتاجا ضئيلا مقارنة بالعلوم الأخرى، ومن هذه المؤلفات نذكر:

---

[1]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 118.

[2]_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 243.

[3]_ عدون جهلان: المرجع السابق، ص 120.

[4]_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 244.

_ "تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين"[1] لشمس الدين أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، عبد العزيز بن إبراهيم الثميني (ت: 1223هـ/1808م)، وهو كتاب في المنطق والحساب والهندسة، قام الشيخ الثميني بشرح القسم الخاص بالمنطق، وسماه القطب بـ "ذو النورين على مرج البحرين"[2].

_ فائدة في الفرق بين العلوم الفعلية والعلوم الانفعالية، عبد العزيز بن الحاج الثميني، تاريخ النسخ قبل سنة 1223هـ/1808م، في صفحتين، رقمها في الفهرس: 30/231، وهذه الفائدة خاصة بالفلسفة[3].

_ عقد الجواهر من بحر القناطر، عبد العزيز بن إبراهيم الثميني، وهو كتاب في الفلسفة والأخلاق، ويعد تلخيص لكتاب "قناطر الخيرات" للشيخ إسماعيل الجيطالي[4].

_ شرح السلم المرونق في علم المنطق، بالحاج بن كاسي القراري (ت: 1243هـ/1827م)[5].

_ حاشية على شرح السلم المنورق في علم المنطق، أيوب بن عبد الله بن أيوب المصعبي (حي في سنة 1274هـ/1857م)، تاريخ النسخ حوالي سنة 1274هـ/1857م، رقمها في الفهرس: 710/ب 93، تقع هذه الحاشية على نسخة من "شرح السلم" لعبد الرحمن الأخضري (ت: 983هـ/1575م)[6].

---

[1]_ نسخة مخطوطة في الخزانة الأولى لمكتبة الاستقامة، الناسخ هو عبد العزيز بن الحاج الثميني (ت: 1223هـ/1808م)، تاريخ النسخ قبل سنة 1187هـ/1774م)، في 36 ورقة، رقمها في الفهرس: 73/216، وكتاب "مرج البحرين" باب في المنطق من كتاب "الدليل لأهل العقول" للوارجلاني، ينظر: مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة**، الخزانة الأولى، المرجع السابق، ص 95.

[2]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 126.

[3]_ مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة**، الخزانة الأولى، المرجع السابق، ص 100.

[4]_ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 127.

[5]_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 59.

[6]_ مكتبة الشيخ صالح لعلي: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن يوسف ببانو**، ج1، المرجع السابق، ص 272.

ـ إيضاح المنطق في بلاد المشرق[1]، امحمد بن يوسف اطفيش، ألفه الشيخ في مكة عندما كان حاجا، وقام بإرساله إلى سلطان زنجبار "سعيد ابن علي الصقري"، بعد عودته من الحج الأول[2].

ـ "شرح سلم الأخضري" و "شرح رسالة الوضع لعضد الدّين الإيجي"، امحمد بن يوسف اطفيش[3].

ـ جواب سؤال عن الجزء والجزئي والجزئية والكل والكلي والكلية، ببعيسى بن محمد بن أحمد (معاصر للقطب الشيخ اطفيش)، الناسخ هو يحي بن صالح باعمارة، تاريخ نسخها أوائل ق 14هـ/20م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 272/دغ02[4]، وهو سؤال خاص بالمنطق.

ثالثا: العلوم الفلكية والرياضية:

إن الإنتاج العلمي في علوم الفلك والحساب بمنطقة وادي مزاب لم تحظى هي أيضا باهتمام كبير من طرف علماء وادي مزاب خلال الفترة المدروسة، فالمؤلفات في هذا المجال كانت ضئيلة، مما يعكس توجه علماء المنطقة إلى العلوم النقلية التي أفردوا لها كامل اهتمامهم مقارنة بالعلوم الأخرى، ويتمثل ذلك جليا في بروز النهضة الإصلاحية في المجال الديني والاجتماعي، إلا أنه كانت هناك بعض المؤلفات القيمة في هذا المجال، نذكر منها:

ـ أبواب وفصول في الفلك والميقات، الجامع "محمد بن أبي القاسم بن يحي المصعبي الغرداوي" (ت: 1129هـ/1716م)، تاريخ نسخها حوالي النصف الثاني من ق 11هـ/17م، في خمسة أوراق، رقمها في الفهرس: 209/بابكر 54، اشتمل الكتاب على: معرفة صداقة البروج وعداوتها، صورة دائرة الفلك وكيفية استدارته، وقسمة المنازل على البروج وعرفة الليل وساعاته، ومعرفة الطال والغارب والمتوسط من

---

[1] ـ نسخة مخطوطة في الخزانة الأولى لمكتبة الاستقامة، الناسخ هو امحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ/1914م)، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في 239 صفحة، رقمها في الفهرس: 18/212، جاء في الصفحة الأولى ما يلي: "إيضاح المنطق في بلاد المشرق، ألفته في مكة، ولعلماء مكة تطاول فيه، وذلك في عهد الشيوخ الشافعيين دحلان ومحمد حسبي الله رحمة، والشيوخ الحنفيين عجما وعربا، فمن العجم التركيين الشيخ محمد حقي بن علي بن إبراهيم مؤلف "حزب الأبرار وحصن الأخيار"، وكلهم محبون لي ولأموري، ينظر: مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة**، الخزانة الأولى، المرجع السابق، ص 93.

[2] ـ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 222.

[3] ـ نفسه، ص 222.

[4] ـ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 125.

الليل والنهار، صفة الأفلاك العشرة، باب طلوع الفجر، فصل في القول على حروف الشهور، فصل في نظائر البروج[1].

_ تفكيك الرموز الفلكية في استخراج الكنوز الكواكبيّة وغيره، أحمد بن داود بن أمّ موسى بن أفقيه داود الوارجلاني (عاش خلال القرن 12هـ/18م)، كتبها سنة 1160هـ/1747م، عندما كان في جزيرة جربة[2].

_ فائدة في معرفة الكواكب السيّارة، الجامع "يحي بن صالح أبو زكرياء المصعبي (ت: 1202هـ/1788م)، تاريخ نسخها قبل سنة 1202هـ/1788م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 214/بابكر 74[3].

_ شرح اللمع في علم الحساب، الجامع "إبراهيم بن داد" (حي سنة 1205هـ/1790م)، تاريخ نسخها حوالي سنة 1205هـ/1790م، في تسعة أوراق، رقمها في الفهرس: 211/بابكر 14[4].

_ حاشية فك الرموز الفلكية في استخراج الكنوز الكواكبية، عبد العزيز بن الحاج الثميني، تاريخ نسخها قبل سنة 1223هـ/1808م، رقمها في الفهرس: 69/263، تقع الحاشية بهامش كتاب "فك الرموز الفلكية في استخراج الكنوز الكوكبية" لمحمد بن عمرو المدعو بـ "أمغار"[5].

_ نظم "مدخل ينير إذا أردته، عبد العزيز بن الحاج الثميني، تاريخ نسخها بعد سنة 1186هـ/1773م وقبل سنة 1223هـ/1808م، في صفحة واحدة، تضم خمسة أبيات، رقمها في الفهرس: 26/508، وأبيات هذه المنظومة في معرفة دخول يناير، تبدأ بـ:

"مدخل ينير إذا أردته فأسقطن قافا وشيئا بعده"[6].

---

[1] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي**، المرجع السابق، ص 98.

[2] _ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 56.

[3] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي**، المرجع السابق، ص 100.

[4] _ نفسه، ص، ص 98-99.

[5] _ مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة**، الخزانة الأولى، المرجع السابق، ص 114.

[6] _ نفسه، ص 246.

_ نظم "وإن ترد جمعا على النّوال"، عبد العزيز بن الحاج الثميني، الناسخ هو إبراهيم بن بحمان، تاريخ نسخها قبل سنة 1223هـ/1808م، في ورقة واحدة، تضم 30 بيتا، رقمها في الفهرس: 512/دغ37، والمنظومة في الحساب (الجمع على توالي الأعداد، وتوالي مربعاته، وتوالي مكعباته)، وتبدأ بـ: "وإن ترد جمعا على التوالي توالي الأعداد وهو عال"[1].

_ نظم "ألا ناظم في العقد در الثواقب، عبد العزيز بن إبراهيم الثميني، الناسخ هو أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، تاريخ نسخها أوائل ق 14هـ/20م، في ورقة واحدة، تضم 18 بيتا، رقمها في الفهرس: 502/دغ68، تبدأ بـ: "ألا ناظم في العقد در الثواقب يقول ويجلي سائرات الكواكب"[2].

_ نظم فصل في الميقات، عمر بن يوسف ونتن المصعبي اليسجني (ت: أوائل ق 14هـ/20م)، تاريخ نسخها حوالي النصف الثاني من ق 13هـ/19م، في ورقتين، رقمها في الفهرس: 409/حدغ120، تبدأ بـ: "أيا سائلي يبغي العلوم ويطلب قواعد في استخراج ما كان يجهل"[3].

_ "مطلع المـُلك في فن الفُلك" أو "مسلك الفَلك"[4] أو "الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية"، امحمد بن يوسف اطفيش، وهو شرح لرسالة الربع المـُجَيَّب لبسط الماردينى[5].

---

[1] _ مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة**، الخزانة الأولى، المرجع السابق، ص 247.

[2] _ نفسه، ص 244.

[3] _ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا وموسى**، المرجع السابق، ص 190.

[4] _ نسخة مخطوطة في خزانة القطب، تاريخ نسخها حوالي سنة 1311هـ/1893م، في 132 ورقة، رقمها في الفهرس: 122/أ-ض1، والكتاب يعد شرح لرسالة سبط الماردينى في "الربع المجيَّب"، والمسماة بـ "الرسالة الفتحيّة في الأعمال الجيبيّة"، ينظر: مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، المرجع السابق، ص 244.

[5] _ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 222.

_ شرح كشف الأسرار عن حروف الغبار[1]، الحاج امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو عيسى بن إبراهيم، تاريخ نسخها أوائل ق 14هـ/20م، في عشرة أوراق، رقمها في الفهرس: 352/د. غ214[2].

_ جواب القطب اطفيش عن مسألة في الفلك، امحمد بن الحاج يوسف اطفيش، الناسخ هو حمو بن باحمد بابا وموسى، تاريخ نسخها قبل سنة 1332هـ/1914م، في صفحة واحدة، رقمها في الفهرس: 12/337، تناول الجواب مسألة تحديد الجهات الأربع ومهبّ الرياح الأربع[3].

من خلال ما سبق من المؤلفات نلاحظ أن إنتاج علماء بني مزاب في العلوم العقلية بمنطقة وادي مزاب لم يرق إلى مستوى الإنتاج العلمي والفكري الذي ميز العلوم النقلية، فأغلب هذه المؤلفات عبارة عن شروح وحواشي وتعاليق هامة وقيمة لكتابات الأعلام الكبار تنم على تمكنهم في مثل هذه العلوم، ومن هؤلاء الأعلام نذكر: شمس الدين أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، عبد الرحمن الأخضري، بسط المارديني، عضد الدّين الإيجي وغيرهم، وهو ما جعل هذه المؤلفات تمتاز عادة بالتكرار واستنساخ بعضه بعضا وعدم الإتيان بجديد إلا نادرا، ولعل من بين أهم العوامل التي أدت إلى عدم الاهتمام الكبير بمثل هذه العلوم العقلية، انشغالهم بحركة الإصلاح الدينية تجاه المجتمع، مما جعل العلوم النقلية تحظى بالاهتمام الوافر من طرف علماء بني مزاب، وعزوف أغلبية الطلبة عن الخوض في مثل هذه العلوم التي تتطلب

---

[1]_ نسخة مخطوطة في الخزانة الأولى لمكتبة الاستقامة، وهذا الكتاب لعلي بن محمد بن علي القلصادي (ت: 891هـ/1487م)، تاريخ النسخ سنة 1283هـ/1868م، في 4 أجزاء، وعدد الصفحات 473 صفحة، رقمها في الفهرس: 09/266، وفي هذا الكتاب تطرق المؤلف الشيخ اطفيش إلى التعريف ببلد القلصادي ومدنها ومعالمها، والتي هي الأندلس، حيث لم يشرع في تفاصيل مضمون الكتاب إلا بعد الصفحة 25، كما أرفق نص الكتاب بأشكال وجداول توضيحية، أما عن المضمون فقد اشتمل المؤلَّف على ديباجة المؤلِّف، ثم شرح مقدمة القلصادي، ثم تطرق إلى ذكر مختلف المسائل المتعلقة بالجبر والحساب (العدد الصحيح، الكسور، الجذور، استخراج المجهولات)، ينظر: مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة، الخزانة الأولى**، المرجع السابق، ص 93، وتوجد نسخة في مكتبة الشيخ صالح لعلي، نسخها كل من يحي بن الحاج سعيد ونتن وعيسى بن إبراهيم بن عيسى الغرداوي، تاريخ النسخ قبل سنة 1332هـ/1914م، في 735 ورقة، رقمها في الفهرس: 731/ب241، على النسخة زيادات بخط الشارح، انتهى المؤلف من شرح هذا الكتاب في 21 رمضان 1283هـ/1868م، ينظر: 0مكتبة الشيخ صالح لعلي: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن يوسف ببانو**، ج1، المرجع السابق، ص 281.

[2]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، المرجع السابق، ص 127.

[3]_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، المرجع السابق، ص 154.

ملكة عقلية قوية، ولميلهم الكبير لتلقي العلوم الشرعية التي كانت رائدة في تلك الفترة، إلا أنه ورغم ذلك فقد ترك لنا العلماء تراثا معتبرا في العلوم العقلية سواء في العلوم الطبيعية واختلفت المؤلفات في هذا الجانب بين الزراعة والطب التقليدي، بالإضافة إلى علوم المنطق والفلسفة التي تطرقت إلى المنطق والحساب والهندسة، كذلك إلى الفلسفة والأخلاق، كما ألفوا في العلوم الفلكية والرياضية التي درسوا فيها الظواهر الفلكية المختلفة، لذلك نحن نرى أن هذه المؤلفات قد ساهمت في تطوير الحركة العلمية بوادي مزاب، وتغيير نظرة الناس لمثل هذه العلوم، والتي ستلقى اهتماما واسعا في الفترات اللاحقة خاصة مع تقدم العلوم وتطورها.

خلاصة الفصل:

ـ تنوعت العلوم النقلية بمنطقة وادي مزاب ما بين: القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، العقيدة، الفقه، وعلوم اللغة العربية، حيث برزت العديد من المؤلفات في هذا الجانب، وبصفة خاصة تم التركيز على الدراسات والقضايا المتعلقة بالمذهب الإباضي، وآراء وكتابات العلماء الإباضيين، باعتباره المذهب الرسمي بالمنطقة.

ـ تنوع مواضيع العلوم النقلية التي عالجت مختلف المواضيع المتعلقة بالشريعة الإسلامية، ومحاولة تكييفها مع الواقع المعاش، من خلال مجهودات العلماء الإباضيين، الذين استطاعوا بفضل كتاباتهم وتوجيهاتهم في المجال الديني، من لم شمل الأمة المزابية الإباضية، وترسيخ الهوية الإباضية في صفوف المجتمع المزابي.

ـ بروز العديد من العلماء المزابيين في الفترة الحديثة، الذين ساهموا في إثراء المنطقة بمؤلفاتهم الكثيرة والقيمة في مجال العلوم النقلية، ومن هؤلاء نذكر: إبراهيم بن بيحمان، محمد بن سليمان ابن ادريسو، محمد بن أبي القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي، أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي، أبو زكرياء يحي بن صالح المصعبي، عبد العزيز الثميني، امحمد بن يوسف اطفيش (قطب الأئمة)، وغيرهم.

ـ اهتم علماء وادي مزاب في الفترة الحديثة بالعلوم العقلية كذلك وتنوعت ما بين التاريخ والجغرافيا، الفلسفة والمنطق، العلوم الرياضية والفلكية، العلوم الطبيعية، فقد أبدعوا في طرح القضايا العصرية في شتى المواضيع، وفي مختلف التخصصات الفكرية، غير أن إنتاجها ضئيل مقارنة بالعلوم النقلية، ومردُّ ذلك إلى اشتغال العلماء بشكل أكبر بالجانب النقلي، الذي كان رائدا آنذاك.

ـ جودة الإنتاج العلمي والفكري في العلوم العقلية، ورغم قلتها من ناحية الكم إلا أنها حاولت أن تأتي بالجديد، وتحاكي العصرنة التي وصلت إليها العلوم في تلك الفترة، فقد ساهمت في تغيير نظرة الأمة المزابية نحو هذه العلوم، وتطوير الحياة العلمية بالوادي، وتحقيق نهضة علمية وفكرية رائدة.

ـ الاهتمام الكبير الذي حظي به علم التاريخ والجغرافيا من طرف العلماء المزابيين، مقارنة بالعلوم العقلية الأخرى، وهذا راجع إلى ميولهم لهذا العلم، ورغبتهم في تدوين وتسجيل الأحداث الهامة المحيطة بهم، لما لها من أثر في حفظ تاريخ الأمة وحضارتها.

ـ قلة الإنتاج الفكري بخصوص العلوم الطبيعية والرياضية، ومردُّ ذلك إلى اشتغال العلماء المزابيين بالنهضة الدينية والإصلاحية وتكوين الأجيال ونشر العلم بوادي مزاب، فانقطعوا للتأليف في مختلف الفنون النقلية كالعقيدة والفقه وعلوم الشريعة قصد المحافظة على التراث الإباضي ومسايرة التطورات الحاصلة.

ـ اعتماد علماء وادي مزاب في هذه الفترة على أنفسهم من خلال الانتقال من عنصر مستهلك إلى عنصر فعال ومنتج في مجال العلوم العقلية، فقد خلفوا ورائهم تراثا علميا معتبرا من خلال عملية التأليف والنسخ، مما ساهم في مواكبة ومسايرة التطورات الحاصلة في مجال العلوم الحديثة، ومن بين أهم العلماء الذين تركوا مؤلفات قيمة في ميدان العلوم العقلية نذكر: باسّ بن موسى الوارجلاني، عمر بن أبي القاسم بن الحاج المصعبي الغرداوي، محمد بن أبي القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي، أبو زكرياء يحي بن صالح المصعبي، عبد العزيز الثميني، امحمد بن يوسف اطفيش (قطب الأئمة)، وغيرهم.

خاتـــمـــــــة

من خلال دراستنا لموضوع "الحياة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين، استخلصت عدة نتائج هي:

ـ إن منطقة وادي مزاب منطقة صحراوية بامتياز تقع جنوب الجزائر، فهي كانت في بدايتها أرض قاحلة لا نبات فيها ولا عمران، فقدم إليها الأجداد الميزابيين الأوائل فتحدوا الصعاب رغم الظروف القاسية التي تميز طبيعتها، فأنشأوا واحة بديعة بإمكانياتهم البسيطة في وسط الصحراء قلما تجد لها مثيل، بهندستها الفريدة التي تشهد على براعة الإنسان الذي عمرها.

ـ منطقة وادي مزاب يرجع تاريخ وجودها إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث شهدت مختلف الفترات التاريخية، وهذا ما يفسر وجود مخلفات الإنسان القديم من رسومات صخرية، ومعالم جنائزية وصناعات ونقوش حجرية منتشرة على ضفاف المنطقة، تثبت وجود حضارة إنسانية قديمة.

ـ شهدت المنطقة في بدايات الفترة الإسلامية وصول المذهب المعتزلي، حيث استوطنوا المنطقة وشيدوا قصورا وقرى صغيرة على ضفاف الوادي، التي اندثرت كلها ولم يبق منها سوى بعض الأطلال.

ـ الدور الكبير الذي قام به الشيخ الداعية أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي في تحويل مذهب المنطقة من مذهب الاعتزال إلى المذهب الإباضي، خاصة بعد مؤتمر أريغ سنة 420هـ/1029م، الذي سعى في البحث عن مكان آمن لاستقرار الإباضية، لتوحيد الصفوف والحفاظ على المذهب من الأعداء، فاستقر بهم الأمر بالنزول بمنطقة وادي مزاب.

ـ دور حلقة العزابة في تربية المجتمع المزابي وتعليمهم أمور دينهم، وحمايتهم من الجهل والأمية والضلال، وإليها يرجع حفظ المجتمع من الانحرافات، من خلال العناية التامة بواجب إرشاد الناس وتقديم النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبث الأخلاق الحميدة والعقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوسهم، وذلك بجعل المساجد مراكز دعوية يتم فيها تنظيم حلقات تعليمية لمختلف شرائح المجتمع، إذن فدور حلقة العزابة في التربية والتعليم كان كبيرا، حيث أدركوا أهمية التربية والتعليم في تنشئة الأجيال المسلمة عقيدة وعملا وسلوكا، ونلتمس ذلك جليا في إقبال الناس على تلقي العلوم، وبذلك قلة نسبة الأمية في أوساط المجتمع المزابي، فالحلقة أصبحت محركا حقيقيا للحركة العلمية والفكرية في وادي مزاب.

ـ تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية في وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين بحيث شهدت المنطقة ازدهارا ورقيا حضاريا، بفضل مجهودات الرجال الذين ضحوا بأنفسهم رغم قلة

الإمكانيات والوسائل، في سبيل تحقيق عيشة كريمة، من خلال تذليل الصعاب وتسخير الإمكانيات والوسائل المتاحة لتوسيع الإنتاج وتحقيق مبدأ الاكتفاء الذاتي.

ـ مساهمة الهيئات الاجتماعية (الأسرة والعشيرة ومجلس الأعيان ومجلس عمي سعيد وغيرها)، في رقي الحياة الاجتماعية بالمنطقة، والمحافظة على كيان المجتمع الميزابي ومقوماته، وتطوير النشاط العلمي والثقافي وسيرورة العمل الاجتماعي.

ـ بروز نهضة علمية وفكرية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين بفضل علماء أجلاء أمثال: محمد بن أبي القاسم بن يحي الغرداوي المصعبي، أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي، أبو زكرياء يحي بن صالح، عبد العزيز بن الحاج الثميني، امحمد بن يوسف اطفيش، الذين سبلوا جهودهم ونفوسهم في سبيل إحياء العلم ومحاربة الجهل والأمية بالمنطقة، وكان لهم بالغ الأثر في دفع الحركة الثقافية وتنميتها بما يضمن لها الاستمرار، بحيث عرفت نهضة وانتعاشا كبيرا تركت بصمات جلية في مختلف نواحي الحياة للمجتمع الميزابي، وكانت هذه النهضة استمرار لمجهودات المشائخ في القرون السابقة، وبذلك أنجبت المنطقة علماء أجلاء أناروا المغرب والعالم الإسلامي بعلمهم ومؤلفاتهم القيمة، وسجلوا بأعمالهم الجليلة تاريخا ناصعا.

ـ بفضل مجهودات الأعلام المزابيين في الميدان العلمي والثقافي، أصبح بني مزاب في الفترة المدروسة يعتمدون على أنفسهم، بحيث انتقلوا من عنصر مستهلك، إلى عنصر فعال ومنتج في مختلف العلوم والفنون، ونلمس ذلك جليا في كمية الإنجازات والمؤلفات القيمة التي خلفّوها للأجيال من ورائهم، فقد تخرج العديد من العلماء الذين حملوا مشعل نهضة الأمة المزابية، وأخذوا على عاتقهم تأصيل الحياة العلمية والفكرية بالمنطقة، مخلفين ورائهم تراثا عظيما من الإنجازات الفريدة في مختلف المجالات تركت بصمات جلية في مختلف نواحي الحياة للمجتمع الميزابي، وأضحت بذلك وادي مزاب حاضرة علمية رائدة ومركز إشعاع يستقطب العلماء والطلبة من مختلف الربوع للاستزادة من العلم وتبادل الأفكار.

ـ لقد ساهم بني مزاب في بناء المؤسسات الثقافية المتمثلة في "المساجد، المحاضر والمدارس، المكتبات" التي كانت في معظمها تابعة للمسجد وتحت إشراف حلقة العزابة، مما يوحي إلى المهمة العظيمة التي تؤذيها تلك المؤسسات من تكوين الأجيال ومحاربة الجهل والأمية، والأهم من ذلك دورها في رص الصفوف وتوحيد الكلمة وتقويم سلوك الأفراد والجماعات، فساهمت هذه المؤسسات بشكل كبير في

تعليم وتثقيف المجتمع المزابي وتكوين نخب وعلماء أجلاء تخرجوا منها، فساهموا في تنوير المنطقة ونشر العلم، وتحقيق النهضة والإشعاع العلمي والفكري في ربوع الوادي.

_ لقد حقق النظام التربوي والتعليمي المنتهج في وادي مزاب خلال الفترة الحديثة، قفزة نوعية من خلال البرامج والمناهج المتبعة في سبيل تحسين التحصيل العلمي، وضمان نشر العلم بأبسط الطرق، وتثقيف مختلف طبقات المجتمع، كما تم استحداث هيئة خاصة تحت إشراف حلقة العزابة مهمتها السهر على السير الحسن للنظام التربوي التعليمي في مدارس وادي مزاب، والإشراف على حلقات العلم، بالإضافة إلى استحداث هيئة التلاميذ (إروان) التي تعد استمرارا ومشتلة لحلقة العزابة.

_ لقد كانت الحياة العلمية والفكرية بوادي مزاب في الفترة الحديثة رائدة ومزدهرة، ودليل ذلك الانتشار الواسع لحرك التأليف ونسخ المخطوطات الهامة خلال هذه الفترة من طرف علماء ونساخ مزابيين ساهموا في إثراء المكتبات المزابية بهذه المنسوخات الثمينة، بالإضافة إلى كونها مساهمة في تعريف المجتمعات الأخرى والأجيال اللاحقة بالمنطقة والمذهب الإباضي، ومحاولة منهم في الحفاظ على الموروث الثقافي والفكري الذي وصل إليه علماء وادي مزاب خلال هذه الفترة.

_ اهتم علماء وادي مزاب في الفترة الحديثة بالعلوم النقلية والعقلية بشكل واسع، فشكلت بذلك نهضة علمية وفكرية رائدة بالمنطقة، شهد لها الجميع في الداخل والخارج، فالعلوم النقلية تنوعت ما بين القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، العقيدة والفقه، وعلوم اللغة العربية، وكان الإنتاج العلمي في هذا الميدان كبيرا نظرا لاشتغال علماء ذلك العصر بالعلوم الشرعية، لدورها في إعداد جيل رباني متمسّك بعقيدته وأصوله، وتم التركيز بصفة خاصة على الدراسات والقضايا المتعلقة بالمذهب الإباضي، باعتباره المذهب الرسمي بالمنطقة، بينما العلوم العقلية فتنوعت ما بين التاريخ والجغرافيا، الفلسفة والمنطق، العلوم الرياضية والفلكية، العلوم الطبيعية، فهذه العلوم العقلية رغم قلتها من ناحية الكم في وادي مزاب خلال الفترة الحديثة، إلا أن علماء بني ساهموا في إعطاء بسطة وصورة لها، وتعريف الناس بهذه العلوم، وتعد بذلك رسالة للمجتمع بضرورة الاهتمام بكافة العلوم على اختلاف مضانها وفنونها، لتحقيق التوازن العلمي، والاستفادة من كل العلوم.

_ نجاح أعلام وادي مزاب إلى حد بعيد في تطوير الحياة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب خلال الفترة الحديثة، من خلال عملية الإصلاح وتثقيف المجتمع ونشر العلم وتشجيع الناس على تلقيه، وبذلك قلة نسبة الأمية، وأضحت المنطقة حاضرة علمية رائدة وجلبت أنظار العلماء والطلبة من مختلف

الربوع، وكان لهذا التطور العلمي دور في التعريف بالمنطقة وبروزها كأهم الحواضر العلمية في الفترة الحديثة.

الملاحق

الملحق رقم 01: موقع مدينة غرداية في خريطة الجزائر

يحي بن عيسى بوراس: **العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، نموذج قصر بني يزقن**، المرجع السابق، ص 153.

الملحق رقم 02: شبكة الأخاديد والوديان في منطقة وادي مزاب

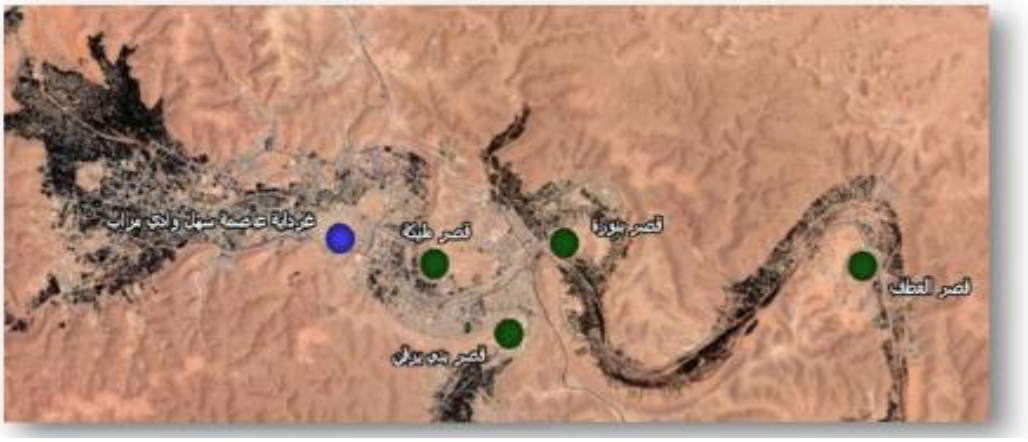

قزريط سليمان: **المنشآت الدفاعية بقصر بنورة (منطقة وادي مزاب) دراسة أثرية**، المرجع السابق، ص 88.

الملحق رقم 03: مواقع المدن الخمس بالنسبة لوادي مزاب

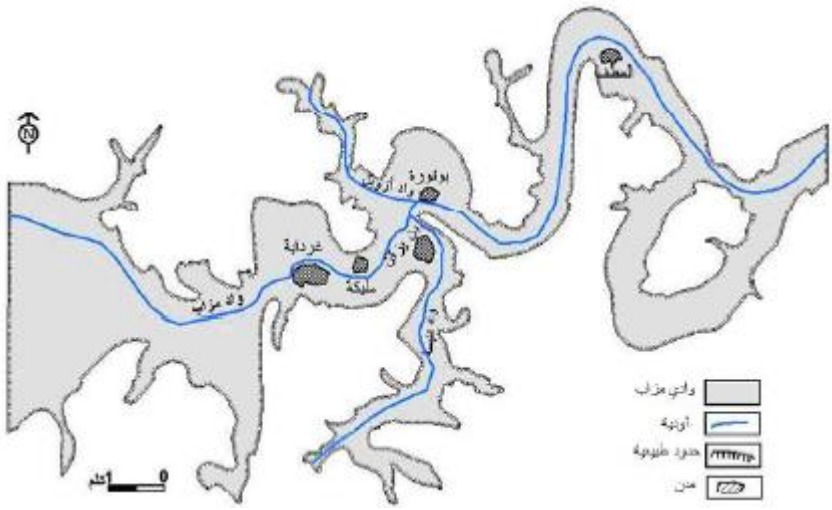

عمر بن محمد زعابة: **آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في وادي مزاب**، المرجع السابق، ص 283.

الملحق رقم 04: خريطة توضح شبكة وادي مزاب، والأودية التي تخترقها

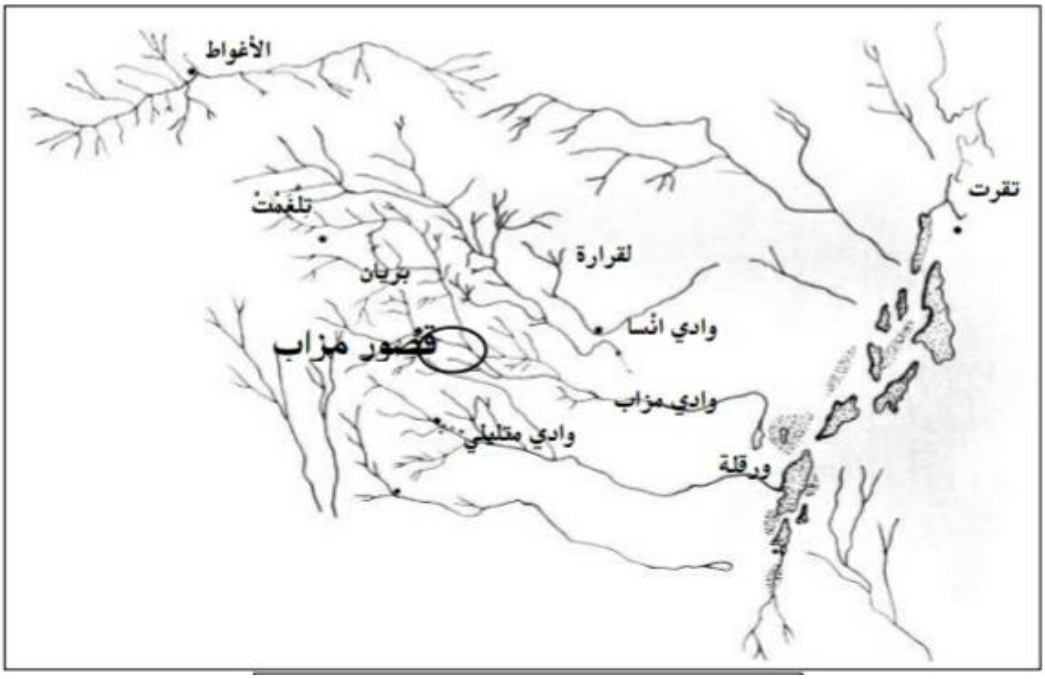

الملحق رقم 05: مدن وادي مزاب الخمسة الواقعة على ضفاف وادي مزاب

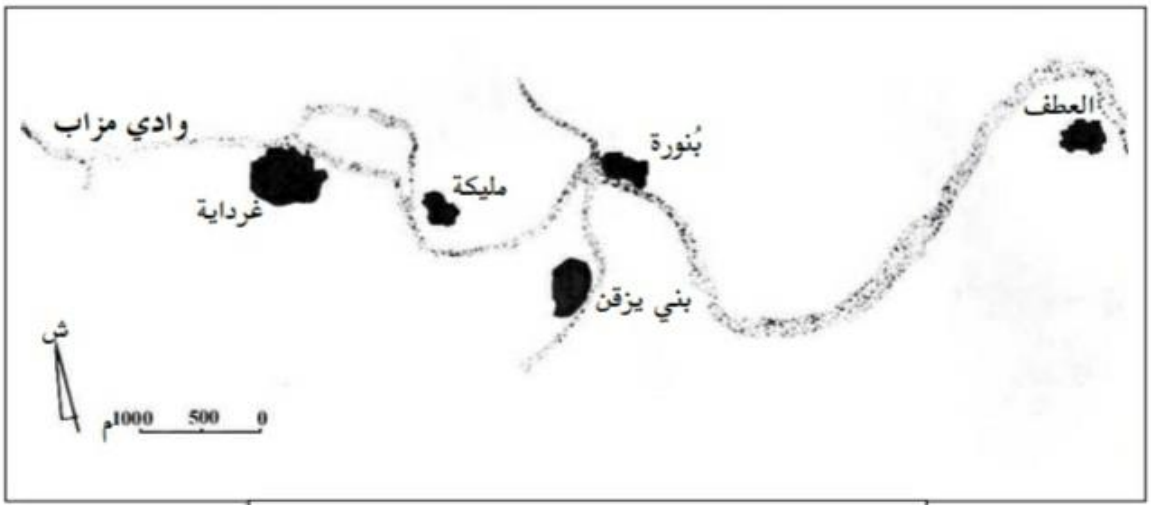

يحي بن عيسى بوراس: **العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، نموذج قصر بني يزقن**، المرجع السابق، ص، ص 153-154.

الملحق رقم 06: شرح المقدمة الأجرومية، للشيخ أبي القاسم بن يحي الغرداوي

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
قال الشيخ العالم العلامة البحر الفهامة عمنا ابو
القاسم ابن يحي بن ابي القاسم المصعبي الغرداوي
مسكنا الاباضي مذهبا في شرح الاجرومية
الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان وفضله
على سائر الحيوان وجعل له العقل يميز بين الزمان
والمكان وجعل له اللسان يعرب عما يضمر في الجنان
والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين المبعوث
الى الثقلين اجمعين محمد خاتم النبيين والمرسلين
وعلى اله الطاهرين واصحابه الكميين والتابعين
وتابع التابعين وكل من تبعهم الى يوم الدين صلاة
وسلاما دائمين بدوام السماوات والارضين اما بعد
فقد سولت لي نفسي مع قلة علمي وضعف فهمي
ان اضع شرحا على المقدمة الاجرومية في علم
العربية ليستفيد به الطالب المبتدئ والاجر ينتظر
فيه احد من العلماء المحققين المنتهين لاني لم اكن
عالما ولا امة عيا للعلم ولكن اتيت بمجهود وقدر طاقتي
واسئل الله العون والتوفيق والعصمة من الخطاء والزلل
انه ولي المتقين عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل
الكلام

الملحق رقم 07: صفحة من كتاب "قواعد الإسلام" للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ)، النسخة بخط: داود بن عمر بن عبد العزيز الغرداوي، مؤرخة في 7 ذي الحجة 1132هـ/1720م

الملحق رقم 08: كتاب "المطلع" في المنطق للشيخ أبي يحي زكرياء بن محمد الأنصاري (ت: 926هـ)، نسخه باس بن آمّ موسى بن داود الوارجلاني بتاريخ 8 جمادى 1139هـ/1727م

مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ باسه بن آم موسى الوارجلاني.**

الملحق رقم 09: حاشية أبي ستة على كتاب القواعد الجيطالي، نسخة بخط الشيخ أبي بكر بن يوسف بن أبي بكر الغرداوي، ومؤرخة في 17 شوال 1187هـ/ 1 جانفي 1774م

مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**

الملحق رقم 10: "التاج المنظوم من درر المنهاج المعلوم" للشيخ عبد العزيز بن الحاج الثميني اليسجني (ت: 1223هـ/1808م)

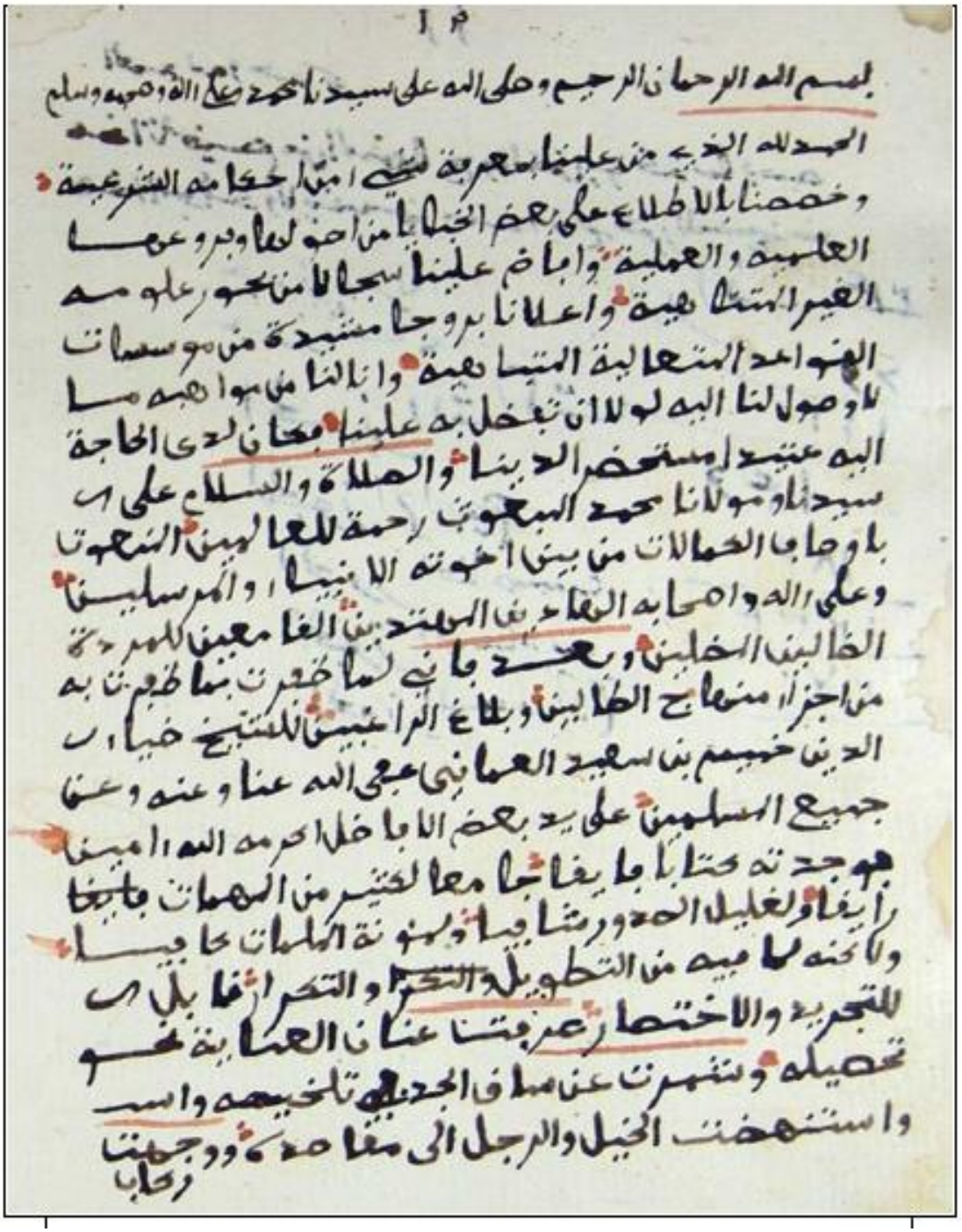

إبراهيم زدك: **الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م**، المرجع السابق، ص 397.

الملحق رقم 11: المعدن المصون على سورة الكنز المدفون وهو تفسير لسورة الفاتحة، للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن اليسجني (ت: 1232هـ/1817م)

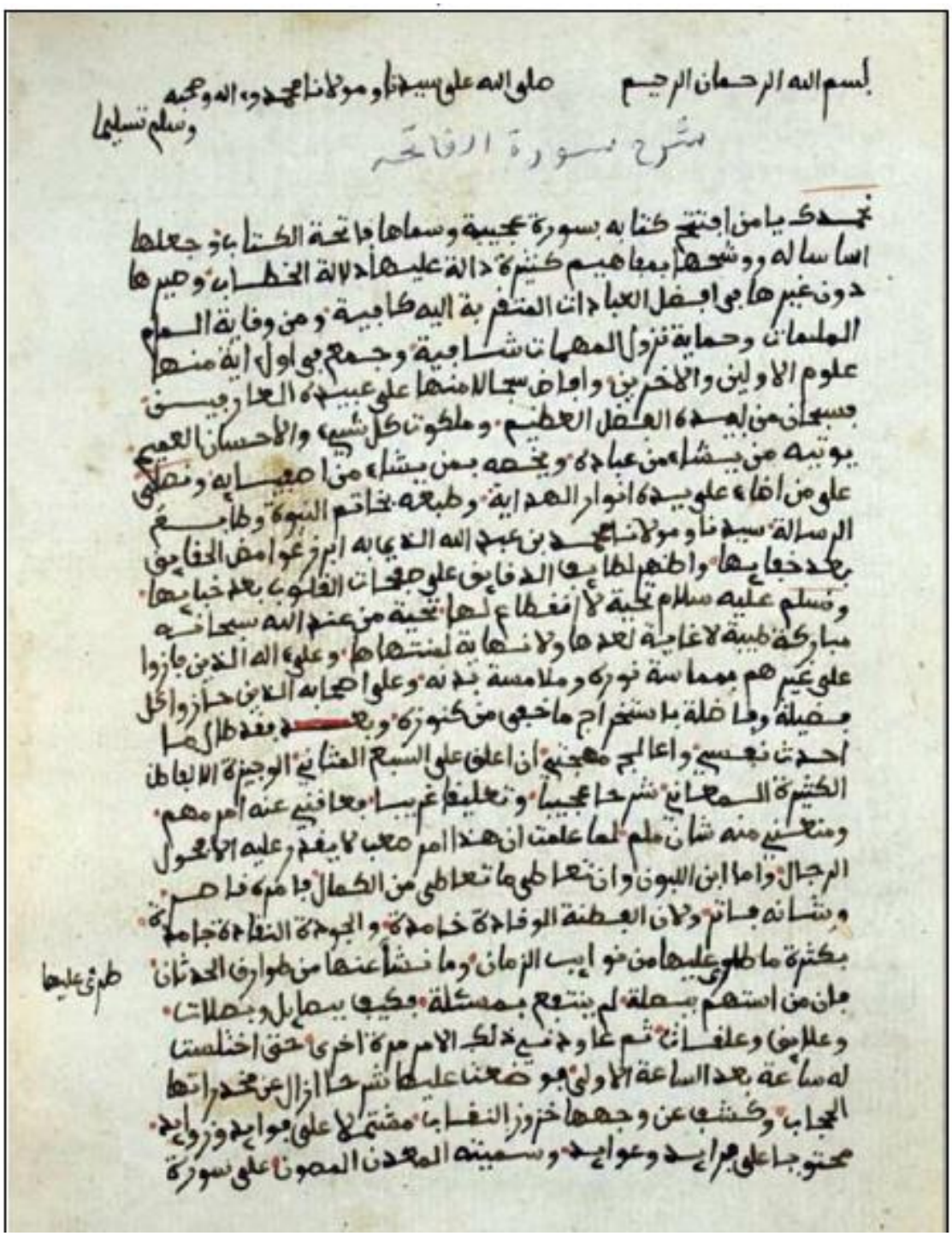

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

شرح سورة الفاتحة

نحمدك يا من افتتح كتابه بسورة عجيبة وسماها فاتحة الكتاب وجعلها اساسا له ووشحها بمعاهيم كثيرة دالة عليها دلالة الخطاب وحيرها دون غيرها من افضل العبادات المتقربة اليه كافية ومن وفاية السلام المسلمان وحماية نزول المهمات شافية وجمع في اول اية منها علوم الاولين والاخرين واوضح سبحانه منها على عبيده العارفين بسبحان من ليده الفضل العظيم وملكوت كل شيء والاحسان العميم يوتيه من يشاء من عباده ويخصه بمن يشاء من اصفيائه ونصلي على من اضاء علوم يده انوار الهداية وطبعه بخاتم النبوة وطابع الرسالة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي به ابرز غوامض الخفايق بعد خفايها واظهر لطايف الدقايق على صفحات القلوب بعد خبايها وسلم عليه سلام تحية لا انقطاع لها تحية من عند الله سبحانه مباركة طيبة لا غاية لعدها ولا نهاية لمنتهاها وعلى اله الذين فازوا على غيرهم بمماسة نوره وملامسة بدنه وعلى اصحابه الذين حازوا كل فضيلة وفاقوا باستخراج ما خبئ من كنوزه وبعد فقد طال لها احدث نفسي واعالج مهجتي ان اعلق على السبع المثاني الوجيزة الالفاظ الكثيرة المعاني شرحا عجيبا وتعليقا غريبا يعافني عنه امرهم ومنعني منه شان ملم لما علمت ان هذا امر صعب لا يقوم عليه الا محول الرجال واما ابن اللبون وان تعاطى ما تعاطى من الكمال فامره فاصر وشانه فاتر ولان العطنة الوفادة خامدة والجوة النقادة جامدة بكثرة ما طرق عليها من نوايب الزمان وما نشأ عنها من طوارق الحدثان طرق عليها فان من استهم بسهلة لم يتتبع بمسئلة وكيف بسهل وبصلات وعلايق وعلقات ثم عاودني ذلك الامر مرة اخرى حتى اخلست له ساعة بعد الساعة الاولى فوضعت عليها شرحا ازال عن محدراتها الحجاب وكشف عن وجهها خمر النقاب مشتملا على فوايد وزوايد محتويا على فرايد وغوايد وسميته المعدن المصون على سورة

الملحق رقم 12: كتاب "شرح الأجرومية" للشيخ داود ابن إبراهيم التلاتي الجربي (ت: 967هـ)، نسخه موسى بن محمد الوارجلاني في أواخر القرن 13هـ/19م

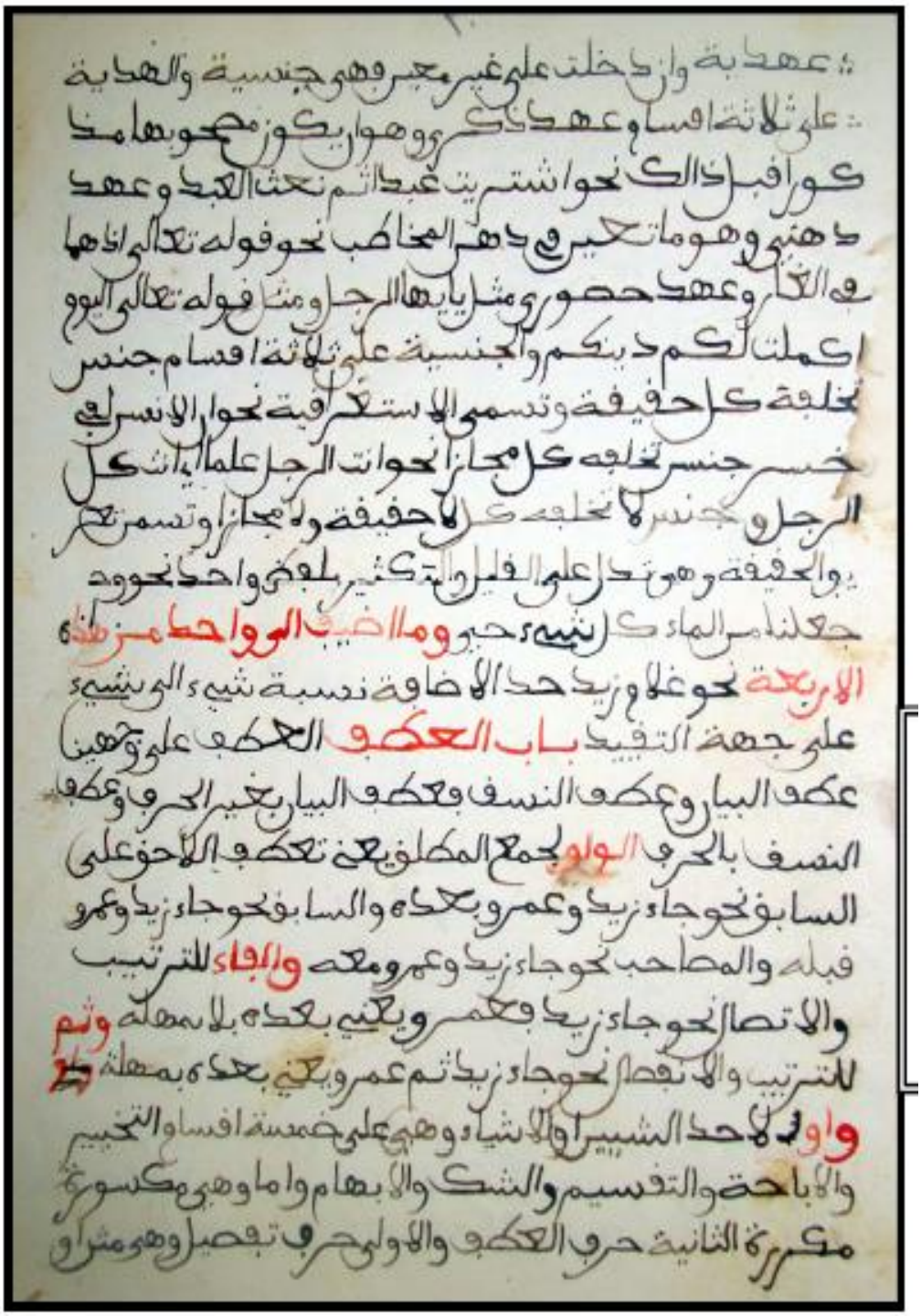

مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ باسه بن آم موسى الوارجلاني.**

الملحق رقم 13: كتاب المعلقات للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ/1914م)، النسخة بخط: قاسم بن صالح بن قاسم، مؤرخة في 2 شعبان 1294هـ/1879م

مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانتين بنوح بن أحمد مصباح، صالح بن حمو بابهون**

الملحق رقم 14: الرسالة الشافية في بعض توريخ بني مزاب للشيخ امحمد بن يوسف اطفيش

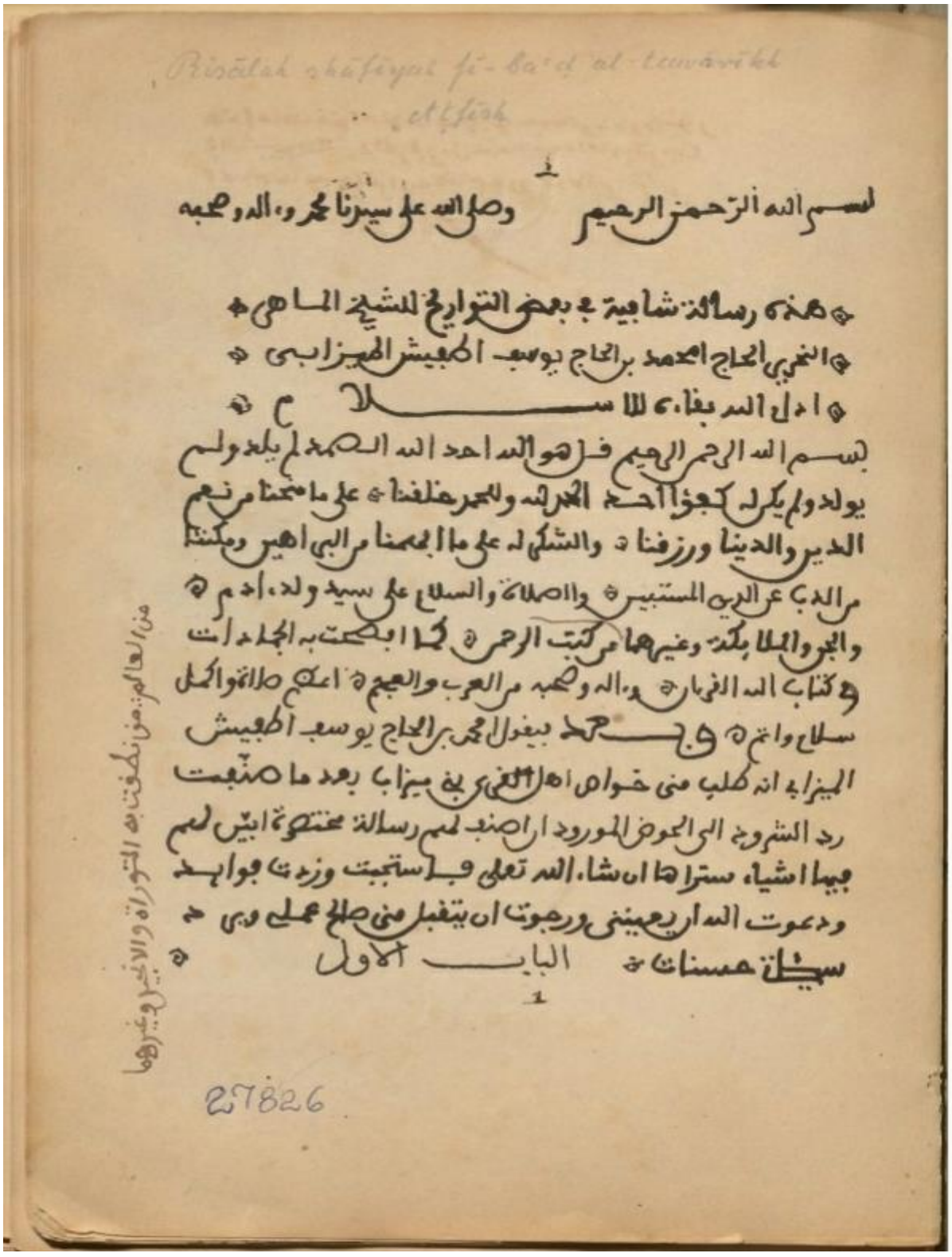

امحمد بن يوسف اطفيش: **رسالة شافية في بعض التواريخ**، مخطوط، معهد الدراسات الإسلامية، تحت رقم: C831،A864 R ، المصدر السابق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية.

1_ المخطوط:

_ اطفيش امحمد بن يوسف: **رسالة شافية في بعض التواريخ**، مخطوط، معهد الدراسات الإسلامية، تحت رقم: C831،A864 R ، بـ.د.ن، د.م.ط، د.ت.

2_ المصادر:

_ الأغواطي الحاج ابن الدين: **رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

_ الدرجيني أبو العباس بن أحمد بن سعيد: **طبقات المشائخ بالمغرب**، ج1، تح: إبراهيم طلاي، بـ.د.ن، د.م، د.ت.

_ الوزان الحسن بن محمد: **وصف إفريقيا**، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

_ ضياء الدين عبد العزيز الثميني: **كتاب النيل وشفاء العليل**، تع: عبد الرحمن بن عمر بكلي، ج1، ط2، بـ.د.ن، د.م.ط، 1967م.

_ عبد الرحمن ابن خلدون: **المقدمة**، ج1، دار القلم، لبنان، 1994م.

_ عبد الرحمن ابن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيت الأفكار الدولية، عمّان–الأردن، د.ت.

_ عبد الكافي أبي عمار: **السير**، تح: مسعود مزهودي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1996م.

_ مفدي زكرياء: **أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره**، تح: إبراهيم بحاز، ط1، منشورات ألفا، قصر المعارض، الجزائر، 2010م.

_إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد: **رحلة المصعبي**، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، ط1، المطبعة العالمية، العطف–غرداية، 2006م.

3_ المراجع:

_ اسماوي صالح بن عمر: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب**، ج2، ط1، المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، القرارة–الجزائر، 2005م.

_ أعوشت بكير بن سعيد: **وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا**، المطبعة العربية، غرداية، 1991م.

_ الحاج سعيد يوسف بن بكير: **تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، ط4، المطبعة العربية، غرداية، 2017م.

_ الشريف محمد بن موسى: **الجانب الفكري للمشتغلين بالعلوم الشرعية**، الأندلس الجديد، مصر، 2009م.

_ الشريف محمد بن موسى: **كيفية قراءة التاريخ وفهمه**، سلسلة التعريف بعلم التاريخ، دار التوزيع والنشر، مصر، 2013م.

_ الشيخ بالحاج قاسم بن أحمد: **معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1157هـ/1744م إلى 1382هـ/1962م**، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 2011م.

_ المدني أحمد توفيق: **جغرافية القطر الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م.

_ المدني أحمد توفيق: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

_ الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، د.ت.

_ جهلان عدون: **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش**، جمعية التراث–القرارة، الجزائر، د.ت.

_ حمو عيسى محمد النوري: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، مج 1، دار البعث، قسنطينة، 2000م.

_ دبوز محمد علي: **تاريخ المغرب الكبير**، ج1، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م.

_ دبوز محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.

_ ديوان حماية وادي مزاب وترقيته: **إطلالة على بعض القصور التاريخية المندثرة بولاية غرداية**، الجزائر، 2014م.

_ ديوان حماية وادي مزاب وترقيته: **دليل المواقع والمعالم التاريخية بوادي ميزاب**، غرداية، الجزائر، د.ت.

_ سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج (2،3،5،6،7)، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1998م.

_ سعيدوني ناصر الدين، المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

_ سيد فؤاد: **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار الفارابي، بيروت، 2017م.

_ طلاي إبراهيم محمد: **مزاب بلد كفاح دراسة تاريخية اجتماعية**، دار البعث–قسنطينة، الجزائر، 1970م.

_ مجموعة من الباحثين: **معجم أعلام الإباضية**، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت–لبنان، 2000م.

_ مجموعة من الباحثين: **معجم مصطلحات الإباضية**، ج2، ط2، دار الوعي، الجزائر، 2012م.

_ مجموعة من الباحثين: **معجم مصطلحات الإباضية**، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، سلطنة عمان، 2011م.

_ معمر علي يحي: **الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة الإباضية في الجزائر**، ط3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008م.

_ معمر علي يحي: **الإباضية في موكب التاريخ**، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابزبز، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، سلطنة عمان، 2008م.

_ ناصر محمد صالح: **منهج الدعوة عند الإباضية**، ط5، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

4_ الرسائل الجامعية:

_ اسماوي صالح بن عمر: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986-1987م.

_ الشيخ يحمد منير: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة وادي مزاب خلال القرن 13هـ/19م**، رسالة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2018م.

_ الشيهاني إبراهيم: **منشآت الري التقليدية في وادي مزاب مدينة بني يزقن أنموذجا**، رسالة ماستر تخصص الأثار الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م.

_ بوراس يحي: **العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر قسم الآثار، 2001-2002م.

_ دودو مصطفى: **نظام تقسيم واستغلال مياه السيل بوادي مزاب عوامل التلف وآليات المحافظة**، رسالة ماجستير في الصيانة والترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2015م.

_ زدك إبراهيم: **الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م.

_ زعابة عمر بن محمد: **آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في وادي مزاب**، أطروحة دكتوراه في حفظ وتسيير التراث الأثري، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016م.

_ عبو إبراهيم: **العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/16-19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2018م.

ـ عزام عوادي عبد القادر: **هجرة سكان بني مزاب إلى تونس ودورهم السياسي والفكري في الحياة التونسية خلال الفترة (1881–1956)**، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، جامعة أحمد دراية–أدرار، 2016م.

ـ قزريط سليمان: **المنشآت الدفاعية بقصر بنورة (منطقة وادي مزاب) دراسة أثرية**، رسالة ماستر في علم الآثار الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م.

ـ معروف بالحاج: **العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب–من خلال بعض النماذج**، أطروحة دكتوراه في تاريخ العمارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان، 2002م.

ـ ناصر بالحاج: **النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة فيما بين القرنين 9–13هـ/15–19م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2014م.

ـ وقاد محمد: **جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1112هـ/1246هـ/1700م/1830م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010م.

5_ المجلات والدوريات:

ـ ابن ادريسو مصطفى بن محمد: **جهود فهرسة المخطوطات في وادي مزاب (رؤية وصفية ونقدية)**، الملتقى الوطني الثالث للمخطوطات الموسوم بـ "البحث العلمي ودوره في خدمة التراث المخطوط"، جامعة أحمد دراية–أدرار، 2008م.

ـ الحاج موسى بشير بن موسى: **الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي: حياته ودوره في نهضة وادي مزاب**، يوم دراسي، مؤسسة عمي سعيد، غرداية، 2006م.

ـ الحاج موسى بشير بن موسى: **نافذة على مخطوطات الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية**، مجلة المنهاج، العدد 2، غرداية–الجزائر، 2013م.

ـ بوراس يحي بن عيسى: **الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث**، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 17، غرداية–الجزائر، 2017م.

ـ بوراس يحي بن عيسى: **الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9–10هـ/15–16م، مخطوط أجوبة الشيخين: سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا**، المنهاج، العدد 2، ج.ش.أ.إ.ظ، خ.ت، غرداية–الجزائر، 2013م.

ـ حاج امحمد يحي بن بهون: **المكتبات وخزانات المخطوطات ببلدة تجنينت بوادي مزاب**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 2، غرداية–الجزائر، 2014م.

6_ الفهارس:

ـ مكتبة الاستقامة: **فهرس مخطوطات مكتبة الاستقامة**، الخزانة الأولى، بني يزقن، غرداية–الجزائر، 2006م.

_ مكتبة الشيخ صالح لعلي: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن يوسف ببانو**، ج2، بني يزقن، غرداية-الجزائر، 2006م.

_ مكتبة القطب: **فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الشهير بـ "القطب"**، غرداية-الجزائر، 2013م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات آل موسى وعلي**، غرداية-الجزائر، 2005م.

_ مؤسسة عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث**، غرداية-الجزائر، 2005م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانة العامة**، غرداية-الجزائر، 2002م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات الخزانتين بنوح بن أحمد مصباح، صالح بن حمو بابهون**، غرداية الجزائر، 2010م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس المخطوطات الرقمية لبعض الخزائن العمانية**، غرداية-الجزائر، 2009م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات حمو بن باحمد بابا موسى**، غرداية-الجزائر، 2003م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي**، غرداية-الجزائر، 2008م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير**، غرداية-الجزائر، 2009م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات خزانة محمد بن سليمان ابن ادريسو اليزجني**، غرداية-الجزائر، 2015م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات دار التعليم لآل موسى وعلي**، غرداية-الجزائر، 2007م.

_ مؤسسة الشيخ عمي سعيد: **فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)**، غرداية-الجزائر، 2005م.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

_ A. Coyne: **Le Mzab,** Adolphe Jourdan, Alger, 1987.

_ Charles Amat: **Le Mzab et les Mozabites, Librairie Algérienne et coloniale,** Paris, 1888.

_ Claude Pavard: **Lumières Du M'zab,** Edition Bilroisse, Paris, France.

_ J. Huguet: **Les villes Mortes Du Mzab, in Bulletins et Mémoires de la Société D'Anthropologie,** T4, Paris, 1903.

_ Motylinski: **Guerara Dupuis Sa Fondation,** Adolph Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1885.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ-ز
المدخل: نبذة جغرافية وتاريخية عن وادي مزاب	
أولا: الإطار الطبيعي والجغرافي لمنطقة وادي مزاب	10
ثانيا: الإطار التاريخي والحضاري لمنطقة وادي مزاب	18
الفصل الأول: عوامل ازدهار الحياة العلمية والفكرية في وادي مزاب	
المبحث الأول: دور حلقة العزابة في التربية والتعليم	35
المبحث الثاني: تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة وادي مزاب	44
أولا: الحياة الاقتصادية	44
ثانيا: الحياة الاجتماعية	49
المبحث الثالث: النهضة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب	54
الفصل الثاني: الحياة العلمية والفكرية في وادي مزاب	
المبحث الأول: التعليم ومؤسساته ومناهجه بوادي مزاب	66
1_ المساجد	66
2_ المحاضر والمدارس	69
3_ طرق ومناهج التعليم	73
4_ أبرز المكتبات بوادي مزاب	77
المبحث الثاني: تراجم أبرز علماء القرنين 18 و19 الميلاديين	81
أولا: أبرز علماء القرن الثامن عشر الميلادي	81
ثانيا: أبرز علماء القرن التاسع عشر الميلادي	84
المبحث الثالث: أبرز النساخ المزابيين خلال القرنين 18 و19 الميلاديين	90
الفصل الثالث: تطور العلوم النقلية والعقلية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين	
المبحث الأول: العلوم النقلية	97

أولا: التفسير وعلوم القرآن	97
ثانيا: الحديث الشريف وعلومه	102
ثالثا: العقيدة والفقه	104
رابعا: اللغة العربية وعلومها	112
المبحث الثاني: العلوم العقلية	118
أولا: التاريخ والسيرة النبوية	118
ثانيا: العلوم الطبيعية والفلسفية	123
ثالثا: العلوم الفلكية والرياضية	126
خاتمة	133
الملاحق	138
قائمة المصادر والمراجع	150
فهرس الموضوعات	156
ملخص البحث باللغة العربية	158
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	159

الملخص:

شهدت الحياة العلمية والفكرية بمنطقة وادي مزاب خلال القرنين 18 و19 الميلاديين، ازدهارا ورقيا حضاريا تركت بصمات جلية في مختلف نواحي الحياة المجتمع المزابي، وكان ذلك بفضل مجهودات العلماء وحلقة العزابة الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الحق وتنوير المنطقة وإصلاح المجتمع، ومحاولة تحريره من آفة الجهل والأمية، وذلك من خلال التركيز على التربية والتعليم والإرشاد والإصلاح الديني، وبناء المؤسسات الثقافية التي ساهمت بشكل كبير في تثقيف المجتمع المزابي، والأهم من ذلك دورها في رص الصفوف وتوحيد الكلمة وتقويم سلوك الأفراد والجماعات، كما برزت في تلك الفترة مجموعة من العلماء الأجلاء الذين قادوا الحركة الثقافية وساهموا في تنميتها بما يضمن لها الاستمرار، فتعددت الكتابات والمؤلفات في العلوم النقلية والعقلية، وانتشرت حركة النسخ، فاكتظت مكتبات مزاب بنفائس المخطوطات والكتب الثمينة، وغدت بذلك منطقة وادي مزاب حاضرة علمية رائدة تستقطب العلماء والباحثين من مختلف المناطق، لتبادل الآراء والأفكار، والاستفادة بما تزخر به المنطقة من تراث فكري وحضاري.

الكلمات المفتاحية: الحياة العلمية والفكرية، وادي مزاب، حلقة العزابة، المجتمع المزابي.

Abstract:

_ The scientific and intellectual life in the M'zab valley region witnessed during the 18th and 19th centuries AD a flourishing and a civilized improvement that left clear imprints in various aspects in the life of the M'zab community. All this was thanks to the efforts of scholars and the Azaba Body who sacrificed themselves so that the truth prevails, the society system reforms and illiteracy finds no place. The religious system focused on education, guidance, religious reform, and building cultural institutions that contributed significantly to educating the Mozabite community, and most importantly its role in calling for unity and brining the society closer together. Besides, in that period a group of eminent scholars led the cultural movement and contributed to its development to ensure its continuity. This results in the spread of writings and manuscripts that led greatly to the enrichment of M'zab libraries. Thus, the M'zab valley region became a leading scientific metropolis that attracts scholars and researchers from different regions to exchange ideas, and benefit from the region's intellectual and cultural heritage.

Keywords: scientific and intellectual life, the M'zab Valley, Azaba Body, the M'zab Society.